هل كان يسوع مسلماً؟ أم مسيحياً؟ أم مجرد طفل غير شرعي كما يدعي اليهود؟

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (68) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (70) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (71) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (72) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (73) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (74)﴾ [سورة الصافات].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

سورة البقرة 170

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (22) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ(23) ﴾

سورة الزخرف 22–23

سفر حزقيال 18:20–19 الله يخاطب بني إسرائيل على لسان موسى:

"قلت لبنيهم في البرية: لا تسلكوا في فرائض آبائكم، ولا تحفظوا أحكامهم، ولا تتنجسوا بأصنامهم. أنا الرب إلهكم، في فرائضي اسلكوا، وأحكامي احفظوا واعملوا بها".

ولم يكن عيسى عليه السلام أقل حدةً في مواجهة التقليد الأعمى، إذ قال :قد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم (متى 15)

"العميان قادة عميان، وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة" متى 15:14.

المأساة الحقيقية ليست في ضلال الآباء، بل في أن الأبناء يختارون وراثته طوعًا، حين يعطلون عقولهم ويسيرون خلف الموروث، غير مدركين أنهم لا يفعلون سوى إعادة تكرار أخطاء الماضي وإحياء مأساته، حتى يلاقوا نفس المصير ذاته، فإن غاية الإنسان الحقيقية هي السعي وراء الحقيقة، فالإيمان ليس تقليدًا اجتماعيًا فحسب، بل هو رحلة شخصية يعيشها العقل والروح معًا، حيث يكتشف الإنسان معنى وجوده وارتباطه بخالقه.

إن الإيمان الصادق يولد من التساؤل والبحث العميق، لا من الرضا السطحي بالقوالب الموروثة. فإن الإنسان مسؤول عن رحلته الروحية بنفسه، قبل أن يكون تابعًا لموروث ديني أو ثقافي.

ومن هنا تنطلق أسئلة جوهرية نطرحها في هذا الكتاب: ماذا كان يعبد الأنبياء قبل مجيء عيسى بن مريم حسب نصوص الكتاب المقدس؟ من هو عيسى بن مريم في نظر الأديان الثلاثة (الإسلام، والمسيحية، واليهودية)، وما مكانته في كل دين؟ هل صُلب عيسى بن مريم حقًا وفقاً لنصوص الكتاب المقدس؟ هل قام من بين الأموات؟ هل ادّعى الألوهية في الكتاب المقدس؟ هل أمر أتباعه بعبادته؟ هل كان مسيحيًا يدعو إلى عقيدة الثالوث، أم كان مسلمًا يدعو إلى عبادة الله الواحد؟ ما هو الكتاب المقدس (ما يسمى بالتوراة والانجيل)، وهل هو وحي من الله؟ وما هو القرآن، وهل هو فعلًا كلام الله كما يزعم المسلمون؟ هل توجد تناقضات في الكتابين؟ ما هي قوانين الحرب والسلام في الكتاب المقدس، وما هو الجهاد؟ ما مكانة المرأة في الكتاب المقدس، وما مكانتها في القرآن؟ هل ذُكر محمد ﷺ في التوراة والإنجيل؟ من هو محمد ﷺ وماكانت صفاته وأخلاقه؟ وما نبوءاته ومعجزاته؟ من هم الشعب المختار الحقيقي عند الله بحسب نصوص الكتاب المقدس؟ ولمن وعد الله بأرض فلسطين: لليهود أبناء إسحاق، أم للمسلمين أبناء إسماعيل؟ هل ذكرت مكة في الكتاب المقدس؟

هذه الأسئلة سنسعى للإجابة عليها من خلال عرض ومقارنة النصوص المقدسة، وقراءة التاريخ، وتحليل وتفسير المعتقدات كما وردت في كل ديانة من الديانات الإبراهيمية الثلاث.

"الحمد لله وحده لا شريك له، له الحمد في الأولى والآخرة، له المنة والفضل العظيم، وما توفيقي إلا بالله؛ عليه توكلت وإليه أنيب".

تأليف: مشعل شريف العنزي

الفهرست	
ماذا كان يعبد الأنبياء قبل مجيء عيسى بن مريم؟	8
عيسى ابن مريم وفقاً لليهودية	10
عيسى ابن مريم وفقاً للمسيحية: أنساب يسوع في العهد الجديد كيف حملت مريم وفقاً للكتاب المقدس التستر على حمل مريم ومحاولة نسبة الولد ليوسف هل المسيح ابن الله أم هو المسيح المنتظر؟ ولادة عيسى طبقاً للكتاب المقدس؟	13
فصل: عيسى ابن مريم في الإسلام: ولادة مريم العناية الإلهية البشارة بعيسى الحمل المعجزي الولادة والمحنة دفاع عيسى عن أمه وتوضيح مهمته	18
فصل: عن الوضع الديني لليهود قبل بعثة ومجيء عيسى ابن مريم: انتقال السلطة من الأنبياء إلى الحاخامات انقطاع الوحي وصعود التلمود التحول في العقيدة اليهودية بعد السبي. بناء الهيكل الثاني ظهور الطوائف الدينية سلطة الحاخامات فوق إرادة الله.	20
بعثة عيسى ابن مريم مواجهته للفريسيين وصدامه معهم معاداة دعوة عيسى ابن مريم	23
فصل: الصلب، القيامة، الفداء، عقيدة الثالوث المقدس بحسب الأناجيل: غياب وجود شهود عيان على حادثة الصلب. تناقضات روايات الصلب في الأناجيل. حماية الله له من مكيدة الصلب ووفقاً للكتاب المقدس.	26

	بعد ذهاب المسيح ورفعه للسماء. اختراق المسيحية من الداخل. كيف بولس يصبح رسولاً مفوض من المسيح. رؤية بولس.
32	فصل: كيف قام بولس بتحويل رسالة المسيح إلى ديانة وثنية رومانية؟ عقيدة الخطيئة الأصلية والفداء و الشريعة. إلغاء الشريعة والتمسك بالتعاليم وأداء الأعمال. تأليه المسيح. قيامة المسيح. تناقض روايات القيامة في الأناجيل. الفلسفة بين الصليب والقيامة، مأزق بولس اللاهوتي. قالوا عن بولس.
49	فصل: مجمع نيقية 325م إعلان ألوهية المسيح ومجمع القسطنطينية الثالوث المقدس : ماهي الديانات التي كانت منتشرة في الإمبراطورية الرومانية؟ كيف تحولت المسيحية من طوائف صغيرة متناحرة إلى مؤسسة إمبراطورية؟ لما وقع اختيار قسطنطين على المسيحية رغم أنها أقلية؟ مجمع نيقية 325 م إعلان ألوهية المسيح. مجمع القسطنطينية 381م: إضافة الروح القدس كإله ثالث واكتمال الثالوث الإلهي. عقيدة الثالوث كما يُقرّها اللاهوت المسيحي الرسمي. ادخال الطقوس الرومانية الوثنية داخل الكنيسة بعد المجامع.
60	فصل: ألوهية المسيح بين النصوص والتأويل: هل كان عيسى يعلم عقيدة الثالوث؟ هل ادعى المسيح الألوهية؟ هل قال المسيح نفسه إنه إله؟ هل نطق بأي عبارة تُشير إلى ألوهيته؟ هل كان لعيسى صفات الهية؟ كيف تدعي الكنائس المعاصرة ألوهية المسيح من خلال تأويل آيات الإنجيل؟
75	فصل: ألوهية المسيح وعقيدة الثالوث في القرآن: بعثة عيسى ابن مريم الى قومه (بني إسرائيل) ألوهية عيسى ابن مريم ادعاء عيسى ابن الله عقيدة الثالوث في الإسلام
78	فصل: هل الكتاب المقدس وحي من الله؟ العهد القديم (التوراة) : أبرز مخطوطات العهد القديم

	رأي أبرز العلماء والباحثين بالعهد القديم (التوراة). العهد الجديد (الانجيل): مؤلفي الأناجيل رأي العلماء والباحثين بالعهد الجديد. مخطوطات العهد الجديد التناقضات في الكتاب المقدس. غرائب وأساطير: قصص تثير الدهشة في الكتاب المقدس قصص اباحية في الكتاب المقدس. الحذف والإضافة والتلاعب بالنصوص والتعديل. الوصايا المقدسة للعنف والاغتصاب والإبادة الجماعية في الكتاب المقدس. نظرة على الحروب والإبادات التاريخية بسبب التأثر بنصوص وتعاليم الكتاب المقدس. المرأة ومكانتها في المسيحية واليهودية حسب نصوص الكتاب المقدس . العبودية في الكتاب المقدس.
124	فصل: هل القرآن الكريم كلام الله كما يدّعي المسلمون؟ الحفظ والنقل الشفهي. اللغة العربية والصلاة في الإسلام. المخطوطات القرآنية. معجزات القرآن الكريم : لما عجز أعداء الرسول بالآتيان بسورة واحدة مثله؟ المعجزات العلمية والكونية. المعجزات التشريعية. الوعود القرآنية كحقائق تاريخية. الإعجاز الاخباري بالأمم السابقة.
146	فصل: هل ذكر محمد ﷺ في التوراة والانجيل؟ ماهي أخلاق وفضائل خاتم المرسلين محمد ﷺ؟ ماهي نبوءات ومعجزات خاتم الرسل محمد ﷺ؟
183	العبودية في الاسلام
191	ماهي مكانة المرأة في الإسلام ؟
196	ما هو الجهاد في الإسلام؟
199	من هم الشعب المختار الحقيقي عند الله بحسب نصوص الكتاب المقدس؟
216	هل ذكرت مكة في الكتاب المقدس؟
226	المصادر والمراجع

ماذا كان يعبد الأنبياء قبل مجيء عيسى بن مريم؟

قبل أن تُفرض التصورات اللاهوتية على رسالة المسيح عيسى ابن مريم، وقبل أن تظهر المفاهيم المعقّدة حول الألوهية والتجسّد والتثليث، تكشف النصوص الأصلية وضوح دعوة الأنبياء: عبادة الإله الواحد، واجتناب الشرك. إذ لم تكن العبادة آنذاك مرتبطة بأنظمة كنسية أو تأويلات فلسفية، بل كانت علاقة مباشرة مع الله، قائمة على التوحيد، والدعاء، والطاعة، والخضوع لإرادته.

سنستعرض، من خلال العودة إلى النصوص الأصلية في الكتاب المقدس، العبادة التي مارسها الأنبياء أنفسهم، والرسالة التي نقلوها إلى أقوامهم، وطبيعة العلاقة التي جمعتهم بالله. وذلك من خلال مواقفهم، وأدعيتهم، وكلماتهم، كما وردت في النصوص، لا كما فُسّرت لاحقًا.

تكوين 17:1:

"أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا".

تثنية 6:4

"اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد".

موسى

خروج 20:2–3

"أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي."

خروج 32:11

"فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ

داود

مزمور 86:10

"لأنك عظيم أنت وصانع عجائب، أنت الله وحدك."

سليمان

1 ملوك 8:60 :

"لكي يعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله، وليس آخر."

ملوك الأول 8:22

"وَقَامَ سُلَيْمَانُ أَمَامَ مَذْبَحِ الرَّبِّ تُجَاهَ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ، وَبَسَطَ يَدَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ. وقال: أيها الرب إله إسرائيل، ليس إله مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السالكين أمامك بكل قلوبهم."

زكريا 14:9:

"ويكون الرب ملكًا على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب، واحدًا واسمه واحدًا."

إيليا

ملوك الأول 18:36–37

"فَتَقَدَّمَ إِيلِيَّا النَّبِيُّ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ، لِيُعْلَمِ الْيَوْمَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ وأني أنا عبدك، وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور. استجب لي يا رب، استجب لي، ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله

إشعياء

إشعياء 45:5

"أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي. أنا أُشدّك وأنت لم تعرفني."

إرميا

إرميا 10:10:

"أما الرب فهو الإله الحق، هو الإله الحي، الملك الأبدي."

دانيال

يوئيل 2:27: "وتعلمون أني أنا في وسط إسرائيل، وأني أنا الرب إلهكم وليس آخر."

عيسى ابن مريم وفقاً لليهودية

Shabbat 104b – Babylonian Talmud

"It was taught Ben Stada brought magic from Egypt by means of scratches [in the skin]. They said: Was he not the son of Pandira? Rab Hisda said: The husband was Stada, the paramour was Pandira. [But] the mother was called Miriam the hairdresser, and as they say in Pumbeditha, Stada means an unfaithful wife."

"تعلّم أنه بن ستادا جلب السحر من مصر عبر خدوش على الجلد. قالوا: أليس هو ابن بنديرا؟ قال راب هيسدا: الزوج كان ستادا، والعشيق كان بنديرا. [لكن] الأم كانت تسمى مريم الحلاّقة، وكما يقولون في بومبيديثا، ستادا تعني الزوجة غير الأمينة."

بن ستادا شخصية يربطها الباحثين في الدراسات اليهودية بيسوع الناصري عيسى ابن مريم، وراب هيسدا هو حاخام تلمودي، يُنسب له هذا القول في التلمود.

النص يُشير إلى ادعاء أن أم يسوع، مريم (مريم الحلاقة)، كانت على علاقة غير شرعية مع جندي روماني يُدعى بنديرا (أو بنديرا)، و"ستادا" في اللغة الآرامية أو في لهجة محلية تعني "الزوجة غير الأمينة" أو "الزانية".

العلماء والباحثون الذين ناقشوا هذا النص:

Gershom Scholem جيرشوم شالوم

عالم دراسات يهودية متخصص في الكابالا، أشار إلى أن النصوص التلمودية تستخدم أسماء مستعارة لشخصيات تاريخية مثل يسوع، منها بن ستادا، لتجنب ذكر أسمائهم مباشرةً.

Joseph Klausner جوزيف كلاوسنر

باحث يهودي في أوائل القرن العشرين، في كتابه Jesus of Nazareth ناقش الربط بين "بن ستادا" و"يسوع"، واعتبر أن بعض النصوص التلمودية تشير إلى يسوع تحت أسماء مستعارة مثل بن ستادا.

Peter Schäfer بيتر شيفر

أستاذ الدراسات اليهودية، في كتابه Jesus in the Talmud تناول هذه الإشارات وتحليلها، مشيرًا إلى أن التلمود يحتوي على انتقادات مبطنة للمسيح والشخصيات المرتبطة به مثل بن ستادا.

Hyam Maccoby هيام ماككوبي

مؤرخ يهودي معاصر، درس نصوص التلمود واعتبر أن بن ستادا هو تسمية تهكمية ليسوع، تعكس الصراع الديني بين اليهودية والمسيحية.

Louis Feldman لويس فيلدمان

عالم يهودي، ناقش في كتاباته الفرق بين التقاليد اليهودية والمسيحية المبكرة، موضحًا كيف يُشار إلى يسوع بطرق غير مباشرة في التلمود.

Babylonian Talmud – :a47 Sotah / Sanhedrin 107b

"When his teacher said .Perachiah Joshua ben He was a disciple of ?Yeshu What of misunderstood and thought he Yeshu ,something about the beauty of an innkeeper then said to him, 'Master, she is not so Yeshu .was praising the woman's beauty then set up Yeshu .beautiful.' The Rabbi became angry and excommunicated him a brick and began to worship it".

ماذا عن يشوع؟ كان تلميذًا ليشوع بن براخيا. عندما تحدث معلمه عن امرأة كانت تدير مكاناً للضيافة، أساء يشوع فهم كلامه وظن أن المعلم يمدح جمال المرأة. فرد يشوع عليه: 'يا معلم، هي ليست جميلة إلى هذا الحد.' غضب الحاخام وطرده من الجماعة الدينية. بعد ذلك، أقام يشوع تمثالًا صغيرًا أو قطعة طوب وبدأ يعبدها."

يصور يسوع كتلميذ فاشل أساء فهم نوايا معلمه مما أدى إلى طرده من الجماعة الدينية، ويُتهم يشوع بأنه بعد الطرد، انتهى به الأمر الى الكفر وعبادة الأصنام. ممثلة هنا بتمثال صغير أو قطعة طوب "طوبة"

an early rabbinic text associated with the) Tosefta – Hullin 2:22–23: 23 Tosefta .(Talmud

".Yeshu performed magic and led Israel astray"

"يشوع (Yeshu) مارس السحر وأضل إسرائيل."

في هذا النص من التوسيفتا، وهو نص رباني قديم مرتبط بالتلمود، يُذكر يشوع ويربط اسمه بالسحر والخداع. ويُدين النص استخدام السحر وأن المعجزات التي نُسبت إليه في بعض التقاليد هي في الواقع أعمال سحرية مرفوضة. ويشير إلى يشوع كمعلم مضلل قاد بني إسرائيل بعيدًا عن الطريق الصحيح. هذا التصوير يتكرر في نصوص تلمودية أخرى حيث تُعتبر المعجزات التي نفذها نوعًا من السحر والهرطقة.

b: – Babylonian Talmud17 Berakhot

"May it be Your will … that we may have neither a son nor a disciple who disgraces himself in public, like Ben Stada in Lod."

لا ينبغي أن يكون لدينا ابن أو تلميذ يسيء إلى نفسه مثل ابن ستدا ".

Avodah Zarah 16b–17a: – Babylonian Talmud

It happened with Rabbi Eliezer… they brought him to judgment for heresy, and he was " charged with heresy because he engaged with a heretic. And the heretic… said to him: "'.Pandira ben Yeshu 'Such was the tradition taught to me by

" حدث مع الحاخام أليعازر أنهم جاؤوا به إلى المحاكمة بتهمة الهرطقة، واتُهم بالهرطقة لأنه جادل مع هرطوقي (مهرطق). فقال له ذلك المهرطق: "هكذا هي التعاليم التي نُقلت إليّ من يشوع بن باندیرا".

Sanhedrin 43a.

"Our Rabbis taught: Yeshu had five disciples… When Yeshu was brought to trial, he was found guilty of practicing sorcery and leading Israel astray."

"علمنا حاخاماتنا: كان ليشوع خمسة تلاميذ... وعندما جُلب يشوع للمحاكمة، وُجد أنه مارس السحر وخدع وضلل إسرائيل."

Sanhedrin 43a: – Babylonian Talmud

"On the eve of Passover, Yeshu was hanged. For forty days before the execution took place, a herald went out and cried: 'He is going to be stoned because he practiced sorcery and enticed Israel to apostasy. Anyone who can say anything in his favor, let him come forward and plead on his behalf.' But since nothing was brought forward in his favor, he was hanged on the eve of Passover."

"في مساء عيد الفصح، صُلب يسوع (يشو). أربعون يومًا قبل تنفيذ الحكم، خرج منادٍ ينادي: هذا سيُرجم لأنه مارس السحر وأغوى إسرائيل وأضلّهم. من يعرف له حجة فليتقدم ويدافع عنه. ولما لم يوجد أحد يشهد لصالحه، صلبوه في مساء عيد الفصح".

Gittin 56b, 57a: – Babylonian Talmud

is in hell, being boiled in hot excrement because he mocked the words Yeshu He" of the wise men"

"هو (عيسى) في الجحيم، يُغلى في برازٍ ساخن لأنه سخر من كلام الحكماء."

عيسى ابن مريم وفقاً للمسيحية

يسوع بن مريم في المسيحية بحسب العهد الجديد (الانجيل):

عند دراسة أنساب يسوع المسيح في العهد الجديد، نواجه تعقيدًا متناقض، حيث يشير إلى أن ليسوع أكثر من أب واحد. تنبع هذه المفارقة الظاهرة من الاختلافات بين سجلات الأنساب في إنجيلي متى ولوقا. والتي تشير الى أن ليسوع ابن مريم "ثلاثة آباء مختلفين "

أنساب يسوع في العهد الجديد

1. **الله (بقوة العلي):**

في العقيدة المسيحية، يُعتبر الله هو الأب الحقيقي ليسوع نتيجة الحمل المعجزي. كما جاء في إنجيل لوقا 1:35:"فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلّ عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضًا القدوس المولود منك يُدعى ابن الله".

2. ابن يوسف ابن هالي:

لوقا 3:23

"ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يُظن ابن يوسف بن هالي"

3. ابن يوسف ابن يعقوب:

متى 1:16

"ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي وُلد منها يسوع الذي يُدعى المسيح".

كيف حملت مريم وفقاً للكتاب المقدس؟

إنجيل لوقا الإصحاح 1 (العدد 26 – 35)

26وفي الشهر السادس أرسل الملاك جبرائيل من الله إلى مدينة من الجليل اسمها الناصرة.

27 إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود، واسم العذراء مريم.

28 فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت في النساء.

29 فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية.

30 فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله.

31 وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع.

32 هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه.

33 ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية.

34 فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا.

35 فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله.

متى 18:1–20 التستر على حمل مريم ومحاولة نسبة الولد ليوسف:

" لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف، قبل أن يجتمعا، وُجدت حبلى من الروح القدس. فيوسف رجلها إذ كان بارًا ولم يشأ أن يشهرها، أراد تخليتها سرًا. ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلًا: يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حُبل به فيها

هو من الروح القدس". متى 18:1–20. ؟ النص ("فيوسف رجلها إذ كان بارًا ولم يشأ أن يُشهرها") يحمل إيحاء ضمني بأن مريم موضوعة في موضع شبهة.

مؤلفي الأناجيل أرادوا أن ينسبوا عيسى الى داوود، فجعلوا يوسف مجرد أداة لإدخال يسوع في نسب داود، رغم أنه ليس أباه البيولوجي.!. إذا كان يسوع ابن الله فعلًا، فما الحاجة لإقناع يوسف وتوريطه في القصة؟، فعمليًا صار الأمر "تبنيًا شكليًا" ليس له أي قيمة في إثبات نسب حقيقي. لأنه بحسب تعاليم التوراة، لا يمكن نسب أي شخص لأب أخر غير أبيه، فالابن ينسب فقط الى ابيه الجيولوجي الأب الفعلي (فالتوراة تمنع نسبة الابن لغير أبيه البيولوجي) .

العدد 1:18" :وانتسبوا إلى عشائرهم وبيوت آبائهم..." أي أن كل نسب عُرِف بالأب.

عزرا 2:59–62 ونحميا 7:61–63 :من لم يُعرف أبوه يرُفض من الشعب ومن الكهنوت.

اللاويين 24:10 :حتى من كانت أمه يهودية وأبوه مصري نُسب لأبيه (المصري) لا لأمه.

محاولة متى ولوقا ربطه بيوسف لا قيمة لها، لأن يوسف ليس أبًا حقيقيًا.

ابن الله أم المسيح المنتظر؟

النص الذي ذكره (لوقا 1:31–35) يكشف بوضوح التناقض الداخلي في السرد:

من جهة يذكر لوقا أن الملاك يَعِد مريم بأن يسوع سيُعطى "كرسي داود أبيه" ويملك على بيت يعقوب، وهذا الحديث يتفق مع انتظار اليهود للمسيّا الذي حسب النبوات يجب أن يخرج من نسل داود ليقيم ملك أبيه ويخلّص بني إسرائيل .. ومن جهة أخرى يذكر لوقا أن الملاك نفسه يضيف أن "المولود يُدعى ابن الله"، ويجعل الروح القدس يحل عليها وقوة العلي السبب في ولادته، وهنا يتحوّل المشهد من كونه بشريًا (المسيح ابن داود المنتظر حسب النبوءات) إلى كونه لاهوتيًا (ابن الله المتجسد)، وهو ما لا يتفق إطلاقًا مع العقيدة اليهودية لأن المسيح الذي ينتظرونه بحسب النبوءات المحددة في التوراة هو قائد بشري من نسل داوود وليس إله جاء ليصلب.

لوقا حاول أن يرضي اتجاهين:

اليهود الذين ينتظرون مسيحًا من نسل داود، والمسيحيين الذين تبنوا لاحقاً فكرة ألوهية المسيح.

لكن جمعه بين الاثنين أوقعه في خلط وتناقض عقائدي مزدوج والجمع بين هذين التصورين مستحيل، وفي كلا الحالتين يسقط البناء العقائدي الذي حاول لوقا أن يشيّده بدمج النقيضين: خالق يُنسب إلى

نسل مخلوق وينجب إله ابن (عيسى ابن الله ابن داوود) ، وهذا الإله الابن يُجلس على عرش بشر! فنجده وضع نفسه بمعضلة لا مهرب منها: إمّا أن يكون يسوع هو المسيح المنتظر من نسل داود، وبالتالي مجرد بشر لا علاقة له بالألوهية حسب النبوءات، أو أن يكون ابن الله، وبالتالي ليس هو المسيح الذي انتظره اليهود!

ولادة عيسى طبقاً للكتاب المقدس

لوقا 2:6–7

"وبينما كانا هناك، تمت أيامها لتلد. فولدت ابنها البكر، وقمّطته، وأضجعته في مذود، لأنه لم يكن لهما موضع في المنزل".

متى 1:23 "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا، ويدعون اسمه عمانوئيل".رغم أن الاسم المعلن هو "عمانويل"، إلا أن الطفل يُدعى فعليًا "يسوع" ولم يدعى عيسى في حياته ابداً عمانوئيل.

حاول لوقا بسذاجة بتسمية الطفل عمانوئيل أن يربطه بنبوءة اشعياء 7:14 "هو ذا الفتاة تحبل وتلد ابنا" ولكنه أخفق لأن النبوءة هذه جاءت في سياق تاريخي سياسي سابق، فمملكة يهوذا كانت مهددة بالغزو وكان الملك آخاب متخوفاً، فارسل الله له إشعياء ليطمئنه بأن الله معهم، وأن الله سيمنحهم علامة بأن رجل صالح سيولد في زمنهم، ويكون علامة على حماية الله وتحقيق وعده بمستقبل المملكة. إشعياء 14:7–17 " لذلك يعطيكم الرب نفسه أية: هوذا الفتاة تحبل وتلد ابناً وتدعوا اسمع عمانوئيل .. قبل أن يعرف الطفل الخير من الشر، يترك أرضه طعامه لغيره" ويكمل النص في السفر اللاحق من اشعياء 8: " فحبلت وولدت ابناً، فقال لي الرب: ادع اسمه مهير شلال حاش بز" أي تحققت النبوة بذلك العصر وانتهت.

وفي بعض الترجمات، تم ترجمة كلمة "فتاة" إلى "عذراء"، في محاولة يائسة لربط النبوءة بولادة يسوع بن مريم، وكأنها كانت تتنبأ به تحديدًا، لتُقنع اليهود وتدفعهم للاعتقاد بأنها بشرى مباشرة عنه، متجاهلين السياق التاريخي والسياسي الأصلي للنبوءة.

لوقا 2:21:

"ولما تمت ثمانية أيام ليختن الصبي، سُمي يسوع، كما دُعي من الملاك قبل أن حُبل به في البطن".

لوحة لسيمون ديوي لولادة الإله الطفل المسيح، مستوحاة من روايات إنجيلي متى ولوقا.

عيسى ابن مريم في الإسلام

عيسى ابن مريم:

قال الله تعالى في سورة النساء، الآية 156" :وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً"

تأكيد من الله على براءة مريم عليها السلام، خلافاً لما ادعاه اليهود، والمسيحيين في إنجيلي متى ولوقا التي تربط نسب عيسى بيوسف ابن يعقوب وبيوسف ابن هالي وبالله.

سورة آل عمران، آية 59–60:

"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين"

فكما خُلق آدم بدون والدين بخلق معجز، خُلق عيسى دون أب، بكلمة من الله.

مريم عليها السلام ومكانتها واصطفاؤها:

يُبرز القرآن تقوى مريم ومكانتها العالية، حيث جاء أنها من بيت كريم. قال الله تعالى" :إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين" (آل عمران 33)

ولادة مريم وحياتها :

خلافاً للإنجيل الذي يقدم معلومات محدودة عن حياة مريم قبل حملها بعيسى، يقدم القرآن رواية غنية تبدأ منذ قبل ولادتها وحتى البشارة.

"إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ "

العناية الإلهية بخلقه:

سورة آل عمران، آية 37:

"فتقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً، وكفلها زكريا، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، قال: يا مريم أنى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله"

بشارتها بولادة عيسى

سورة آل عمران: " يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين (43) ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون (44) إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين (45) ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين (46) قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنا يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل (47) ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهية الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين (49) ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون (50) إن الله ربي وربكم فاعبده هذا صراط مستقيم " (51)

الحمل المعجزي:

سورة الأنبياء، آية 91:

"والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين"

سورة التحريم، آية 12:

"ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين"

الولادة والمحنة:

سورة مريم، آيات 16–26 :

" واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيّا (16) فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا (17) قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا (18) قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا (19) قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكن بغيا (20) قال كذلك قال ربك هو علي هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا (21) فحملته فانتبذت به مكانا قصيا (22) فأجاها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيّا منسيّا (23) فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا (24) وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيّا (25) فكلّي واشربي وقرّي عينًا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيّا(26) "

دفاع عيسى عن أمه وتوضيح مهمته التي جاء من أجلها:

سورة مريم، آيات 27–37:

" فَأَتَت بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَت أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَت إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِم فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ(37) "

الوضع الديني لليهود قبل مجيء عيسى ابن مريم

من الأنبياء إلى الحاخامات: انقطاع الوحي وصعود التلمود:

بعد أن غزا نبوخذ نصر ملك بابل مملكة يهوذا عام 586ق.م، دمّر أورشليم (القدس) وسبى اليهود إلى بابل، عُرف هذا الحدث لاحقاً بـ السبي البابلي.

وقد استمر هذا السبي حتى عام 538ق.م، حين غزا كورش الفارسي بابل وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين، هذه المرحلة أدت إلى صدمة دينية واجتماعية كبرى، حيث فقد الشعب معالم قيادته النبوية التقليدية (الأنبياء).

التحول في العقيدة اليهودية بعد السبي:

أُعلن الحاخامات أن عهد الأنبياء قد انتهى، وأن الله لن يُرسل رسلاً بعد الآن، وظهر ما يُعرف بـ "الشريعة الشفوية"، حيث زعم الحاخامات أنهم تلقوها من موسى عليه السلام، رغم أنها غير مدوّنة في نصوص التوراة. وهذه الشريعة الشفوية دُوّنت لاحقًا فيما يُعرف بـ "التلمود"، وهو نص ديني ضخم ينسب إلى الله أقوالاً تخضع للعاطفة والندم والجهل على عقابه لليهود بالسبي، وتمنح الحاخامات سلطة مطلقة فوق إرادة الله.

بناء الهيكل الثاني وظهور طوائف دينية نافذة:

بعد عودتهم، بدأ اليهود ببناء ما عُرف بـ "الهيكل الثاني"، وفي هذه المرحلة، ظهرت طوائف دينية قوية أبرزها الفرّيسيون اللذين يميلون إلى التشدد والتمسك بالشريعة الشفوية والتفسيرات الحاخامية، حيث سيطرت هذه السلطة الدينية على المجتمع اليهودي، وهذه السلطة الفريسية كانت في صلب المعارضة لعيسى بن مريم عليه السلام لاحقًا، عندما دعا إلى التوحيد ونقض تحريفهم لدين الله.

ولكي نفهم سبب العداء لعيسى ابن مريم يجب علينا دراسة وفهم العقيدة اليهودية في ذلك الوقت، لذا سنستعرض بعض النصوص التي كانت ومازالت حتى يومنا هذا هي أساس العقيدة اليهودية:

سلطة الحاخامات فوق إرادة الله:

منذ دمار الهيكل، لم يعد هناك وحي من السماء، وأصبح كل شيء في أيدي الحاخامات، وكل حكم يخص الشريعة يُصدره الحاخام"(تلمود بابل – ساندرين a11)

"إن الله في السماء، ولكن الحاخامات على الأرض لهم الكلمة الأخيرة"

(Erubin 21b)

"عندما يجلس الحاخامات لدراسة الشريعة، فإن الله يقف بينهم كشريك"

(**Erubin 21b**)

".إن مخالفة كلام الرب أخف من مخالفة كلام الحاخام".

(**Hagigah 15b**)

حكم الحاخامات فوق حكم الأنبياء:

"إذا اجتمع جميع الأنبياء ليغيّروا حكمًا من أحكام الحاخامات، لا يُسمع لهم، لأن حكم الحاخامات فوق حكم الأنبياء"

(**Hagigah 3b**)

التلمود في (**Berakhot 19a**) يقول:

"حتى لو أخطأ الحاخام أو أفسد الشريعة، فطاعته واجبة، لأن مخالفة الحاخام تعني مخالفة الله"

أيضاً في (**Baba Metzia 59b**) وردت القصة الشهيرة عن نزاع بين الحاخامات حول تفسير أحد الأحكام:

يُنقل أن الله نفسه تدخَّل لدعم رأي أحدهم، لكن الحاخامات رفضوا وقالوا: "التوراة ليست في السماء"، ثم أكملوا: "الشريعة أصبحت الآن في يد الحاخامات لتفسيرها كما يرون، والله لا يستطيع التدخل في قراراتهم"

وعندما رُفعت القضية لحاخام، حكم ضد الله، فاعترف الله بخطئه وقال: "لقد انتصر عليّ أطفالي"

(قصة "تنور أخناي" الشهيرة) **Bava Metzia 59b – Soncino Edition**

بعثة عيسى ابن مريم

طبقة الحاخامات ومنهم الفريسيون كانوا الطبقة الدينية المسيطرة في المجتمع اليهودي، يُصدرون التشريعات، ويتحكمون بالشعب باسم "الشريعة" وعندما استمر الحاخامات بفسادهم وبتغيير وتحريف العقيدة وبإضلال وابعاد المجتمع اليهودي عن طريق الصواب ، لغرض التفرد بسيادة المجتمع اليهودي واكل أموال الناس بالباطل وبعد أن جعلوا أنفسهم فوق الله، بعث الله لهم أنبياء بشكل مستمر ومنهم عيسى ابن مريم : نجد في سفر متى الاصحاح ال 23 عِنْدَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلامِيذَهُ،دعى للتوحيد وعدم التوجه بالدعاء الا لله عزوجل :

(لا تدعوا أحداً على الأرض أباً، لأن أباكم واحد وهو الذي في السماوات) متى 23:9

مواجهته للفريسيين وصدامه معهم:

قام عيسى ابن مريم بتحذير الناس من الفريسيين الحاخامات وبمهاجمتهم وفضح أكاذيبهم وشركهم بالله وبمساواة أنفسهم به ، ووصفهم بأقبح الألفاظ مخاطبهم كما ورد في(سفر متى الاصحاح 23) خاطبهم قائلاً: ياقتلة الأنبياء أيها الأنجاس المنافقين، ووصفهم بالكذب والفسق والفجور وأكمل قائلاً في نفس السفر متى 23: أَيُّهَا الأفاعي، جيل شرير وفاسق أنتم أَوْلادَ الأَفَاعِي! كَيْفَ ستُفْلِتُونَ مِنْ عِقَابِ جَهَنَّمَ؟

قال الله في (القرآن) في سورة المائدة:" لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ (78)كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ (79)"

وقال لهم يسوع: (أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا) ".يوحنا 8:44

فاعترضوه قائلين: "ابونا هو ابراهيم"!

فقال: "لو كنتم اولاد ابراهيم لعملتم اعمال ابراهيم.

ولكنكم تسعون الى قتلي وانا انسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله".

يوحنا 8:39–40

معاداة دعوة عيسى ابن مريم:

بدأ الحاخامات (الفريسيين) بمعاداته وتشويه صورته بأي وسيلة لغرض التخلص منه، فرأينا كما أوردنا سابقاً ماورد في التلمود البابلي من انكار معجزات عيسى ابن مريم واتهامه بالشعوذة والهرطقة، وذلك لخوف الحاخامات من ضياع السيطرة الدينية والاجتماعية، فدعوة المسيح كانت ثورة ضدهم، فالمسيح دعا إلى الرجوع إلى الله وحده وتجريد الكهنة والفريسيين من سلطتهم، وجعل الدين علاقة قلبية مع الله، لا طقوسًا مفرغة فكثير من شعب بني إسرائيل نبذوهم وبدأوا باتباع عيسى .فلو نجحت دعوة المسيح، لسقطت هيبة الفريسيين وانهار نظامهم الاجتماعي والاقتصادي المبني على الخداع والاستغلال الديني.

ورد في انجيل يوحنا 47:11–53:

"فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعًا وقالوا: ماذا نصنع؟ فإن هذا الإنسان يأتي ب آيات كثيرة. إن تركناه هكذا، يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا. فقال لهم واحد منهم، وهو قيافا، كان رئيسًا للكهنة في تلك السنة: أنتم لا تعرفون شيئًا، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها. ولم يقل هذا من نفسه، بل إذ كان رئيسًا للكهنة في تلك السنة، تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد. فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه".

وفي متى 3:26–4:

"حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يُدعى قيافا، وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه".

لوقا 2:22:

"وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه، لأنهم كانوا يخافون من الشعب".

في يوحنا 1:7

"وبعد هذه الأمور كان يسوع يمشي في الجليل، لأنه لم يرد أن يمشي في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه".

لوقا 41:22–44 صلاة يسوع في البستان

"41ثم انفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلّى،42قائلاً: يا أبتِ، إن شئتَ أن تُجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك".

كلمة "الآب "تُستخدم في الكتاب المقدس بمعنى "الرب" أو "الإله "الذي يعتني ويرعى عباده، مثال:

ملاخي 2:10" :أليس لنا كلنا أب واحد؟ أليس إله واحد خلقنا؟"

إشعياء 63:16" :فإنك أنت أبونا، وإن لم يعرفنا إبراهيم".

فالآب باللغة التوراتية تعني: الله كراعي وخالق، وليس "أبًا بيولوجيًا."

متى 1:27–2 :

"ولما كان الصباح، تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع لكي يقتلوه. وبعد أن أوثقوه، ساقوه ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي".

قام زعماء اليهود بتحريض السلطة الرومانية للتخلص من المسيح، تحت ذريعة أنه "يدّعي أنه ملك اليهود" وهي تهمة تُعد تمردًا سياسيًا صريحًا ضد القيصر في نظر روما.

فكلمة "المسيح" (بالعبرية :משיח " المسيا") لم تكن تعني فقط "الرجل الصالح" أو "النبي"، بل كانت تشير إلى الملك المخلّص المنتظر من نسل داود، الذي سيحرر بني إسرائيل ويقيم مملكة الله على الأرض

إنجيل لوقا 2:23

"وَابْتَدَأُوا يَتَّهِمُونَهُ قَائِلِينَ: "إِنَّنَا وَجَدْنَا هذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ، وَيَنْهَى عَنِ دَفْعِ الْجِزْيَةِ لِجلالة القَيْصَرَ، وَيَقُولُ إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ، أَيْضًا مَلِكٌ!"

ثم في سفر العدد 3:

"فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ: "أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟" فَأَجَابَهُ: "أَنْتَ تَقُولُ".

إنجيل متى 27:11

"فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي، فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلًا: "أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟" فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "أَنْتَ تَقُولُ".

فصل: الصلب، القيامة، الفداء، عقيدة الثالوث المقدس

بعد محاكمة عيسى ابن مريم أمام الوالي الروماني بيلاطس، صاح اليهود مطالبين بصلبه:

في لوقا 23:21:

"فصرخوا قائلين: اصلبه! اصلبه"!

عدم وجود أي شهود عيان من أتباع يسوع على حادثة الصلب:

انسحاب التلاميذ وفرارهم: في انجيل مرقس 14:50 فتركه الجميع وهربوا" فالتلاميذ تخلوا عنه قبل القبض عليه، ولم يكن أحد من اتباعه موجود أثناء المحاكمة أو أثناء تنفيذ عملية الصلب.

تناقض روايات الصلب في الأناجيل:

نرى لاحقاً تناقضات في رواية الصلب والتي من المفترض أن تكون "أكثر اللحظات وضوحًا وتوثيقًا"، هي في الواقع الأكثر تناقضًا واختلافًا في تفاصيلها بين الأناجيل:

يوحنا 19:17 فخرج وهو حامل صليبه.. (يسوع بنفسه!)

مرقس 15:21 فوجدوا رجلاً قيروانياً اسمه سمعان.. فجعلوه يحمل الصليب!

يوحنا 1619:14 وكانت الساعة السادسة.. فأسلمه إليهم ليصلب!

مرقس 15:25 وكان نحو الساعة الثالثة فصلبوه!

ولكن: حسب ماورد في متى 5:4–6 وعده الله بحمايته من هذه المكيدة ورفعه اليه ونرى أن ادعاءهم صلب عيسى ابن مريم لم يحدث:

من النصوص التي تكشف بوضوح فشل مؤامرة الصلب وافتقارها للاتساق السردي وتناقضها، ما جاء في إنجيل متى حول تجربة الشيطان للمسيح، حيث تظهر بشكل لافت حقيقة أن يسوع كان مشمولًا بوعد إلهي صريح بالحماية من الله.

سياق القصة: تجربة يسوع في البرية

وذلك بعد أن تعمّد يسوع من يوحنا، تقول الرواية في إنجيل متى (الإصحاح 4) إنه اقتيد "بالروح" إلى البرية ليُجرب من إبليس. فصام أربعين يومًا وأربعين ليلة، ثم جاءه إبليس ليجربه بثلاث تجارب متتالية، في مشهد يهدف.. بحسب السرد الإنجيلي.. إلى اختبار هوية يسوع الحقيقية، وما إذا كان بالفعل "ابن الله."

(نود التنويه هنا بأن عبارة "ابن الله "في العبرية وفي الثقافة اليهودية هي:
"בֶּן־אֱלֹהִים(Ben Elohim) " تُستخدم مجازيًا، لا حرفيًا، وتعني "عبد الله "أو "المختار من الله "أو "المقرّب من الله .تُستخدم هذه العبارة في العهد القديم (التوراة والمزامير) للإشارة إلى:

جميع الأنبياء، أمثلة على ذلك: (آدم ابن الله) "لوقا 3:38 ، عن داوود:

"أنت ابني، أنا اليوم ولدتك) "مزمور 2:7

الملائكة :أيوب 1:6" :وجاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب".

يعقوب: "لما كان إسرائيل غلامًا أحببته، ومن مصر دعوت ابني" – هوشع 11:1

آدم: "ابن الله" لوقا 3:38

داود: "أنا أكون له أبًا، وهو يكون لي ابنًا" 2 صموئيل 7:14

إسرائيل: "ابني البكر إسرائيل" خروج 4:22

العبد البار: "طوبى لصانعي السلام، لأنهم يُدعون أبناء الله" – متى 5:9

وقد وضحنا سابقاً أن كلمة "الآب "تُستخدم في الكتاب المقدس بمعنى "الرب" أو "الإله "الذي يعتني ويرعى عباده، خاصة بني إسرائيل.

ملاخي 2:10" :أليس لنا كلنا أب واحد؟ أليس إله واحد خلقنا؟"

إشعياء 63:16" :فإنك أنت أبونا، وإن لم يعرفنا إبراهيم".

فالآب هنا يعني: الله كراعي وخالق، وليس "أبًا بيولوجيًا."

نكمل: "ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله، فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب: إنه يوصي ملائكته بك، فعلى أيديهم يحملونك، لكيلا تصدم بحجر رجلك."(متى 5:4-6)

"الشيطان هنا يقتبس من مزمور 91:

"لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك. على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك. الأسد والصِّلّ تطأ. الشبل والثعبان تدوس. (لأنه تعلّق بي أُنجيه. أرفعه لأنه عرف اسمي). يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق، أُنقذه وأمجّده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي."

وعد إلهي له بأن لا شر سيصيبه، ويوصي الملائكة ان تحفظه في حياته، وينجيه ولا يمسسه سوء ويرفع اليه ويعده بطول العمر" (هذا يدحض اختلاق قصة الصلب المزعومة في العصور اللاحقة).

"الذي في أيام جسده، إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسمع له من أجل تقواه". عبرانيين 5:7

والمسيحيين الأوائل (الناصريون) أتباع عيسى، وأيضاً الأبيونيون وهم الفرع اللاحق وامتداد عقائدي للناصريين " أنكروا صلب المسيح وقالوا أنه رفع الى السماء، ويعتقدون أن من صلب هو سمعان القيرواني، بينما المسيح عيسى ابن مريم كان يشاهد من بعيد ساخراً من خطأ الصالبين"

بعد رفع المسيح إلى السماء:

بعد رفع المسيح وبدء دعوة تلاميذه بين يهود فلسطين والشتات، بدأ الحاخامات يدركون أن الحركة الناصرية تهدد تماسك الجماعة اليهودية من الداخل، خاصةً أن أتباع يسوع ظلوا يحافظون على هويتهم اليهودية، ، لكنهم في ذات الوقت آمنوا بأن عيسى ابن مريم هو المسيّا المنتظر(المسيح): فبدأ الحاخامات والسلطة الدينية اليهودية بملاحقة الناصريون (أتباع يسوع الناصري)، وكل من بقي يؤمن بالمسيح تم اضطهاد وتم قتل جزء كبير من اتباعه واصدر الحاخامات حكماً بأن اليهودي الذي يؤمن بالمسيح يعتبر مرتد وخائن وتم طرد الناصريين رسميًا من المجامع وأصبح أخطر عدو لليهود هو اليهودي الذي يتبع عيسى.

ففي نهاية القرن الأول، أصدر الحاخام جمليئيل الثاني (رئيس السنهدريم في يمنيا) إضافة إلى الصلاة اليومية (**שמונה עשרה** شيمونه عَسريه) تُسمى "بركات المنشقين**Birkat haMinim** "، وجاء فيها:

"أما الواشون فلا يكن لهم رجاء، وجميع الهراطقة فليبادوا في لحظة، وجميع أعدائك سريعًا فليُقطعوا، ولتُقلع وتُكسر وتُحطم وتُذل المتكبرين سريعًا في أيامنا.." (التلمود البابلي، بركات 28ب)

ونجد النص يذكر الناصريين بالاسم في مخطوطات جنيزة القاهرة، وهي من أقدم المخطوطات المكتشفة من صلوات اليهود (القرن 10–11م) تحتوي على نسخة موسعة من هذا اللعن والتي كانت موجودة بالصلوات تقريبًا منذ فترة مبكرة) القرن 3–6م جاء فيها بالنص العبري:

"**וְיִהְיוּ נוֹצְרִים וּמִינִים כְּרֶגַע יֹאבֵדוּ**"

أي: "ولينذثر الناصريون (المسيحيون أتباع عيسى) والهراطقة في لحظة."

فاللعن كان موجهاً صراحةً إلى أتباع المسيح من اليهود الناصريين، واعتُبروا رسميًا خارجين عن الدين، يُلعنون ثلاث مرات يوميًا.

وليس هذا توثيقًا يهوديًا فحسب، بل نجد تأكيدًا له من شهادة آباء الكنيسة أنفسهم. إذ كتب القديس إبيفانيوس القبرصي (315–403م) في كتابه **Panarion**:

"ليس فقط أن اليهود يكرهون الناصريين، بل إنهم يقومون ثلاث مرات يوميًا .. صباحًا وظهرًا ومساءً .. في مجامعهم، ويلعنونهم قائلين: 'ليلعن الله الناصريين.' لأنهم وإن كانوا من أصل يهودي، يكرزون أن يسوع هو المسيّا."

ونجد في الانجيل (يوحنا 22:9)، تأكيد على أن اللعن كان منهجيًا ومتكررًا، وتم استخدامه كأداة لطرد الناصريين وشيطنتهم أمام العامة. وكيف اتخذوا الحاخامات اليهود قرارًا جماعيًا بطرد كل من يعترف أن يسوع هو المسيح المنتظر:

"قال أبواه هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود، لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أن يطردوا من المجمع كل من يعترف أن يسوع هو المسيح". يوحنا 22:9

اختراق المسيحية من الداخل:

لكنهم سرعان ما اكتشفوا أن محاربة هؤلاء علنًا لن تؤتي ثمارها. لذا لجأوا إلى استراتيجية أخطر وهي استراتيجية اختراق الدين من الداخل وذلك بزرع فتنة عقائدية تُفرغ الرسالة من مضمونها وتحرفها عن أصلها لهدف إقصائها عن اليهودية وهنا ظهر .بولس (شاول الطرسوسي) يهودي فريسي متشددًا، تحت الحماية الرومانية، تتلمذ على يد الحاخام غمالائيل الفريسي، وهذا جعله مؤهل ل لعب هذا الدور.

بولس كان يكره أتباع المسيح ويعاديهم أشد العداء ويعتبرهم طائفة خارجة عن الدين اليهودي كان من أشد المضطهدين لأتباع المسيح، حيث لاحقهم، وسجن كثيرًا منهم، بل وشارك في قتل بعضهم كما في حادثة رَجم استفانوس. وهي أول حادثة قتل ديني رسمي بحق أتباع يسوع بعد رفعه، (استفانوس، أحد تلاميذ المسيح اتُّهم بالتجديف وقتله اليهود رجمًا بالحجارة).

"فصاحوا بصوت عظيم، وسدّوا آذانهم، وهجموا عليه بنفس واحدة، وأخرجوه خارج المدينة ورجموه". (أعمال 7:57–58)

وبعدها بدأت حملة اضطهاد موسعة بحق الناصريون أتباع المسيح الأوائل، (أعمال الرسل 8:1):

"وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة... وكان شاول (بولس لاحقًا) يسطو على الكنيسة، يدخل البيوت ويجر رجالًا ونساءً ويسلمهم إلى السجن".

أعمال الرسل 9:26–11 بولس يعترف باضطهاده للمسيحيين

"فحبست كثيرين من القديسين في السجون، وكنت أعذبهم مرارًا كثيرة في جميع المجامع، وأضطرهم إلى التجديف".

بولس يصبح رسولاً مفوض من المسيح:

لكن حملة الاضطهاد لم تؤدِّ إلى إخماد الدعوة، بل زادت أتباع المسيح صلابة وانتشارًا، مما وضع شاول الطرسوسي، ذلك اليهودي الفريسي المتشدد، في مأزق نفسي وسياسي. فبعد أن فشل في القضاء على هذه الطائفة "العنيدة"، فجّر مفاجأته، وفق الرواية، وادّعى أنه، بينما كان في طريقه إلى دمشق لملاحقة بعضهم، يقال إنه رأى رؤية نورانية وسمع صوتًا يقول له: "شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟"، فأدرك بسرعة أنه المسيح، فزعم أنه تاب وتحول من مضطهد إلى مبشر رسول، انقلب مباشرة في نفس اللحظة 180 درجة من عدوّ لدود إلى رسول

مبشّر، بل الأهم والأعظم بين الحواريين، رغم أنه لم يرَ ولم يقابل المسيح في حياته قط، بدأ بإدعائه أنه يملك وحيًا مباشرًا من الله ورؤى شخصية دون الرجوع إلى مصدر تعاليم عيسى نفسه .

وهكذا، دخل شاول والذي غيره اسمه الى (بولس) المسرح الكنسي من أوسع أبوابه: لا بصفته تلميذًا لعيسى، بل كنبيّ بديل، صاحب وحي خاص ورسالة مستقلة. ومن خلال هذا الانقلاب العجيب، بدأت ملامح الانحراف في العقيدة، حيث نقلها من توحيد عيسى إلى تأليه عيسى، ومن التوراة إلى الأساطير والفلسفة الوثنية.

رؤية بولس:

نجد الروايات تختلف في كل مرة تُروى (في أعمال الرسل: إصحاح 9، و22، و26)، فتارة سمع الصوت دون أن يرى، وتارة رأى النور وسقط أرضًا، وتارة قيل إن من معه سمعوا ولم يفهموا...

بعد ادعائه قام بابتداع دين جديد وبدأ يبشّر بتعاليم جديدة تختلف جذريًا عن رسالة المسيح الأصلية، فاستبدل الشريعة بالكامل، وأدخل مفاهيم غريبة مثل خطيئة أدم الموروثة التي لا تكفر، الا بالخلاص عبر صلب المسيح، بل بدأ يوسّع دعوته نحو الوثنيين، مفصولًا عن تعاليم المسيح التي كانت موجهة لبني إسرائيل ومتمسكة بالشريعة. وبذلك، يرى كثير من العلماء والباحثين أن ما أسسه بولس كان ديانة جديدة بالفعل لم يكن مجرد تائب، بل صاحب مشروع لتفريغ دعوة المسيح من مضمونها، أبرزهم:

بارت إيرمان :قال إن بولس هو المؤسس الحقيقي للمسيحية، لا المسيح

هيليموت كويستر وجون دومينيك كروسان :اعتبرا بولس مهندسًا دينيًا، لا تابعًا.

هانس كونغ (الكاثوليكي): رأى أن بولس لم ينقل المسيحية، بل أسس ديانة جديدة تمامًا.

"إن ما فعله بولس لم يكن مجرد تبشير... بل إعادة تشكيل للدين نفسه"

فصل: كيف قام بولس بتحويل رسالة المسيح إلى ديانة وثنية رومانية؟

بعد ادّعائه أنه رأى المسيح في رؤيا غيبية، كما يذكر في (أعمال الرسل 9)، قدّم بولس رواية ذاتية فريدة عن لقائه بالمسيح لا شهود عليها، ولم تكن رؤية حسية أو جسدية، بل تجربة داخلية ذات طابع رؤيوي، فالدعوة هنا لم تُنقل من معلم إلى تلميذ، بل من "وحي خاص من المسيح نفسه" لشخص لم يعش مع المسيح إطلاقًا. وبناءً على تلك الرؤيا بدأ بولس ببناء دعوة جديدة، مفصولة تماماً عن رسالة المسيح الأصلية، ومناقضة لها في جوهرها، حيث:

عقيدة الخطيئة الأصلية(**Original Sin**) والفداء وإلغاء الشريعة:

"بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس." (رومية 5:12).

تقوم عقيدة الفداء في المسيحية على تصور غريب وخارق للعقل والمنطق الأخلاقي: أن خطيئة آدم بأكله من الشجرة، لم تكن مجرد معصية فردية، بل كانت جريمة كونية لم تُغتفر، فانتقلت كإرث وراثي إلى كل البشر، ليولدوا مذنبين تلقائيًا. ويزعم بولس مؤسس المسيحية أن حلّ مشكلة عقيدة الخطيئة الأصلية لا يكون بالتوبة ولا بالرحمة، بل بصفقةٍ كونية: حيث يقرر الإله أن يرسل "ابنه الوحيد" إلى الأرض، ليُصلب ويُعذَّب ويُقتل، حتى يُرضي بذلك غضبه، وتُغفر الخطيئة الأولى" !

ورغم اتفاق الكنائس الكبرى المعاصرة (الكاثوليكية، البروتستانتية، الأرثوذكسية) على عقيدة الخطيئة الأصلية، إلا أن تفسيرها يختلف، حيث تعتبر الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية الخطيئة ذنبًا موروثًا، بينما تعتبرها الكنيسة الأرثوذكسية فساد موروث في الطبيعة الإنسانية.

"بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس) "رومية 5:12

الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار بره، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة". (رومية 3:25)

إذ كنا بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا"(رومية 5:8)

"جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا" (كورنثوس 5:21).

قدم المسيح نفسه ذبيحة... لكي يُطهّر الضمير" (عبرانيين 9:14).

قدم المسيح نفسه لله بلا عيب... مرة واحدة، ليحمل خطايا كثيرين "(عبرانيين 9:28).

"ليس بأحد غيره الخلاص" (أعمال 4:12)

وبذلك، يصبح الخلاص متاحًا فقط عبر الإيمان بدم المصلوب، لا بالأعمال ولا بالتزكية، ولا حتى بالتوبة والإصلاح؛ بل يكفي أن تؤمن أن المسيح مات من أجلك، لتُغفر لك جميع الذنوب، وتدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب مهما فعلت من خطايا في الدنيا، كما قال بولس في (غلاطية3:13):

"المسيح افتدانا من لعنة الناموس (الشريعة)، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلِّق على خشبة".

يستشهد بولس بتثنية 21:23" :المعلق على خشبة (المصلوب) ملعون من الله".

فيربط بين المسيح المصلوب و"اللعنة الإلهية، أي أن الذي صُلب هو شخص ملعون من الله وحلت عليه لعنة الخطيئة الأولى على ابن الله المسيح، .. نجد بولس هنا كان يزرع بذكاء طعنًا ضمنيًا في يسوع، متسترًا بعباءة الإيمان، ويُقدِّم للمشككين ذخيرة قوية للطعن في المسيح عيسى ابن مريم، بذكاء ودهاء وبشكل غير مباشر. ، فحسب الشريعة لا يمكن أن يكون عيسى نبيًا والمسيح المخلص، لأن النبي لا يكون "ملعونًا من الله."

ليس من أعمال لكي لا يفتخر أحد "أفسس 2:9.

"قد أمتنا للناموس "رومية 7:4.

"محى الصك الذي علينا... ورفعه من الوسط، مسمرًا إياه بالصليب" كولوسي 2:14

"يا أغبياء الغلاطيين، من رقاكم؟ "(حتى لا تذعنوا للحق؟) غلاطية 3:1

هؤلاء الذين يريدون أن يعملوا الناموس هم غيورون عليكم، ولكن ليس حسنًا" غلاطية 4:17
"إن كان بالناموس برّ، فالمسيح إذًا مات بلا سبب) "غلاطية 2:21

إلغاء الشريعة والتمسك بالتعاليم وأداء الأعمال:

بناءً على عقيدة الفداء، قام بولس بإلغاء الشريعة اليهودية والتعاليم والأعمال التي تمسك بها المسيح ودعا إليها (متى 5:17). "ما جئت لأنقض الناموس، بل لأُكمل".
"ليس من أعمال لكي لا يفتخر أحد "(أفسس 2:9).
"قد أمتنا للناموس(الشريعة)" (رومية 7:4)
"محى الصك الذي علينا... ورفعه من الوسط، مسمرًا إياه بالصليب"(كولوسي 2:14)
"يا أغبياء الغلاطيين، من رقاكم؟ "(حتى لا تذعنوا للحق؟) (غلاطية 3:1)
"هؤلاء الذين يريدون أن يعملوا الناموس هم غيورون عليكم، ولكن ليس حسنًا" (غلاطية 4:17)
"إن كان بالناموس برّ، فالمسيح إذًا مات بلا سبب) "(غلاطية 2:21)

المسيح كان واضحًا في دعواه بضرورة احترام الناموس والعمل به. لكن بولس اعتبر الشريعة لعنة وسببًا للهلاك، ووصف التمسك بها بأنه جهل وغباء (كما في غلاطية). هذا يقلب المفهوم من ديانة تُعظّم طاعة الله إلى دعوة تُحقرها. وقال إن الخلاص يكون بالإيمان فقط، لا بالأعمال ولا بالطاعة ولا بالتوبة وطلب المغفرة.

"بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عبرانيين 9:22)

بولس حاول تبرير هذا النموذج من خلال إشارات مبهمة إلى التوراة، ولكن لا وجود في العهد القديم لفكرة تقول إن الله لا يرضى إلا بسفك دم إنسان بريء نيابة عن خطيئة أشخاص آخرين.
بل إن النص التوراتي يقول:
"لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يُقتل ".تثنية 24:16
إرميا 29:31–30
"لا يعد أحد يعاقب عن خطيئة الأب، بل كل واحد يعاقب عن خطيئته هو."

أيضاً بحسب التوراة المغفرة تتطلب توبة صادقة وطلب المغفرة من الله فقط ولاتحتاج الى قتل انسان بريء، حسب سفر حزقيال 18:21–23:

"وأما الشرير إذا تاب من كل خطاياه التي ارتكبها وأحفظ كل فرائضي وعمل بالعدل والحق فهو حي ويحيى. كل خطاياه التي عملها لا تُذكَر له. جميع بره الذي عمله يُذكَر له. أفهل أحب موت الشرير أكثر من أن يرجع الشرير عن طرقه ويحيى؟ يقول السيد الرب.

والمضحك أن بولس يناقض نفسه في رومية 14:12

"فكل واحد منا سيُحاسب عن نفسه أمام الله."

أي كل إنسان مسؤول عن نفسه، وسيقف أمام الله ليعطي حسابًا شخصيًا عن أعماله ولا يوجد توريث خطايا ولا عقاب عن ذنب الآخرين.

ومأمر به لاحقاً من نبذ الشريعة والتخلي عن العبادات، مخالف لأقوال المسيح وتعاليمه التي أكدت وحثت على الالتزام بالشريعة كشرط للنجاة:

"إن أردت أن تدخل الحياة الأبدية (الحياة الأبدية والمغفرة من الله، والتي شرطها الطاعة والعمل بالوصايا) ، فاحفظ الوصايا. قال له: أية الوصايا؟ فقال يسوع: لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك. وأحبب قريبك كنفسك". (متى 17:19–19)

قال الشاب: هذه كلها عملت بها منذ صغري، ركّز يسوع على الوصايا الأخلاقية بالإضافة إلى الوصايا التعبدية، لأن السائل كان من خلفية يهودية متدينة، يلتزم بالصلاة والصوم والعبادة بالفعل وفي موضع آخر قال المسيح بوضوح: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمّل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكل ".(متى 17:5–18). ولأنه بحسب سفر التثنية أي نبي يخالف أو يحاول إلغاء الشريعة هو نبي كاذب.

ونرى الشاب يعلم مسبقاً حتى الوصايا الأخلاقية، لكن المسيح ذكره بها. حيث شدد المسيح مسبقًا في مواضع أخرى على أهمية الصلاة والصدقة والصوم كأعمال ضرورية.

"وأكد على أهمية المداومة على الصلاة دون ملل، كما يظهر في (إنجيل لوقا 1:18)، حيث يضرب يسوع مثلاً بوجوب الصلاة الدائمة والمثابرة، حتى ولو شعر الشخص باليأس أو الملل."، وأن تكون مخلصة لله وحده دون رياء:

"اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة) "(متى 26:41)

"ومتى صليت فلا تكن كالمرائين"، "ومتى صمت "...(متى 6:5، 16) "أبوك الذي يرى في الخفاء، هو يجازيك علانية ".(متى 6:4، 6، 18).

"إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السماوات". (متى)5:20 (الفريسيون كانوا صارمين في الشريعة. فكيف يزيد "برنا" عليهم إلا بمزيد من النية والعمل).

وفي (متى 23:2–3) شدد على الالتزام بالتعاليم الشرعية التي يقدمها الكتبة والفريسيون (من التوراة):

"على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه".

(متى 6:9):

"فصلّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك"...

وكان هو نفسه يبيت في الصلاة لله (لوقا 6:12)

ونراه في (متى 16:27). يشدد على أن العقاب والثواب مبنيان على "العمل"، لا "الإيمان فقط."فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكة أبيه، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله"

(يعقوب 2:14):

"ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيمانًا ولكن ليس له أعمال؟ هل يقدر الإيمان أن يخلّصه؟"

"توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السماوات "(متى 4:17)

"إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون) "(لوقا 13:3)

"ليس كل من يقول: يا رب، يا رب، يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات".

(متى 7:21)

"الإيمان بدون أعمال ميت". (رسالة يعقوب 2:26)

الحث على الصدقة "اذهب وقم ببيع كل ما عندك وأعطه الفقراء فيكون لك كنز في السماء" (لوقا 18:23)

في (متى 7:26):"وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها، يُشبَّه برجل جاهل، بنى بيته على الرمل".

(ارحموا تُرحموا... اغفروا يُغفر لكم) لوقا 36:6–37

في الصلاة الربانية "واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا". (متى 6:12)

متى 6:6: "وأما أنت فمتى صليت، فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك، وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية".

مواجهة بولس في أورشليم:

وقد قوبل بولس برفض حينما وصل إلى أورشليم، حاصره يعقوب واتباع المسيح، قالوا له:

"وقد أُخبروا عنك أنك تعلّم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى، قائلاً أن لا يختنوا أولادهم، ولا يسلكوا حسب العوائد) ".(أعمال 21:21)

وطلبوا منه أن يُثبت التزامه بالشريعة في طقس يهودي علني لتبديد الشكوك:

"افعل هذا الذي نقول لك: عندنا أربعة رجال عليهم نذر، خذ هؤلاء وتطهّر معهم، وانفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم، فيعلم الجميع أن ليس شيء مما أُخبروا عنك، بل إنك أنت أيضًا تسلك حافظًا للناموس "(أعمال 21:24)

"فأخذ بولس الرجال في الغد، وتطهّر معهم، ودخل الهيكل مُخبرًا بكمال أيام التطهير" (أعمال 21:26).

وهكذا، لم يُدافع بولس عن نفسه، ولم يُنكر التهمة، بل انصاع لأوامر يعقوب والرسل، وأظهر التزامًا علنيًا بالشريعة، محاولًا تهدئة مخاوف الآلاف من المؤمنين الغيورين للناموس. هذا الموقف يكشف حجم التوتر والخلاف بين بولس وأتباع المسيح الأصليين، وأنه لم يكن في موقع توافق تام معهم، بل سعى إلى امتصاص الاعتراضات وإظهار الولاء الشكلي، رغم أن تعاليمه في رسائله كانت تُناقض ذلك تمامًا.

تأليه المسيح عيسى ابن مريم

بدأ بولس في تأسيس لاهوت جديد، منفصل جذريًا عن رسالة المسيح وموسى الأصلية ، إذ أعاد تقديم المسيح لا كنبي ورسول كم يؤمن به أتباعه الأوائل (الناصريون كانوا يعتبرونه عبدًا لله، نبيًا مكرمًا، لا إلهًا).، بل ككائن إلهي يشترك مع الله في الألوهية والخلق والعبادة، وهو ما لم يقله المسيح عن نفسه في أي موضع، ولم يؤمن به أتباعه.

بينما تعبير "ابن الله" في السياق اليهودي كان يُستخدم مجازًا للأنبياء والصالحين (كما في المزامير)، فإن بولس جعله جوهريًا في العقيدة. بدأ يوصف المسيح بأنه "ابن الله" بمعناه الحرفي:

"الله أرسل ابنه مولودًا من امرأة"...
(غلاطية 4:4)

"إن كان الله معنا، فمن علينا؟... الذي لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا جميعًا"(رومية 8:31–32)

كورنثوس 8:6 "لكِنَّ لَنَا إِلهًا وَاحِدًا: الآبُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ وَنَحْنُ لَهُ، وَرَبًّا وَاحِدًا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، الَّذِي بِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَنَحْنُ بِهِ"

كولوسي 2:9 "فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا"

كولوسي 1:15–17 "الذي هو صورة الله غير المنظور... به خُلق الكل"...

تقديمه كمساوٍ لله في المجد (رومية 9:5).

وأصبح يدعو الوثنيين للأيمان بهذه العقيدة: " ليس يهودي ولا يوناني... لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع"(غلاطية 3:28)

وقطع علاقته عمليًا مع شريعة بني إسرائيل، مخالفًا تعاليم المسيح نفسه الذي قال:"لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (متى 15:24)

أيضاً في متى 10:5–6 يوصي يسوع تلاميذه: " لا تذهبوا الى الأمم، ولا تدخلوا مدينة السامريين، بل اذهبوا بالحري الى خراف بني إسرائيل الضالة".

ولكن بولس أيضاً عارض ذلك: "لأمم (الوثنيون) شركاء كاملون دون الختان ولا الشريعة"

لكن الوثنيين لم يتقبلوا دعوته، فنجد الوثنيون في الإمبراطورية الرومانية وهم أصحاب عقائد متعددة الآلهة والقرابين، قد تعجبوا من عقيدة الصلب والفداء المسيحية، واعتبروها ضربًا من اللامعقول: إله يضحي بنفسه لنفسه ليغفر للناس خطيئة لم يرتكبوها!

يقول بولس: في كورنثوس الأولى 1:23
"فكرة الصلب بالنسبة للوثنيين (اليونانيين والرومان) "جهالة "وسذاجة.

لأن لدى الوثنيين أن يُصلب إنسان، يعني أنه نكرة، ملعون، ليس من كرامة الأحرار"! وبحسب ويقول المؤرخ الروماني شيشرون(**Cicero**) إن مجرد التفكير في الصلب، ليس فقط رؤية ذلك أو احتماله أو تحمّله، بل حتى الحديث عنه، يجب أن يُبعد عن أي مواطن روماني يحترم نفسه.

ومن أوضح الشواهد التاريخية على سخرية الوثنيين الرومان من عقيدة الصلب هو نقش غرافيتي روماني يعود للقرن الثاني الميلادي، يُعرف بـ **Alexamenos Graffito**، وجد في روما:

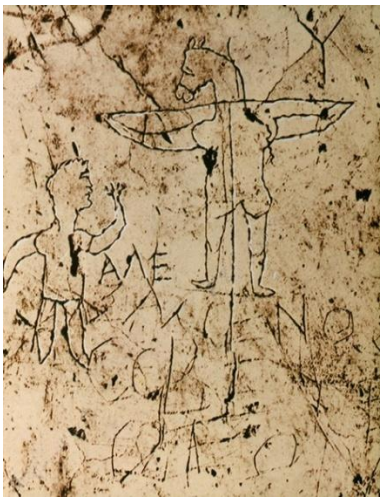

حيث يُظهر النقش رجلاً يُعبد مصلوبًا برأس حمار، مكتوب بجانبه:

"**Alexamenos worships his god**"

أي: "أليكسامنوس يعبد إلهه"، في سخرية واضحة من صلب الإله.

فبحسب الباحثين، الرومان والوثنيون لم يتقبلوا فكرة أن "إلهًا" يمكن أن يُصلب. حيث إن الصلب كان عندهم أشنع وسيلة إعدام مخصصة للعبيد، الثوار، والمجرمين من الطبقة الدنيا فقط، ولم يكن يُستخدم ضد المواطنين الرومان. وكان يُعد أكثر العقوبات إذلالًا، لذلك، فإن ادعاء أن "الإله المخلّص" قد صُلب، كان صادمًا وغير مقبول لا لليهود فحسب، بل أيضًا للرومان أنفسهم. فكيف يُعقل أن يُصلب إله؟!

لذلك، اعتبروا أن أليكسامنوس (المسيحي الظاهر في الرسم) يعبد "إلهًا مهانًا"، يستحق السخرية لا التقديس.

فرأس الحمار هي رمز الإهانة القصوى، رمزًا يستخدم للسخرية والغباء عند الرومان، كان يُستخدم لوصم أي دين يُعتبر غريبًا أو مضحكًا، وهنا يُقصد به إما أن إلهه "أحمق" لأنه قُتل، أو أن عبادة هذا الإله بحد ذاتها "حماقة وغباء".. دين غريب، ساذج، يدعو لعبادة مصلوب، ويستحق السخرية.

فهذه الرسمة اعتُبرت دليلاً مبكرًا على احتقار الرومان لفكرة عبادة إله مصلوب، وهو ما ينقله المؤرخون مثل:

الباحث لاري هورتادو يقول: بالنسبة للروماني، كانت فكرة أن يُعدم إله مثل المجرمين ليست فقط غبية، بل مثيرة للاشمئزاز، صلب الإله شيئًا ، لا يُصدق، ويستحق الازدراء.

المؤرخ روبرت ويلكن يقول : في كتابه "كما رآهم الرومان **The Christians as the Romans**) " (**Saw Them**، حلل كيف كان الرومان ينظرون بازدراء للمسيحيين، وخصوصًا لفكرة "الإله المصلوب" التي كانت صادمة تمامًا لعقليتهم. ففي الثقافة الرومانية، الإله يجب أن يكون قويًا، منتصرًا، لا يُهان ولا يُصلب.

كما صرح بولس في كورنثوس الأولى **1:23**:

"لكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبًا، لليهود عثرة، ولليونانيين جهالة". لليهود عثرة:لأن النبي لا يُقتل بهذه الطريقة المهينة في الفكر اليهودي، ولا يمكن أن يكون الإله جسدًا يُهان ويُصلب، فبحسب مازرد في (سفر العدد **23:19**): " الله ليس إنسانًا ، ولا ابن إنسان " ،وفي (هوشع **11:9**). "لأني أنا الله لا إنسان" .

ولأن العهد القديم (التوراة) تقول في سفر الملوك الأول **8:27** و سفر أخبار الأيام الثاني **6:18** ومواطن أخرى، الله خالق السماوات والأرض وكل ما فيهما، ولا يُحد بحدود مكانية، فكيف يمكن أن يحتويه رحم امرأة؟

ولأن الخطيئة لا تورث، سفر حزقيال **18:20**

"النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن. برّ البار يكون عليه، وشر الشرير يكون عليه".

سفر التثنية **24:16**

"لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يُقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يُقتل".

ولأن التوبة في منطق الأنبياء لا تتطلب أكثر من الإقلاع عن الذنب، والرجوع إلى الله بالأعمال الصالحة، وليس الدخول في سيناريو معقد يقوم على ولادة ابن لله ثم صلبه تكفيرًا عن خطايا غيره؛ فإن نصوص العهد القديم تهدم هذا المفهوم من جذوره.

يقول الله على لسان حزقيال:(**18:21–23**)

"وأما الشرير إذا تاب من كل خطاياه التي ارتكبها وأحفظ كل فرائضي وعمل بالعدل والحق فهو حي ويحيى. كل خطاياه التي عملها لا تُذكَر له... أفهل أُسرّ بموت الشرير، يقول السيد الرب، ألا برجوعه عن طرقه فيحيا؟"

ولذلك رفض أتباع المسيح الأوائل كالناصريين والأبيونيين تأليه المسيح، ورفضوا بولس وتعاليمه الوثنية، واعتبروه مرتدًا عن الشريعة، ومهرطق ومخترعًا لعقائد جديدة لم يقلها المسيح قط ولم يعلمها في حياته.فبحسب كتابات إبيفانيوس – (Epiphanius) وهو أحد آباء الكنيسة الذين حاربوا الناصريين يذكر في كتابه :Panarion

"الناصريون لا يقبلون بولس، ويعتبرونه مرتدًا عن الشريعة... وجاء ليخدع الأم"

وبحسب الباحثين: المسيحيون اليهود التقليديون (المعروفون في بـ"الناصريين" أو "الأبيونيين")، هم يقرّون بكل شيء كما يقول الناموس والأنبياء... ويقرؤون العهد القديم والعهد الجديد ... هم يختلفون عن اليهود بسبب إيمانهم بالمسيح. لكنهم لا يتفقون مع المسيحيين لأنهم لا يزالون ملتزمين بالختان والسبت، هم "مكروهون" في المجامع اليهودية بسبب "إيمانهم بأن يسوع هو المسيح"، ويمتنعون عن الكتابة بنصوص بولسية. كانوا:يرفضون ألوهية المسيح، ويلتزمون بالشريعة اليهودية (الختان، السبت، الطعام الطاهر...). ويرفضون بولس وتعاليمه.

وفي كتاب Recognitions of Clement المنسوب إلى بطرس، يُتهم بولس بأنه:

"عدوّ الرجل البار [أي عيسى]، وجاء ليحرّف كلماته."وجاء أيضاً في موسوعة Catholic Encyclopedia:

أن "الإبيونيون كانوا يعتبرون بولس دخيلاً، وأنه لم يكن تلميذًا حقيقيًا للمسيح، وأنه حرف الدين وألغى الشريعة ليوافق الوثنيين".

يقول بولس: فإن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أُدان أنا بعد كخاطئ؟"(رومية 3:7).
بولس لا ينفي الكذب، بل يُبرر أنه يكذب من أجل "مجد الله!" أي أنه يتعامل مع الكذب كوسيلة مشروعة إذا كانت تخدم هدفه اللاهوتي.

"صرت لليهود كيهودي... وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس... صرت للكل كل شيء "
كورنثوس الأولى 20:9–22

وقد أكد عدد كبير من الباحثين الغربيين،أن عقيدة الصلب والفداء المسيحية لم تكن سوى امتداد لرموز وثنية سبقتها بقرون. ففكرة "الإله الذي يموت ليُكفّر" كانت راسخة في أديان مصر وبابل وروما، وقد كشف فرانز كومون التشابه المذهل بين طقوس ديانة ميثرا والمسيحية البولسية .

والمفارقة أن بولس نفسه يقول في رومية 1:23:

"أبدلوا مجد الله غير الفاسد بشبه صورة الإنسان الفاسد".

أي أن بولس يهاجم الوثنيين لأنهم استبدلوا عبادة الله بعبادة إنسان فانٍ .. لكنه في الوقت نفسه هو الذي حوّل يسوع الناصري، النبي المرسل، إلى "إله مصلوب" وفق الطقس الوثني ذاته الذي أنكره!

قيامة المسيح :

بعد أن وجد بولس نفسه أمام مشكلة جوهرية وهي الفشل في إقناع الوثنيين في "إلهًا" تعرّض للضرب والإهانة والصلب كالمجرمين، وهي صورة تمثل قمة العار في العقل الروماني .. أصبح بحاجة ماسة إلى فكرة تُعيد لهذا "الإله" الهيبة والمهابة. فلم يجد بولس أمامه أنسب من روايات القيامة لتأويلها، وتحويلها من مجرد "حدث غامض، إلى الركيزة المركزية في لاهوته الجديد، مقدّمًا المسيح على أنه "الإله الذي هزم الموت". وهكذا قام بتحويل روايات القيامة إلى الركيزة الجوهرية في لاهوته، والبرهان الأعظم في نظره على ألوهية المسيح.

تناقض روايات القيامة: من دحرج الحجر؟ ومن رأى يسوع؟

تُعد رواية القيامة في نظر بولس، مركز العقيدة كلها، لكن حين نقرأ الأناجيل الأربعة، نُفاجأ بأنها متضاربة في عناصر سرد رواياتها :الزمان، والمكان، وهوية الشهود، وما إذا كان يسوع قد ظهر فعلاً بعد قيامته.
بل إن الروايات تتعارض في أساسيات لا يُتصور أن تختلف لو كان الحدث حقيقيًا، مرصودًا، محفوظًا من شهود

عيان. فنجد كل كاتب أعاد تأليف القصة بطريقة مختلفة لتناسب لاهوته ورسالته.. قبل الروايات سنستعرض أبرز أراء العلماء والباحثين:

John Dominic Crossan عالم النقد النصي للعهد الجديد يقول:

"لم تحدث القيامة كحدث جسدي فعلي، بل هي تعبير رمزي نُسج لاحقًا لبعث الأمل في نفوس التابعين".

Bart D. Ehrmanعالم النقد النصي

"روايات القيامة في الأناجيل متضاربة بشكل لا يمكن التوفيق فيه. لا يمكنك تصديقها كلها، لأن بعضها ينقض بعضًا".

Gerd Lüdemannأستاذ العهد الجديد – جامعة غوتنغن:

"القيامة ليست أكثر من تجربة داخلية روحية للمؤمنين الأوائل، وليست حدثًا تاريخيًا"

Geza Vermesخبير في اليهودية والمسيحية المبكرة – جامعة أوكسفورد:

"روايات القيامة هي الأكثر تلاعبًا لاهوتيًا في الأناجيل، ولا يمكن الاعتماد عليها كشهادات تاريخية".

Raymond E. Brownلاهوتي كاثوليكي معتمد من الفاتيكان:

"ليس لدينا تقارير شهود عيان حقيقية للقيامة. معظم الروايات تُبنى على تقليد شفوي متأخر".

الروايات كما وردت في الأناجيل:

متى 28:2" :حدث الزيارة بعد فجر الأحد، وإذا زلزلة عظيمة حدثت وملاك نزل من السماء، دحرج الحجر ثم جلس عليه.. وخاف الحراس جدًا، وصاروا كالميتين.. وظهر يسوع للنساء أثناء عودتهن من القبر.

مرقس 16:4 :حدثت الزيارة عند طلوع الشمس، ووجدوا الحجر مدحرجًا مسبقًا، ورأين شاباً يجلس على اليمين.. لم يظهر يسوع، بل شاب أخبرهن أنه قد قام.

لوقا 24:2 :حدثت الزيارة عند الفجر ولم يجدن جسد الرب، وكُنَّ في حيرة. وإذا برجلين بثياب لامعة وقفا بجوانهن.. ولم يظهريسوع بل رجلان أعلنا الخبر فقط.

يوحنا 20:1 :حدثت الزيارة عند الظلام، وصلت مريم فوجدت الحجر مرفوعًا، بلا أي تفسير، وقالت: أخذوا الرب من القبر، ولا ندري أين وضعوه. ثم ظهر يسوع بنفسه لمريم فقط، لكنها ظنته البستاني! (كيف يخطئ المرء بين الله المتجسد، وبستاني؟!.).

"إن ظهور يسوع لمريم المجدلية على أنه البستاني لا وجود له في أقدم المخطوطات مثل السينائية والفاتيكانية. فالتفاصيل التي تزعم رؤيتها للمسيح وخلطها بينه وبين بستاني أُضيفت لاحقًا لإضفاء طابع مرئي وحسي على رواية القيامة. أما النص الأقدم فيكتفي بالإشارة إلى القبر المفتوح وغياب الجسد دون أي ذكر لظهور المسيح في جميع الأناجيل. فهذه الإضافة ليست إلا محاولة متأخرة وبائسة لتعزيز قصة القيامة وتحويلها من غياب غامض للجسد إلى حدث ملموس يوظّف لإقناع القراء".

في حدث يُفترض أنه أعظم معجزة في التاريخ، قيامة الإله المصلوب من القبر نصطدم بتناقضات جوهرية بين روايات الأناجيل الأربع، بل ونجد إضافات نصية أُدخلت لاحقًا لتعويض هذا الاضطراب لمحاولة إقناع القارئ بظهور المسيح بعد الصلب. إن هذا الاضطراب النصي والتحريف المتكرر يطرحان إشكالات عميقة حول تماسك العقيدة نفسها. فإذا كانت شهادة القيامة، وهي الركيزة الأساسية للعقيدة المسيحية، بهذا التناقض والاضطراب، فعلى أي أساس تُبنى العقيدة بأسرها؟"

رغم تلك التناقضات والروايات المتضاربة، فقد جعلها بولس الأساس الذي تقوم عليه المسيحية الجديدة والتي يبشر بها ، فكي يُخرج صورة "الإله المصلوب" من دائرة العار والسخرية، لا يكفي أن يقول إن المسيح صُلب لأجلهم، بل يجب أن يثبت أنه قام من الموت، وأن قيامته دليل على ألوهيته. ومن هنا، بدأ بولس يصوغ مفاهيم الخلاص بناءً على هذا الحدث وحده:

فبينما كانت تعاليمه الأولى تؤكد أن الغفران والحياة الأبدية تُنال فقط بالإيمان بأن المسيح "مات من أجل خطايانا" دون حاجة لتوبة أو عمل.. إلا أنه سرعان ما غيّر هذا الطرح، حيث يقول بولس:

"وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل كرازتنا، وباطل أيضًا إيمانكم".
(كورنثوس الأولى 15:14).

فبعدما قوبلت فكرة "الإله المصلوب" بالرفض والسخرية من الوثنيين، جعل القيامة هي الشرط الجديد والوحيد للغفران والحياة الأبدية .قال الباحث **Bart Ehrman** في كتابه (**How Jesus Became God**):

"بولس حاول أن يربط القيامة بالألوهية، ليجعل من الإله المصلوب إلهًا منتصرًا يُعبد، لا مهزومًا يُحتقر".

ويقول الباحث **N.T. Wright**، وهوأحد أبرز باحثي المسيحية المبكرة: "بولس استخدم القيامة كسلاح جدلي لتثبيت شرعية المسيح كإله، في وجه رفض اليهود والوثنيين

أي أن كل البنية اللاهوتية الجديدة الفداء، الغفران، الحياة الأبدية.. لا تقوم إلا على الإيمان بالقيامة.

ثم بدأ يُعيد تأويل كل شيء وفق هذا الحدث: (الصلب لم يعد عارًا، بل تضحية مقصودة. والموت لم يعد هزيمة، بل تمهيد للانتصار.والقيامة أصبحت تاج الألوهية).

"لكن المسيح قد قام من بين الأموات، وصار باكورة الراقدين"(كورنثوس الأولى 15:20).

"تعيَّن ابن الله بقوة، من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات"(رومية 1:4) (هنا نراه يقدّم القيامة كحل لهذه الإشكالية:

يعني إذا صُلب، فلا مشكلة... لأنه قام) هذا النص يكشف قلب عقيدة بولس، لم يُثبت ألوهية المسيح من حياته أو أقواله، بل جعل القيامة هي البرهان على ألوهيته، القيامة تحولت من مجرد حدث إلى الشرط اللاهوتي الأول للإيمان.

الفلسفة بين الصلب والقيامة: مأزق بولس اللاهوتي

إن من أبرز التناقضات الفلسفية في "لاهوت بولس" تتجلى في الجمع بين الفداء والقيامة، حيث يطرح بولس أن الخلاص قد تحقق بذبيحة المسيح على الصليب، وأن موته هو "الثمن المدفوع" عن خطايا البشر. لكنه في ذات الوقت، يجعل القيامة هي الدليل الأعظم على ألوهيته والانتصار على الموت.

وهنا تتولد معضلة عقلية ولاهوتية جوهرية: حيث يقع بولس بتناقض في عقائده التي اختلقها دون أن يشعر: أن المسيح ذُبِح فعلاً ومات وسُفك دمه.. ثم قام من الموت!

لكن الذبيحة.. بحسب المفهوم الديني.. تُشترط بالفناء الكامل. إذا ذُبح الكائن ثم عاد للحياة، فأين التضحية؟ وأين "الثمن" المدفوع؟

هذا أشبه بمن يضع مبلغًا في الصندوق، ثم يسحبه بعد لحظة ويقول "دفعتُ الفاتورة". كيف تكون ذبيحة وموت حقيقي، ثم تنتهي بالقيامة؟!

إن كان الخلاص والانتصار قد تم بالصلب، والمسيح دفع الثمن، ومات فعلاً من أجلنا! فلماذا يعود للحياة؟ هل الكفارة ناقصة؟ هل لم تُقبل؟ أم أن موته لم يكن حقيقيًا ولم يصلب؟

فعودة المذبوح للحياة تُفقد الصلب أي قيمة فدائية، وتُظهر العقيدة كأسطورة رمزية لا واقعية.. فالذبيحة تفترض الموت النهائي وإذا لم يكن الموت حقيقيًا، فلا فداء، وإذا كان حقيقيًا، فقد مات "الإله"، وهذا باطل، وإذا عاد، فقد أفسد صفقة الفداء!.. وهنا يتهاوى منطق بولس بأكمله، وتنهار عقيدته من داخلها؛ لأنها تنقض نفسها بنفسها.

قالوا عن بولس:

في تاريخ الأديان، قلما نجد شخصية تسببت في تغيير جذري لرسالة نبي كما فعل بولس في المسيحية. فقد مثّل بولس انتقالًا صاخبًا من بساطة دعوة المسيح التوحيدية إلى منظومة معقدة من العقائد الوثنية، التي اختزلت الخلاص في الإيمان بالصلب والقيامة، ورفعت يسوع من مقام النبي إلى درجة الألوهية.

ورغم مكانته المركزية في المسيحية المعاصرة، فإن شخصية بولس لم تمر مرور الكرام في الدراسات النقدية الحديثة. إذ أجمع عدد من كبار الباحثين والأكاديميين الغربيين، من مختصين في العهد الجديد إلى مؤرخي المسيحية المبكرة ، على أن بولس لم يكن ناقلًا أمينًا لتعاليم المسيح، بل صانعًا لدين جديد، مُحرفًا للرسالة الأصلية، ومُتلاعبًا بالمفاهيم والمجتمع لأغراض شخصية ولاهوتية.

قبل ان نذكر بعض أراء العلماء والباحثين، سنستعرض بعضاً من اعترافات بولس.

فإن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أُدان أنا بعد كخاطئ؟"

(رومية 3:7)

في هذا النص الصادم، لا يكتفي بولس بتبرير الكذب، بل يؤلّه الخداع، ويحوّله إلى فضيلة لاهوتية يجعل التحايل طقسًا مشروعًا باسم التبشير. إنه انقلاب أخلاقي مرعب، يُسوّغ الباطل إذا غُلّف بخطاب ديني، ويفتح بابًا خطيرًا في الفكر اللاهوتي: باب تبرير كل باطل إن زُيّن باسم الرب، فيسقط جوهر النبوة، ويُستباح الصدق في سبيل المصلحة.

"كنيسة فيلبّي أرسلت إليّ (مال) مرة ومرتين لحاجتي"

فيلبي 4:16

"سلّمتُ أجرة عملي لخدمتكم... أخذتُ من كنائس أخرى لأخدمكم"

2)كورنثوس 11:8

" من يغرس كرماً ولا يأكل من ثمره؟ ... هكذا أيضًا أمر الرب: أن الذين ينادون بالإنجيل، من الإنجيل يعيشون".

كورنثوس الأولى 9:6–14

في (2 كورنثوس 8–9)، يتحدث بولس عن جمع "تبرعات ضخمة" تحت ذريعة دعم "قديسي أورشليم"، لكنه:

لم يُوضح بدقة كيف صُرفت تلك الأموال. وأصر على أن يتم إرسالها عبر مبعوث يختاره بنفسه، دون إشراف محايد من الكنيسة.

بعض الباحثين مثل **Robert Eisenman** قالوا إن بولس:

"استغل فكرة التبرعات لتوسيع نفوذه السياسي والديني".

بمكر أمسكتكم"! (كورنثوس الثانية 12:16)

"إن كنا نحن قد زرعنا لكم الروحيات، أفعظيم أن نحصد منكم الجسديات؟" الجسديات" هنا يقصد بها المال والعطايا المادية. (كورنثوس الأولى 9:11)

"لأني فرحت جدًا لأنكم كنتم قد اهتممتم ولكن لم تكن لكم فرصة. ليس أني أطلب العطية، بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم ... قد استوفيت كل شيء، واستفضلت. قد امتلأت إذ قبلت من أبفرودتس الأشياء التي منكم، نسيمًا طيبًا، ذبيحة مقبولة مرضية عند الله".(فيلبي 10:4–18)

هنا يمدح بولس المؤمنين في فيليبي لأنهم أرسلوا له دعمًا ماديًا، ويصف المال بأنه "ذبيحة" مقدَّمة لله!

الباحثين بارت إيرمان، جون دومينيك، روبرت برايس: أشاروا إلى أن بولس كان يمسك زمام السلطة المالية والدينية معًا، ويصوغ خطابًا لاهوتيًا يحث على الطاعة والثقة دون رقابة، وهو ما يجعل نشاطه أقرب إلى مشروع شخصي منه إلى دعوة نبوية صافية.

كورنثوس 20:9–22:

"صرت لليهود كيهودي، ولمن بلا شريعة كمن بلا شريعة... صرت للكل كل شيء لكي أربحهم ".

هذا المنهج يثير شكًا كبيرًا في ثبات المبادئ، انتهازية دينية مقنّعة باسم "الربح ". دون موقف واضح أصيل. وهذا ما دفع بعض الباحثين والمفسرين إلى وصف بولس بأنه براجماتي وذلك لتلونه و تغيّره المستمر حسب الجمهور لا انطلاقًا من مبدأ ثابت، بل من منطق دعوي نفعي يهدف إلى توسيع قاعدته بأي وسيلة.

"ألعلي خدعتكم بمكر؟"

2كورنثوس 12:16

أراء أبرز العلماء والباحثين:

غيرد لوديمان (Gerd Lüdemann)

أستاذ العهد الجديد بجامعة غوتنغن الألمانية

"بولس هو المؤسس الثاني للمسيحية، لا مفسر أمين لتعاليم يسوع. لاهوته يشوّه يسوع التاريخي حتى يكاد يُمحى".

(Paul: The Founder of Christianity)

روبرت إيزنمان (Robert Eisenman)

أستاذ الدراسات الدينية ومحرر مخطوطات قمران

"كان بولس هيروديًا مرتبطًا بالطبقة الحاكمة المدعومة من الرومان وكانت مهمته تحويل الحركة المسيحانية عن جذورها اليهودية".

(James the Brother of Jesus)

جون دومينيك كروسان (John Dominic Crossan)

أستاذ في معهد اللاهوت الكاثوليكي، ومؤسسJesus Seminar

"رسائل بولس ليست استمرارًا لرسالة يسوع، بل إعادة تفسير جذرية لها بناءً على رؤية صوفية. هذا يجعل بولس صوفيًا، لا مؤرخًا".

(**Who Killed Jesus**)

هايم ماككوبي (Hyam Maccoby)

أستاذ الدراسات اليهودية بجامعة ليدز

" لقد أساء بولس فهم الشريعة اليهودية، وأسقط شعوره الداخلي بالذنب على لاهوت مخترَع للخلاص عبر إله يموت ويقوم، وهو أقرب بكثير إلى الوثنية منه إلى اليهودية".

(**The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity**)

بولس عند ماككوبي شخص مريض نفسيًا روّج للوثنية، اخترع إلهًا مصلوبًا لا علاقة له بعيسى.

بارت إيرمان (Bart D. Ehrman)

أستاذ الدراسات الدينية بجامعة نورث كارولاينا

"يبدو أن بولس مستعد لقول أي شيء من أجل كسب أتباع. فهو يفتخر بأنه 'صار كل شيء لكل الناس،لليهود، يهوديًا؛ ولليونانيين، يونانيًا. هذا النوع من السلوك يثير تساؤلات أخلاقية واضحة".

(**The Triumph of Christianity**)

فصل: مجمع نيقية 325م إعلان ألوهية المسيح ومجمع القسطنطينية الثالوث المقدس

يُعد اعتناق الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبير للمسيحية نقطة تحول محورية في تاريخ الدين والسياسة، وتأثيراته على تشكيل المسيحية الرسمية.

في أوائل القرن الرابع الميلادي، كانت الإمبراطورية الرومانية تواجه أزمات عميقة: انقسامات سياسية متعددة، صراعات على السلطة، وتنوعًا دينيًا هائلًا يشمل ديانات وثنية قديمة، يهودية، ومسيحية ناشئة. في هذا المناخ، كان قسطنطين، الذي وصل إلى السلطة عبر معارك داخلية دامية، يبحث عن وسيلة لتوحيد الإمبراطورية المتفرقة.

فلم يجد قسطنطين خيارًا أنسب من توحيد الطوائف والأديان المتنافرة تحت مظلة دين واحد قادر على منح شرعية دينية لحكمه، وتوفير أساس عقائدي يمكّنه من ضبط المجتمع سياسيًا وروحيًا ودمج فئات واسعة من الشعب تحت راية دينية موحدة، تقوي الولاء للدولة والإمبراطور.

لم تكن المسيحية وحدها في الساحة. بل كانت تحيط بها مجموعة من الديانات ذات الطابع الشرقي، تُعرف اليوم باسم الديانات السرّية، وقد جذبت شرائح واسعة من الناس عبر طقوس الخلاص، والتجارب الجماعية، والرموز الروحية العميقة. ورغم أن كثيرًا من هذه الديانات قدمت رموزًا أقوى وتجارب روحية أكثر إثارة، إلا أن الاختيار وقع على المسيحية دون غيرها.

ولفهم هذا التحوّل، لا بد من تفكيك المشهد:

ما الذي جعل هذه الديانات تفشل سياسيًا رغم قوتها الرمزية؟

وما الذي منح المسيحية وحدها القدرة على أن تتحول إلى "دين دولة"؟

سنستعرض أبرز هذه الديانات ونقارنها بالمسيحية من حيث:

البنية، العقيدة، قاعدة الانتشار، والقدرة على التماهي مع المشروع الإمبراطوري.

الديانات التي كانت منتشرة في الإمبراطورية الرومانية:

ديانة ميثراس(Mithraism)

ديانة فارسية المنشأ، ازدهرت في روما خصوصًا بين الجنود، يتمحور الإيمان حول الإله ميثراس، كائن سماوي يُولد من صخرة مقدّسة، ليقوم بذبح "الثور الكوني"، ومن دمه تتفجّر الحياة والخلاص للعالم. ميثراس كان يُعتبر خادمًا أو ابنًا للشمس الإلهية ". وكان يُحتفل به بطقوس تعميد، عشاء مقدّس، وولادة روحية جديدة.

العقيدة:

الايمان بالإله ميثراس وسيطًا بين البشر والإله الأعلى (الشمس) و أنه أنقذ العالم بذبيحة ودم "الثور الكوني"، للخلاص.

الطقوس: طقوس تعميد (**initiation**) للمنتمين الجدد. ولادة روحية جديدة بعد المرور بدرجات سرية حيث كانت هناك سبع درجات للترقي الروحي داخل الطائفة وتتم من خلال اجتماعات تُعقد في كهوف أو غرف مغلقة تسمى .**mithraeum**

عيوبها أنها كانت:

ديانة سرية للغاية ونخبوية افتقرت إلى رسالة أخلاقية واجتماعية، يصعب فهمها للعامة. ولا توجد داخل الديانة قيادة مركزية موحدة، بل مجموعات معزولة.

عبادة إيزيس(**Isis Cult**)

الديانة تعود أصولها الى مصر، ولكنها انتشرت بشكل واسع في روما بين الفقراء والنساء. تحكي العقيدة عن أوزوريس الإله الذي قُتل وتمزّق، ثم قامت زوجته إيزيس بإعادة جمع أجزائه وإحيائه، وأنجبت منه حورس، الذي أصبح رمزًا للنور والانتصار.

العقيدة "ثالوث" مكوّن من :إيزيس (الأم الإلهية)، أوزوريس (الإله الأب الممزق)، وحورس (الابن المنقذ والمنتصر على الشر) وقيامة الأب أوزوريس بطقس سحري.

عيوبها:

ديانة باطنية طقوسها غامضة ومعقدة، تطهير، صيام، إعادة التمثيل الدرامي لموت أزوريس وقيامته في احتفالات دينية، لا تحتوي على نظام أخلاقي، ليست دينًا تشريعيًا عامًا، بل تعتمد على التعاويذ والطقوس سحرية والموسيقى والرقص.

عبادة ديونيسوس(**Dionysus**)

إله الخمر والفرح والجنون المقدّس في الديانة اليونانية، الذي تقول الأسطورة إنه وُلد من علاقة إلهية نتج عنها ولادة نصف إله ونصف إنسان فهو ابن الإله زيوس، والبشرية سيريس أو سيميلي، حسب الأسطورة ولادته كانت معجزة لأنه وُلد من فخذ زيوس بعد أن قُتل في رحم أمه.، الأسطورة تقول إن "التايتان" (كيانات بدائية)

قاموا بتمزيق ديونيسوس عندما كان طفلاً، وأكله جزء منهم، زيوس بعد ذلك أعاد تكوينه وإحيائه و يُبعث مجددًا في طقس رمزي يمثل القيامة والانبعاث.

العقيدة تتضمن الايمان بموت وقيامة الاله والمشاركة بالطقوس الجماعية كالخمر، الفرح، الجنون المقدّس.

حيث تمثل "كسر الحواجز" الرابطة بين الإنسان والإله من خلال حالات الهذيان والاندماج.

الطقوس تتضمن التحرر من جميع القيود الرقص، السكر، الغناء، التضحية، المشاركة في جسد الإله (عبر الخمر)، لكسر الحواجز" بين الإنسان والإله عبر حالات الهذيان والاندماج.

لكنها مرفوضة سياسيًا:لارتباطها بالفوضى والانفلات الأخلاقي، وبسبب طقوسها الغير منظمة والفوضوية، فقد كانت تثير قلق السلطات اليونانية والرومانية التي كانت ترى في هذه الطقوس تهديد للنظام الاجتماعي بسبب طبيعتها الاندفاعية.

عبادة الشمس Sol Invictus

ظهرت عبادة "الشمس التي لا تُقهر" (**Sol Invictus**) في روما خلال القرن الثالث الميلادي، كجزء من محاولات الإمبراطورية الرومانية لتوحيد الإمبراطورية دينياً من خلال ايجاد إله شمولي موحِّد يُعزز من مركزية السلطة والنظام. تبنى هذه الديانة الإمبراطور أورليانوس رسميًا عام 274م، قبل اغتياله، وشيّد معبدًا ضخمًا في روما، وأعلن يوم الأحد (**Dies Solis**) يومًا مقدسًا لعبادته.

تتمحور العقيدة حول الإيمان بإلهٍ أعلى يمثل النور، النظام، والسيادة، وتُصوّره الأيقونات كشاب مشعّ. اعتُبر هذا الإله شمولي من الناحية الرمزية، حيث جمع رموزًا من ديانات متعددة (كالرومانية، والزرادشتية)، وصُوّر كإله النور المسيطر على الكون.

العقيدة:

الإيمان بإلهٍ واحد يمثل الشمس والنور والسيطرة الإلهية. قوته غير قابلة للهزيمة، تسود فوق جميع الآلهة الأخرى.

طقوس العبادة:

الاحتفال بـ 25 ديسمبر بوصفه "ميلاد الشمس التي لا تُقهر" وهو تاريخ تقريبي للانقلاب الشتوي، حين يبدأ النهار بالازدياد طولًا، وإقامة الصلوات عند الشروق، وتقديم القرابين من البخور والماشية.إشعال الشموع والنيران رمزًا للنور الإلهي، وتخصيص يوم الأحد للعبادة والاحتفالات العامة.

سبب عدم اختياره كدين عالمي:

الإمبراطور أورليانوس (Aurelian) هو الشخص الوحيد الذي أنشأ عبادة Sol Invictusرسميًا عام 274م وبنى لها معبدًا ضخمًا في روما، أعلنها دينًا رسميًا للإمبراطورية، حاول أن يجعل هذا الإله الشمسي هو الرمز الموحد للدولة الرومانية.

لكن في السنة التالية فقط (سنة 275م)، تم اغتياله على يد حراسه وبعد وفاته، لم يكن هناك إمبراطور آخر لديه نفس الرغبة أو الحماسة أو المشروع الديني الذي بدأه أورليانوس.بالتالي، ولم يتابع أحد دعم عبادة Sol Invictusبنفس القوة.

لكن رغم ذلك نجد لاحقاً مع تنصير الإمبراطورية في عهد قسطنطين، تم امتصاص رموزه داخل المسيحية، كتقديس يوم الأحد، واستخدام رمزية "النور"، وتحديد 25 ديسمبر كمولد للمسيح.

المسيحية: كيف تحولت من طوائف صغيرة متناحرة... إلى مؤسسة إمبراطورية، لما وقع اختيار قسطنطين على المسيحية رغم أنها أقلية؟

لم تكن المسيحية سوى مجموعة من التيارات المتضاربة، كل منها يدّعي امتلاك "الرسالة الحقيقية"، ولكل منها تعاليمه، ورموزه، وفهمه الخاص لطبيعة المسيح وصلته بالله. فقد برزت اتجاهات كبرى، منها:

التيار التوحيدي (اليهودي الأصل أتباع المسيح):

مثل الناصريين والأبيونيين، الذين رأوا في المسيح نبيًا موعودًا من بني إسرائيل، مخلوقًا لا إلهيًا، ومتمسكًا بالشريعة. رفضوا عقيدة الألوهية والفداء والثالوث لاحقاً، ولم يعترفوا ببولس.

التيار الغنوصي:

انتشر في مصر وسوريا، واعتبر أن يسوع جاء ليعلّم "المعرفة الباطنية" (الغنوص)، وأن العالم المادي شرير. أنكروا التجسد والصلب، ورفضوا الأناجيل الحرفية.

الآريوسيون:(Arians)

اعتبروا أن المسيح مخلوق مميّز من الله، لكنه ليس مساويًا له في الجوهر.

هذا التيار انتشر بقوة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية وشمال أفريقيا والشرق، وكان له دعم واسع في الجيش والنخب، وأصبح لاحقًا خصمًا لقرارات مجمع نيقية.

التيار البولسي، الهيليني:

مؤسسه بولس، وخلط فيه بين فكر يهود الشتات، وثقافة يونانية. قدّم يسوع ككائن إلهي "ما فوق بشري"، وفصل الدين عن الشريعة. هذا التيار كان الأقرب لذوق الإمبراطورية لأنه أكثر "تأوينًا" وأقل يهودية. وكان منتشرًا خارج فلسطين في المدن الكبرى الناطقة باليونانية مثل أنطاكية، كورنثوس، أفسس، روما، فيلبي، وتسالونيكي، وكلها كانت مراكز تجارية وثقافية متأثرة بالفكر الهيليني والفلسفات الشرقية، أصبح هذا التيار الأكثر تنظيمًا وتأهيلاً للتحول إلى شكل ديني إمبراطوري. ولهذا السبب، عندما بدأ قسطنطين يبحث عن عقيدة يمكن توحيد الإمبراطورية حولها، لم يختر تيارات المسيحية "اليهودية الأصل"، بل اختار التيار البولسي الهيليني، لأنه كان الأبعد عن النزعة اليهودية، والأكثر قابلية للتأوين، والأكثر انتشارًا في المدن والنخب الإدارية التي يعتمد عليها الحكم الروماني.

بولس كان قد نجح في تأسيس شبكة كنائس مترابطة في المدن الكبرى، أنطاكية، روما، كورنثوس، أفسس، فيلبي... (جميعها مدن مركزية تجاريًا وثقافيًا). يمكن توحيدها تحت سلطة واحدة يتحالف معها الحاكم، واستخدامها كأداة سياسية

لها شبكة مراسلات، ومجالس داخلية، وكانت تُدار كجهاز إداري أكثر انضباطًا من مؤسسات الدولة نفسها! وهذا بالضبط ما يحتاجه حاكم يريد فرض النظام بعد فوضى طويلة.

يميزها عدم تقيدها بالشريعة اليهودية، وتعاليمها تنسجم مع الفكر اليوناني، هذه المعطيات جعلتها خيارًا جذابًا لحاكم مثل قسطنطين الذي كان يبحث عن وسيلة لتوحيد الإمبراطورية بعد عقود من الانقسام والفوضى ،فالمسيحية لم تكن تُهدد الدولة، ولم ترفع السلاح، بل كانت تُعلّم أتباعها الطاعة: "أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله" (مرقس 12:17). لم تكن حركة تمرد، بل حركة انضباط داخلي... ما جعلها الحليف المثالي لنظام يريد فرض الاستقرار.

مجمع نيقية 325 م إعلان ألوهية المسيح:

قسطنطين رأى في استمرار الانقسام في الطوائف المسيحية تهديد للاستقرار السياسي. وفشلاً في مشروعه الكبير لتوحيد الإمبراطورية، فقرر التدخل بنفسه، ودعا إلى مجمع عام في مدينة نيقية عام 325م. جمع في هذا المجمع

الأساقفة برعايته، وبإشراف مباشر من سلطة الدولة، بدأ فصل جديد تحوّل فيه الإيمان المسيحي من رسالة روحية إلى مشروع سلطوي تُصوغه الدولة وتفرضه بالقانون.

تم الإعلان في هذا المؤتمر ألوهية المسيح وأنه اله مساوي للأب في الجوهر، وظهر أول مصطلح رسمي "هوموأوسيوس" أي "من نفس الجوهر" وهو مصطلح لم يرد في أي من الأناجيل، لكنه مستمد من الفلسفة اليونانية، لم يكن أحد من تلاميذ المسيح نطق به، لكن المجمع جعله معيار الإيمان، رغم أنه لا يمتّ للنصوص الأصلية بأي صلة.

حُكم على جميع الطوائف والتيارات الأخرى ومنهم الناصريون وأريوس بالهرطقة، والنُفي، وأُحرقت كتبهم، وحُظر اتباعهم.. فقد بدأ عهد الكنيسة الإمبراطورية، حيث تُفرض العقيدة بمرسوم، وتُدار المجامع برعاية الدولة، ويُقمع المخالفون بالقانون. لم تعد المسيحية حركة روحية حرّة، بل صارت مؤسسة تابعة للسلطة، تسير حيث تشاء الإمبراطورية، لا حيث تهديها النصوص، أراد قسطنطين أن يقول" :هذه هي المسيحية الرسمية، وأي أحد يخالفها فهو عدو للدولة."

ومن المفارقات أن قسطنطين، في مناورة براغماتية واضحة، سعى لإرضاء الفريقين لاحقًا، فرغم كل ما فعله لنُصرة النيقاويين (تيار بولس)، طلب قبل وفاته عام 337م أن يُعمَّد على يد أحد الأساقفة الآريوسيين الذين أنكَروا ألوهية المسيح، فقد بقي هذا التيار مؤثرًا رغم اضطهاده، فأراد قسطنطين أن يُرضيهم سياسيًا في اللحظة الأخيرة، فالدين لم يكن في نظره الا أداة يُسيّر بها الدولة.

مجمع القسطنطينية 381م: إضافة الروح القدس كإله ثالث واكتمال الثالوث الإلهي:

بعد مجمع نيقية، لم تنتهِ الانقسامات العقائدية بل تعمّقت، خاصة مع استمرار التيار الآريوسي وانتشاره في أقاليم متعددة داخل الإمبراطورية.

لكن مع تولّي الإمبراطور ثيودوسيوس الأول الحكم، تقرّر حسم المسألة نهائيًا، لم يعد النقاش اللاهوتي يُحتمل، وآن أوان فرض الإيمان بسلطة العرش لا بحجّة النصوص.

ففي 27فبراير عام 380م، أصدر ثيودوسيوس، بالاشتراك مع الإمبراطورين غراتيان وفالنتينيان الثاني، المرسوم الشهيرًا في مدينة تسالونيكي، نصّه:

"يجب على كل شعوب الإمبراطورية أن تعتنق الدين الذي علّمه الرسول بطرس للرومان، والذي يتمسّك به البابا داماسوس وأسقف الإسكندرية بطرس؛ أي الإيمان بالإله الواحد في ثلاثة أقانيم متساوية: الآب، والابن، والروح القدس. ومن لا يعتنق هذا الإيمان يُعد مهرطقًا، محرومًا من الكنائس الشرعية، وخاضعًا للعقوبات السماوية والدنيوية".

المرسوم لم يكن مجرّد إعلان عقائدي، بل أول قانون إمبراطوري يُلزم جميع سكان الإمبراطورية بعقيدة واحدة، ويجرّم المخالفين، فتحويل الدين إلى مؤسسة رسمية للدولة، لصناعة هوية سياسية موحّدة تُرضي الجميع، وتُبقي الدولة متماسكة.، لأن الوثنيون كانوا يشكلون أكثر من 50في المئة، وظلت ممارساتهم منتشرة بشكل واسع، مع وجود لغالبية معابدهم وتقاليدهم في الحياة اليومية حتى نهاية القرن الرابع.

فالعقيدة النيقاوية التي أقرت ألوهية الابن في مجمع نيقية، وجدت الآن استكمالها السياسي واللاهوتي في فرض الإيمان بثالوث كامل، وتحويل هذا الإيمان إلى هوية إجبارية لكل مواطن في الدولة.

ولمنح هذا القرار إطارًا كنسيًا شرعيًا، دعا الإمبراطور في العام التالي إلى مجمع القسطنطينية الأول عام 381م، ليكون أداة توحيد العقيدة بالقانون، وتصفية الخصوم باسم الإجماع..عقيدة الثالوث: حين صيغ الإله بقرارات مجمع، وفي مجمع القسطنطينية، تم لأول مرة تثبيت عقيدة الثالوث بشكل رسمي وقطعي.

لم يعد الابن وحده "إلهًا من نفس جوهر الآب"، كما أقرّ نيقية، بل أضيف إليه الروح القدس، ليُعلن أن:

"الآب، والابن، والروح القدس إلهٌ واحد في ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر".

وهكذا اكتمل بناء ما سيُعرف لاحقًا بـ"الإله المركّب"، وهو تصور لم يظهر في إنجيل، ولم ينطق به المسيح، ولا أحد من تلاميذه، بل هو بناء لاهوتي معقّد، استُمد من الفلسفة واللاهوت اليوناني، لا من النصوص المقدسة، خلف هذا البناء العقائدي، كانت تكمن اعتبارات سياسية وثقافية عميقة:

فقد سعت الدولة والكنيسة إلى تقديم نموذج مألوف ومتقبل لدى الرومان، خاصة أولئك الخارجين من خلفية وثنية، تربّوا على عبادة آلهة متعددة في بنى ثلاثية.

كان من الأسهل عليهم تقبّل ثالوث إلهي جديد، حين يجدون له صدى في ثالوثاتهم القديمة، مثل:

ثالوث الكابيتول الروماني المقدس:

جوبيتر :إله السماء والسلطة العليا .. يعادل "الآب."

مينيرفا :إلهة الحكمة والعقل والخلاص .. تعادل "الابن."

يونو :إلهة الروح، الأمومة، الزواج .. تعادل "الروح القدس."

وثالوثات ديانات غامضة أخرى، مثل ديانة ميثرا التي انتشرت في الجيوش الرومانية، والتي تضمنت مفاهيم "الابن الإلهي"، "التضحية"، و"الصعود"، مما سهّل ترويج صورة "يسوع الإلهي" في الأذهان الوثنية. هذا جعل التغيير يبدو مألوفًا في وجدان الرومان، وكأنهم "ما زالوا" يعبدون نفس البنية المقدسة لكن بمفهوم أكثر "روحانية." هكذا لم يشعر الرومان أنهم تخلّوا عن آلهتهم، بل بدا الأمر وكأنه استمرارٌ باسمٍ جديد

لقد كان هذا التحول تدريجيًا ومدروسًا:

ففي مجمع نيقية (325م) تم إعلان ألوهية المسيح عيسى بن مريم إلى جانب الله الآب.

ثم في مجمع القسطنطينية (381م) أضيف الروح القدس كإله ثالث، ليكتمل الثالوث، ويصبح الإله الواحد بحسب المجامع(ثلاثة أقانيم في وحدة غامضة).

عقيدة الثالوث كما يُقرّها اللاهوت المسيحي الرسمي

وفقًا لقرارات مجمع نيقية (325م) ومجمع القسطنطينية الأول (381م)، ثم مجمع خلقيدونية (451م)؛ تم وضع ما يلي:

العقيدة الأساسية:

"نؤمن بإله واحد في ثلاثة أقانيم: الآب، والابن، والروح القدس.
الآب هو الله، الابن هو الله، الروح القدس هو الله.
لكنهم ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.
"الآب ليس الابن، والابن ليس الروح القدس، والروح القدس ليس الآب".

وهكذا بنيت العقيدة على حسابات السلطة، لتسهيل الانتقال من وثنية تعددية إلى مسيحية إمبراطورية هجينة، تُرضي الكنيسة، وتطمئن العامة، وتخدم الدولة.

منذ هذه اللحظة، لم تعد العقيدة نتاج إيمان، بل إفرازًا لسلطة سياسية، تُصاغ في المجامع وتُفرض بالمراسيم، ويُلاحق المخالف لا كمجتهد، بل كمجرم.

هذا جعل التغيير يبدو مألوفًا في وجدان الرومان، وكأنهم "ما زالوا" يعبدون نفس البنية المقدسة لكن بمفهوم أكثر "روحانية." هكذا لم يشعر الرومان أنهم تخلّوا عن آلهتهم، بل بدا الأمر وكأنه استمرارٌ باسمٍ جديد

في مجمع نيقية عام 325م :تم إعلان ألوهية المسيح إلى جانب الله.

وفي مجمع القسطنطينية عام 381م أُضيف "الروح القدس" كإله ثالث، لتكتمل صورة الثالوث المسيحي بشكلها الروماني.

وبذلك تشكّلت عقيدة "الثالوث المسيحي" الجديدة، لكنها حافظت على الشكل القديم المألوف.

لم يتم إلغاء الوثنية تمامًا، بل تم تجميلها وتعميقها بطابع "روحي" مسيحي

وتمت مراجعة الأناجيل والرسائل المسيحية عبر عمليات انتقاء، وتعديل، وإضافة عبارات لغرض تعزيز ألوهية المسيح، ولدعم الثالوث، واقصاء التيارات الأخرى (مثل الآريوسيين، والناصريين، والغنوصيين).
بعض النسخ تم تحريفها بإدخال صيغ عقائدية لاحقة، كما في خاتمة إنجيل مرقس (الإصحاح 16: 9–20)، أو العبارة الشهيرة في رسالة يوحنا الأولى 5:7 عن "الآب والكلمة والروح"هذه العمليات لم تكن بريئة، بل كانت سياسية لاهوتية بامتياز، هدفها توحيد العقيدة بما يخدم الاستقرار الإمبراطوري.

بعد المجامع، أدخلت الطقوس الرومانية الوثنية بشكل مموّه داخل الكنيسة:

التماثيل، مع أن أولى الوصايا العشر في سفر الخروج تؤكد على توحيد الله ورفض عبادة الأصنام والتماثيل. جاء في سفر الخروج 20: 3–5:

"لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك"...

وجاء تشديد وتكرار للوصية في سفر التثنية 5: 7–9:

"لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا، صورة كل ما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن"...

فنجد نصوصًا صريحة تحرّم صناعة التماثيل أو الصور بغرض التعبّد، إذ يُعدّ ذلك شركًا بالله، لأن الأصنام كانت مدخل الأمم القديمة إلى الشرك وتقليدًا للديانات الوثنية. ومع ذلك، نجد أن الكنائس قد تجاهلت هذه الوصايا تمامًا، وما زلنا حتى يومنا هذا نرى عددًا هائلًا من التماثيل والصور والرموز التي تُعبد أو تُقدَّس، مخالفة بذلك أولى الوصايا التي تنهى عن عبادة الأصنام والتماثيل.

القربان المقدس طقس "الإله الميت المتناول"حيث يتم تناول الخبز والخمر ويمثل هذا الطقس حضور المسيح الحقيقي بجسده ودمه، فعندما يأكل المؤمن الخبز فإنه فعلياً وليس مجازياً يأكل لحم المسيح وعندما يشرب الخمر

فإنه يشرب دمه، ففي كل أسبوع يتم أكل جسد الإله ويشرب دمه بعد الصلوات له، ويشبه الى حد كبير طقوس عبادة الإله أوزوريس التي تضمنت استهلاك رمزي لأجزاء من جسده بعد موته، لإعادة التجديد والارتباط بالقوة الإلهية. لكن الفرق الوحيد الذي تدّعيه المسيحية هو أن هذا الأكل والشرب ليس رمزيًا، بل حقيقي.

القديسون (أصبحوا بمثابة بديل للآلهة المحلية أو الأرواح الحامية التي كانت تُعبد في الثقافات الوثنية القديمة).

العذراء مريم (بديل ليونو أو الأم الكبرى) ففي العقيدة المسيحية، مريم العذراء بعد موتها وفقًا لبعض أكبر الطوائف (خصوصًا الكاثوليكية والأرثوذكسية اللتين تشكلان نحو أكثر من **80%** من إجمالي المسيحيين حول العالم) صُعدت إلى السماء وأصبحت "ملكة السماء"، وهو ما يُعرف بـ"الصعود الإلهي" أو "الانتقال."

الاحتفال بمولد الشمس الإلهية (**25** ديسمبر)، الذي كان مكرّسًا للإله "ميترا" وأعياد الشتاء الرومانية **Sol**) **Invictus**). أصبح عيد ميلاد المسيح.

بالإضافة طقوس التعميد بالماء للتطهير الروحي وتجديد الحياة، مثل طقوس الأديان المصرية واليونانية والرومانية، حيث كان الماء يرمز للحياة والخصوبة والتجدد.

الرومان لم يُجبَروا على ترك معتقداتهم، بل تم إعادة تغليفها بأسماء مسيحية جديدة تتماشى مع أهداف الإمبراطورية، ولهذا تقبّلوها بسهولة.

فبحسب الباحث بيتر براون(**Peter Brown**) ، ومؤرخين آخرين مثل ماركوس بوركي **Marcus**) (**Borg**، كان دعم قسطنطين للكنيسة الأرثوذكسية إجراءً سياسيًا واضحًا لكبح التيارات التي اعتبرها مهددة لوحدة الإمبراطورية. هذا الدعم لم يقتصر على إصدار قانون يجرم الهرطقات، بل تضمن تعزيز وضع الكنيسة رسميًا، ما جعلها شريكًا في إدارة شؤون الإمبراطورية.

فالدين في هذه المرحلة كان أداة سيطرة واستقرار أكثر منه مجرد مسألة إيمان روحي، ومجمع نيقية كان نقطة فاصلة في فرض شكل جديد من المسيحية المرتبطة بالسلطة السياسية.

كما أن النصوص المسيحية وتطور العقائد لم يكونا نتيجة وحي مباشر فقط، بل نتيجة تدخل سياسي واجتماعي مكثف أسس لمسيحية الدولة التي استمرت لقرون لاحقة.

التداخل بين الدين والنصوص المقدسة

يشرح بارت إيرمان في كتابه **The Orthodox Corruption of Scripture**، مصاحبة صعود المسيحية للدولة كانت عمليات تعديل نصية مكثفة، حيث تم "تنقية" الكتابات المسيحية من الأفكار التي تخالف

العقيدة الرسمية التي فرضها مجمع نيقية والسلطة الإمبراطورية.

فصل: ألوهية المسيح بين النصوص والتأويل:

هل كان عيسى يعلم عقيدة الثالوث؟

عقيدة الثالوث، ظهرت كصياغة لاهوتية لاحقة، ولم تكن جزءًا من دعوة المسيح ولا من فهم تلاميذه الأوائل، ولا توجد أي شواهد تدل على أنه علّمها أو أشار إليها، ظهرت لاحقًا في سياق جدالات فلسفية وصراعات مذهبية،. وتم حسمها في مجامع سياسية برعاية الإمبراطورية الرومانية.

وان من أكثر الآيات التي تستشهد بها الكنيسة لإثبات عقيدة الثالوث، هي ما ورد في نهاية إنجيل متى: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس "متى 28:19.

كبار علماء العهد الجديد والباحثين في النقد النصي والتاريخ، مثل جورج كايرد(George Caird) ، وهانس كونزلمان(Hans Conzelmann) ، وجون دومينيك كروسان(John D. Crossan) ، وبارت إيرمان(Bart Ehrman) ، وآرثر ويغول(Arthur Weigall) ، ووليام باركلي (William Barclay)، وجيمس دانJames D. G. Dunn) ، وغيرهم، "يؤكدون أن المسيح لم يوجه أتباعه قطّ إلى تعميد الناس بصيغة الثالوث، وأن هذا النص لفق وأُقحم لاحقًا لتعكس الإيمان الرسمي الجديد الذي صاغته المجامع، مشيرين إلى أن هذه الصيغة لا تظهر في أي استخدامات مبكرة للمعمودية في سفر أعمال الرسل، ولا في رسائل بولس ولا في أي وثائق ونصوص مسيحية أولى ".

هل ادعى المسيح الألوهية؟

هل قال المسيح نفسه إنه إله؟ وهل نطق بأي عبارة تُشير إلى ألوهيته؟

لا نجد في كلمات المسيح ولا في سيرته ما يبرر هذا التحوّل اللاهوتي الهائل الذي قامت عليه العقيدة المسيحية لاحقًا: من نبي مكلّف برسالة إلهية، إلى إله يُعبد ويُعتبر مساويًا لله في الجوهر.

بل كل ما نُقل عنه يشير إلى تواضعه، وعبوديته لله، وصلاته وتضرعه، وابتعاده التام عن أي ادّعاء للألوهية، إن ما أصبح لاحقًا "الإيمان المسيحي الرسمي"، لم يُستمد من كلمات المسيح نفسه، بل من قرارات المجامع التي أعادت تشكيل العقيدة بما يناسب منطق الدولة وتوازنات الكنيسة.

فهل قال المسيح عن نفسه إنه إله؟

هل نطق بأي عبارة صريحة تُشير إلى ألوهيته؟

الحقيقة أن أقوال المسيح وتعاليمه وسيرته، كما وردت في الأناجيل نفسها، تناقض تمامًا هذا الادّعاء، وتُظهر بوضوح:

أنه عبدٌ لله، وأنه لا يمتلك علماً مطلقاً،وأنه لا يشاء من نفسه شيئاً، وأنه يصلي، ويسجد، ويتضرع لخالقه.

ومن أقواله:

وانا انسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله".

يوحنا 8:39–40

"إن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" يوحنا 17:3

هنا نرى عيسى يقر بالوحدانية لله تبارك وتعالى (أنت الإله الحقيقي وحدك: أي كل ما عداك هو إله زائف ولا يوجد إله غيرك).

"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا. كما أسمع، أدين. ودينونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني".

إنجيل يوحنا 5:30

"قضى الليل كله يصلي لله." لوقا 6:12

"وأما هو فكان يعتزل في البراري ويصلي".

إنجيل لوقا 5:16

هل يوجد إله "يُصلي" لإله آخر؟ كيف يُفهم هذا إلا إذا كان نبي وعبدًا لله؟

"ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه، وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت". (نرى هنا الاستسلام والخضوع التام من قبله لإرادة الله) إنجيل متى 26:39

وأيضًا:

"قائلًا: يا أبتِ، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك".

إنجيل لوقا 22:42 تأكيد منه على أنه لا يمتلك إرادة مستقلة عن الله.

"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد... ولا الابن، بل الآب وحده". إنجيل مرقس 13:32

إذا كان لا يعلم، فكيف يُدّعى له الألوهية؟ أليس العلم المطلق من صفات الله وحده؟

"أبي هو الذي يعمل (المعجزات)... لا أعمل شيئًا من نفسي"

إنجيل مرقس 6:5

"ولم يقدر أن يصنع هناك ولا معجزة واحدة، إلا أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم". يذكر أنه لم يستطع يسوع أن يصنع أي معجزات في مدينته الناصرة باستثناء شفاء بعض المرض السبب المذكور هو افتقار الناس إلى الإيمان، مما أعاق التعبير الكامل عن تنفيذ المعجزة.

يوحنا 5:30

"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا. كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني".

يوحنا 14:10

" الكلام الذي أكلمكم به، لست أتكلم به من نفسي. لكن الآب الحالّ فيّ، هو يعمل الأعمال".

يوحنا 11:41–42 (قبل طلبه من الله أن يقيم لعازر من الموت)

"ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الآب، أشكرك لأنك سمعت لي. وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع قلت هذا ليؤمنوا أنك أنت أرسلتني"

بل ويعرف عن نفسه انه رسول والجمع ينادونه رسول :

أعمال الرسل 2:22 (Acts 2:22)

"أيها الرجال الإسرائيليون، اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري، رجلٌ قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضًا تعلمون.

متى 21:11 (Matthew 21:11)

"فقالت الجموع: هذا يسوع النبي، الذي من ناصرة الجليل.

يوحنا 6:14 (John 6:14)

"فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع، قالوا: هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم!

يوحنا 9:17 (John 9:17)

"قالوا أيضًا للأعمى: ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك؟ فقال: إنه نبي.

لوقا 7:16 (Luke 7:16)

"فأخذ الجميع خوف، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه.

يوحنا 4:44 (John 4:44)

"لأن يسوع نفسه شهد أن نبيًا ليس له كرامة في وطنه.

لوقا 24:19 (Luke 24:19)

"فقالا له: عن يسوع الناصري، الذي كان إنسانًا نبيًا مقتدرًا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب..

هل كان لعيسى صفات الهية؟

لم ترد في نصوص الإنجيل أوصاف تبرر اعتقاد الكنائس بألوهية عيسى، بل على العكس جاءت جميعها دالّة على بشريته:

"وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، فجاء لعله يجد فيها شيئًا. فلما جاء إليها لم يجد شيئًا إلا ورقًا، لأنه لم يكن وقت التين. فقال لها يسوع: لا يأكل أحد منك ثمرًا بعد إلى الأبد. وكان تلاميذه يسمعون." مرقس 12:11–14:

النص يقول بوضوح: "لأنه لم يكن وقت التين."

فلماذا إذًا لعن الشجرة؟.. ألم يكن من المفترض، كإله، أن يعرف من بعيد أنها بلا ثمر؟ لماذا يمشي إليها ليتأكد؟ أليس الله كليّ العلم؟ ولماذا يلعن شجرة لم تفعل شيئًا سوى أنها أطاعت النظام الطبيعي الذي خُلِقت عليه؟ ألم يكن من المفترض أن يُسعده أنها تسير وفق قوانينه الطبيعية التي وضعها هو إذا كان هو الله؟

الفيلسوف برتراند راسل علق على هذا المقطع في كتابه "لماذا لستُ مسيحيًا":

"أحد الأمور التي تجعلني أتردد في قبول الطابع الأخلاقي للمسيح هو أنه لعن شجرة تين لأنها لم تُثمر، رغم أنه لم يكن موسم التين."

مرقس 13:32

"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الآب."

إذا كان إلهًا أو له صفات إلاهية أليس من المفترض أن يعلم متى الساعة؟

متى 21:18

"وفي الصباح، إذ كان راجعًا إلى المدينة، جاع."

لوقا 24:41–43

"فقال لهم: أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءًا من سمك مشوي."

يوحنا 4:6

"وكان يسوع قد تعب من السفر، فجلس هكذا على البئر."

متى 26:38

"نفسي حزينة جدًا حتى الموت."

يوحنا 11:35

"بكى يسوع."

فنصوص الكتاب المقدس وخصوصاً العهد القديم (التوراة) و هو المرجع الأول لليهود والمسيحيين لتحديد صفات الإله، يقدّم لنا صورة واضحة ومجردة لله:

إلهٌ لا يجوع، لا يتعب، لا يندم، لا يموت، ولا يتغير.

سفر إشعياء يقول لنا: (إشعيا) 40:28

"أما عرفت؟ أم لم تسمع؟ إله الدهر، الرب، خالق أطراف الأرض، لا يكل ولا يعيا.."

عدد 23:19

"ليس الله إنسانًا ، ولا ابن إنسان."

هوشع 11:9" :لأني أنا الله لا إنسان".

حبقوق 1:12

"ألست أنت منذ الأزل، يا رب إلهي قدوسي؟ لا تموت!"

"إني أنا الرب لا أتغير ". طبيعة الله عزوجل لاتتغير لايصبح انساناً

سفر الملوك الأول 8:27:"الله السماوات السماوات لا تسعه" .. فكيف وسعه رحم امرأة؟

فهل تنطبق هذه الصفات على يسوع كما تصفه الأناجيل اللاحقة؟

إن تصوير يسوع في الأناجيل كشخص يجوع، يتعب، يجهل، ويبكي، يتعارض جوهريًا مع الصفات الإلهية المطلقة كما يحددها العهد القديم، ما يكشف غياب أي أساس نصي حقيقي لألوهيته، ويُضعف البناء اللاهوتي الذي صاغته المجامع لاحقًا، وليس على النصوص.

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة: 116]

إنجيل متى 22:7–23:

22كثيرون يقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، أما نبأنا باسمك وطردنا الشياطين باسمك وعملنا العديد من المعجزات باسمك؟

23فأقول لهم بصراحة: لم اعرفكم قط. ابتعدوا عني يا فاعلي الاثم! (وذلك لقولهم أنه إله من دون الله)

كيف تدعي الكنائس المعاصرة ألوهية المسيح من خلال تأويل آيات الإنجيل؟

رغم أن نصوص الكتاب المقدس لا تحتوي على تصريح صريح من يسوع يدعي فيه ألوهيته أو يطلب فيه عبادة الناس له، إلا أن بعض الكنائس المعاصرة تلجأ إلى تأويل غير دقيق لبعض الآيات خارج سياقها وتحريفاً لمعناها النصي، سنستعرض كيفية استخدام هذه الكنائس لبعض آيات العهد الجديد، ونكشف التلاعب والتأويلات التي تُبعد النص عن معناه الأصلي، بهدف رسم صورة ألوهية غير مدعومة بالنصوص الصريحة.

متى 28:18 "أُعطيتُ كل سلطان"

إعطاء السلطة يدل على أن هناك من هو أعلى منه أعطاه إياها، وهو الله ولا يعني انه إله أو أنه إدعى الألوهية هنا، في حال أعطاك سلطة أحدهم سلطة ما فهل هذا يعني أنك تملكها من قبل؟

"أنا والآب واحد" (يوحنا 10:30)

هذه الآية تُقتطع كثيرًا من سياقها لتُستخدم كدليل على ألوهية المسيح، لكنها في الإطار والسياق الكامل لخطاب يسوع لا تُشير إلى وحدة جوهرية بينه وبين الله، بل إلى وحدة في الإرادة والغاية.

عند قراءة الآيات السابقة مباشرة، يظهر المعنى بوضوح حيث يقول يسوع في (يوحنا 10:25–30) حيث يتحدث عن الخراف والراعي الصالح (الخراف كناية عن المؤمنين وعن الراعي الصالح كيف يجب أن يتصرف) يتحدث مخاطباً اليهود عندما سألوه هل أن المسيح؟ إذا أنت المسيح قل لنا جهراً، فقال لهم :

"إني قلت لكم ولستم تؤمنون، الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي (يقصد المعجزات التي يؤديها باسم وإرادة الله) هي تشهد لي، ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي، كما قلت لكم، خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أُعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد".

السياق يتحدث عن حفظ المؤمنين، ويؤكد يسوع أن لا أحد يستطيع أن ينتزعهم منه أو من الآب (الايمان عندما يدخل القلب)، ويشير إلى تطابق المشيئة بينه وبين الله في هذه المهمة، لا إلى وحدة جوهرية أو ألوهية ذاتية.

في الآيات التالية مباشرة (يوحنا 10:31–33)، نقرأ:

"فتناول اليهود أيضًا حجارة ليرجموه... لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا".

لم يكن رد فعل اليهود تعبيرًا عن سوء فهم بريء، بل جاء نتيجة عداء متأصّل وترصّدٍ دائم، إذ كانوا يتحيّنون الفرص لاقتناص أي كلمة يمكن استخدامها كذريعة لتوجيه تهمة التجديف إلى يسوع والتخلّص منه، لكن يسوع يرد في الآيات:(10:34–36)

"أليس مكتوبًا في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟"

يسوع يحيلهم إلى العهد القديم "أنا قلت: إنكم آلهة، وبنو العليّ كلكم".

(مزمور 82:6). الآية تتحدث عن قضاة بني إسرائيل الذين كانوا يُمثلون شريعة الله، فسُمّوا "آلهة" أرضية مجازًا لأنهم يحكمون باسمه، ولكن بعد ذلك يقول النص:

"لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون".

(مزمور 82:7)

أي أنهم ليسوا آلهة حقيقية، بل بشر فانون.

ايضاً: في سفر خروج 7:1

"فقال الرب لموسى: انظر، أنا جعلتك إلهًا لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك".

لفظ "إله" في الكتاب المقدس لا يعني دائماً الألوهية الجوهرية. الله يقول لموسى إنه جعله "إلهًا لفرعون"، أي شخصًا ذا سلطة نبوية وكلمة نافذة، وليس بمعنى الألوهية الحقيقية.

ونرى يسوع يُفنّد اتهامهم اياه بالتجديف ويُبيّن أن استخدام لفظ "إله" قد يُفهم في سياقات غير لاهوتية.

في (يوحنا 21:17–23)، يقول يسوع:

" ليكون الجميع واحدًا، كما أنك أنت أيها الآب فيَّ، وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد، أنا فيهم، وأنت فيَّ، ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني".

فهل هذا يعني أن التلاميذ والمؤمنين أيضًا أصبحوا آلهة لأنهم "واحد" مع الله؟ بالطبع لا. السياق يُشير إلى الانسجام والاتحاد في الإيمان والمهمة والوحدة الوظيفية، ليس اتحادًا لاهوتيًا.

"فسجد الذين في السفينة له قائلين: بالحقيقة أنت ابن الله".

(متى 14:33)

السياق الكامل (الآيات 22–33):

بعد إشباع الجموع، أرسل يسوع تلاميذه في السفينة ليعبروا البحيرة، ثم انفرد للصلاة. وفي وقت لاحق، سار على الماء نحوهم، فارتعبوا وظنوه شبحًا. طمأنهم، ثم طلب بطرس أن يمشي نحوه، لكنه خاف وغرق، فأنقذه يسوع. عند صعوده إلى السفينة هدأت الرياح، فسجد له التلاميذ وقالوا: "بالحقيقة أنت ابن الله."

السجود لا يعني بالضرورة عبادة إلهية، فالكلمة اليونانية المستخدمة هنا هي **Proskyneo** (**προσκυνέω**)، وتُستخدم كثيرًا في الكتاب المقدس بمعنى الاحترام أو التبجيل، وليس "العبادة الإلهية".

حيث كان السجود يُستخدم أحيانًا للتعبير عن الاحترام الكبير أو التبجيل لشخص ذو مكانة عالية، مثل الملوك أو الأنبياء، من الأمثلة على ذلك:

يعقوب سجد لعيسو –تكوين 33:3

ناثان النبي سجد للملك داود 1 –ملوك 1:23

الملك نبوخذنصر سجد لدانيال –دانيال 2:46

أعداء يسجدون للمؤمنين –رؤيا 3:9

وعبارة ابن الله" لا تعني "الله" في المفهوم الكتابي "ابن الله" تعني عبدٌ بار، مختار من الله، وليست وصفًا لذات إلهية، فنجد الكتاب المقدس يطلق لقب "ابن الله" على العديد من البشر الصالحين والأنبياء والشعب المختار، دون أن يعني بذلك الألوهية:

يعقوب" :من مصر دعوت ابني – "هوشع 11:1

آدم" :ابن الله – "لوقا 3:38

داود" :أنا أكون له أبًا، وهو يكون لي ابنًا 2 – "صموئيل 7:14

الشعب الإسرائيلي" :ابني البكر إسرائيل – "خروج 4:22

الأبرار عمومًا" :طوبى لصانعي السلام، لأنهم يُدعون أبناء الله – "متى 5:9

"أنا هو الطريق والحق والحياة. لا يأتي أحد إلى الآب إلا بي".إنجيل يوحنا 14:6

سياق الآيات كامل: " لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي، في بيت أبي منازل كثيرة، وإلا فإني كنت قد قلت لكم، أنا أمضي لأعد لكم مكانا، وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتي أيضا وآخذكم إلي، حتى حيث

أكون أنا تكونون أنتم أيضا، وتعلمون حيث أنا أذهب، وتعلمون الطريق.قال له توما: يا سيد، لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟ قال له يسوع: أنا هو الطريق والحق والحياة، لا يأتي أحد إلى الآب إلا بي، لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضا، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه".

لا يوجد أي ادعاء للألوهية هنا: كل نبيّ مرسل الى قومه هو الطريق وسبيل الهداية إلى الله في زمانه من خلال تعاليم الله ولكنه ليس الغاية النهائية، فالغاية النهائية هي الله، والطريق إليه هو باتباع الرسول الذي أرسله الله في ذلك العصر، فاذا كنت في زمن موسى، تتبع موسى وتعاليمه وإذا كنت في زمن عيسى، تتبع عيسى وتعاليمه... أما اليوم، وإلى يوم القيامة، فإن الطريق إلى الله هو باتباع خاتم المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة وباتباع تعاليم الاسلام.

وبقوله من رآني فقد رأى الآب" لا تعني أن يسوع هو الله، بل تعني أنه يمثل الله ويُظهر كلمته وأعماله، كما يفعل كل نبي صادق.

"الذي رآني فقد رأى الآب".إنجيل يوحنا 14:9

يجب قراءة سياق الآيات لكي تتضح الصورة: "قال له فيلبس: يا سيد، أرنا الآب وكفانا .قال له يسوع: أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟ الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت: أرنا الآب؟ ألست تؤمن أني أنا في الآب، والآب فيّ؟ الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي (يقصد الوحي من الله)، لكن الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال (يقصد أن المعجزات من الله)".

هذه الآيات تعني أن يسوع يمثل الله ويُظهر كلمته وأعماله، كما يفعل كل نبي صادق، يظهر إرادة الله ويعمل بها، فهو ممثل إرادة الله وليس هو الله ذاته، هذا يشبه دور الأنبياء الذين يمثلون كلام الله وأفعاله، وليس إعلان ألوهية.

وعقيدة الثالوث تقول إن الآب ليس الابن، بل هما "أقنومان" متميزان، فهذه العبارة لا يمكن أن تكون حرفية، لأن الرؤية الحرفية للآب منافية لما جاء في الكتاب المقدس نفسه:

في يوحنا 1:18

"الله لم يره أحد قط".

وفي تيموثاوس 6:16

"الذي لا يقدر أحد أن يراه، ولا أن يدنو إليه".

إذن، إن قال يسوع "من رآني فقد رأى الآب"، فلا يمكن أن يكون يقصد الرؤية الحسية أو الحرفية، في خرقٍ صريح لعقيدة الثالوث نفسها، التي تُميّز بينهما من حيث الجوهر والعلاقة. بل إن المجامع الكنسية عدّت هذا الخلط هرطقة و إلغاءً للفارق الأقنومي بين الآب والابن في عقيدة الثالوث، فقول يسوع "من رآني فقد رأى الآب" لا يمكن تفسيره حرفيًا دون انتهاك العقيدة المسيحية ذاتها، وإنما يفهم على أنه يشير إلى تمثيله الكامل لإرادة الله وكلمته، لا إلى اتحاده الجوهري بذات الآب،

"قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن ".يوحنا 8:58

يستشهد البعض بهذه العبارة للدلالة على ألوهيته، ولكن عند تأمل السياق والمفاهيم اللاهوتية اليهودية، يتبين أن المعنى أقرب إلى الإشارة إلى الإرسال الإلهي السابق في علم الله وخطته، لا إلى أزلية ذاتية أو ألوهية جوهرية.

فعبارة "أنا كائن" لا تعني أنه هو الله ذاته، بل أن رسالته ووجوده كنبي مرسل، مخطط له في مشيئة الله منذ الأزل، تمامًا كما يُفهم من النصوص النبوية التي تتحدث عن النبي المختار، وأنه سيكون تحقيقًا لوعد سابق.

فقد قال المسيح لليهود كما ورد في يوحنا 8:56:

"أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي، فرأى وفرح".

يسوع يتحدث عن فرح إبراهيم بوعد الله المستقبلي بقدوم نبي مُرسل، وهو ما رآه في رؤيا الوعد، لا أنه كان يرى يسوع ذاته كإله أزلي.

والأهم من ذلك أن هذا النمط من التعبير كان مألوفًا في الأدب العبري للتعبير عن الاختيار والتمكين في علم الله منذ الأزل. والدليل على ذلك ما جاء في سفر الأمثال 8:22–23 على لسان سليمان:

"الرب خلقني أول طريقه، من قبل أعماله، منذ القدم. منذ الأزل مُسحت، منذ البدء، قبل أن كانت الأرض".

ومع ذلك، لم يقل أحد أن سليمان إله أو أزلي، بل اعتُبر هذا النص تشبيهًا شعريًا عن الحكمة أو الفطنة أو النبوة، لا عن ألوهية ذاتية.

ايضاَ نجد الكتاب المقدس يستخدم أسلوبًا مماثلًا عند الحديث عن النبي إرميا:" قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك، جعلتك نبيًا للشعوب".

إرميا 1:5

هذه الآيات تربط بين الاختيار الإلهي السابق، والمعرفة الإلهية، والتقديس للرسالة، دون أن يكون لذلك علاقة بالألوهية الجوهرية أو الأزلية الذاتية.

وبذلك، فإن عبارة يسوع "أنا كائن قبل إبراهيم "تفهم ضمن ذات السياق :إشارة إلى كونه المختار في خطة الله الأزلية لتنفيذ وعد إلهي سابق، لا إعلانًا عن كونه الله المتجسد.، أو كائن أزلي إلهي. ولو كان يقصد بها الألوهية، لماذا لم يقلها بوضوح؟ لماذا لم يقل أبدًا: "أنا الله"، أو "اعبدوني"؟

بل قال في يوحنا 3:17:

"أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته".

"أنا الألف والياء، البداية والنهاية..." (رؤيا 22:13)

كثير ما تقتبسها الكنائس، لكنها ليست قولًا مباشرًا من المسيح في حياته، بل وردت ضمن رؤيا رمزية منامية كتبها يوحنا الحواري في سفر الرؤيا، وذلك بعد عقود من رفع المسيح، هذا السفر ينتمي إلى ما يُعرف بـ الأدب الرؤيوي المليء بالرموز والتشبيهات.

عيسى في السماء ولم يمت، وهذا دليل على الألوهية:

الكنائس تدعي إن عيسى هو الوحيد الذي بقي حيًّا في السماء وهذا دليل على ألوهيته، لكن الكتاب المقدس نفسه يذكر أن أنبياء آخرين صعدوا إلى السماء ولم يموتوا، ولكن لم يقل أحد إنهم آلهة:

النبي إيليا

النص الصريح في سفر الملوك الثاني 2: 11:

"وفيما هما يسيران ويتكلمان، إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء".

النبي أخنوخ

النص في سفر التكوين 5: 24:

"وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه".

في الرسالة إلى العبرانيين 11: 5:

"بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله".

الرفع إلى السماء ليس دليلاً على الألوهية، بل هو تكريم من الله لعباده الصالحين. وهو أمرًا ليس فريدًا وخاصًا بعيسى، فالكتاب المقدس يذكر أن إيليا وأخنوخ أيضًا رُفعا ولم يقم اليهود بعبادتهم! .. فإذا كان وجود المسيح في السماء حيًا دليلًا على أنه إله، فينبغي أن يكون إيليا وأخنوخ آلهة أيضًا.

ولادة المسيح من أم دون أب دليل على ألوهيته:

آدم خُلق بلا أب ولا أم، ولم يقل أحد إنه إله.

حواء خُلقت بلا أم ولا أب، ولم يقل أحد إنها إلهة.

إسحاق وُلد من أم عاقر، وكذلك يوحنا المعمدان (يحيى)، وهذا إعجاز من الله، و لم يقل أحد من قبل إنهما آلهة، فالولادة المعجزة ليست دليلاً على الألوهية، بل هي آية من آيات خلق الله تبارك وتعالى.

ايضاً نجد في الكتاب المقدس:

كاهن يهودي اسمه ملكي صادق بدون اب وبدون ام وليس له بداية ولانهاية، يقول النص:

عبرانيين 7: 3" لأن ملكي صادق ليس له أب ولا أم، ولا نسل، ولا بداية أيام ولا نهاية حياة، بل هو مُشبَّه بابن الله "

إذا كان منطق الكنيسة أن المسيح إله لأنه بلا أب، فملكي صادق هذا، أولى بالعبادة والألوهية من عيسى وآدم، هذا إذا كان ولابد من عبادة البشر بدل عبادة خالق البشر.

عيسى ابن مريم فعل معجزات وأعطى الحياة واقام موتى لذا هو الله:

كل نبي له معجزات عظيمة فموسى شق البحر ومحمد شق القمر، وهناك أنبياء آخرون أعطوا حياة أو أقاموا موتى، غير عيسى:

موسى اعطى حياة للعصا بأمر الله، كما في سفر الخروج 7: 10–12

"فذهب موسى وآرون إلى فرعون، وفعلوا كما أمر الرب. فألقى آرون عصاه أمام فرعون وعرفاة، فصارت حية . فاستدعى فرعون حكماءه وسحرة مصر، ففعل كل واحد منهم بسحره، فألقوا كل واحد عصاه فصارت حية أيضًا .لكن عصا موسى ابتلعت عصيهم".

إيليا:

في سفر الملوك الأول (17: 17–22) أقام ابن الأرملة بعد أن مات:

"فسمع الرب لصوت إيليا، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش".

أليشع:

في سفر الملوك الثاني (4: 32–35) أقام ابن المرأة الشونمية:

"فوضع فمه على فمه وعينيه على عينيه وكفيه على كفيه... فعادت نفس الولد فعاش".

وكذلك (2 ملوك 13: 21) رجل ميت قام بعدما مس عظام أليشع!

فمعجزة إحياء الموتى لم يكن حكرًا على عيسى ابن مريم، وقد وضح عيسى في اكثر من موضع ان الله الذي يحيي الموتى وليس هو:

مثال في قصة إقامة لعازر وردت في إنجيل يوحنا:(11: 41–43)

"فرفع يسوع عينيه إلى فوق وقال :أيها الآب، أشكرك لأنك سمعت لي. وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتني .ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم: "لعازر، هلم خارجًا"

يوحنا 5:30

"لا أقدر أن أفعل شيئًا من نفسي، كما أسمع أدين، وحكمي عادل، لأنني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني".

ألوهية المسيح وعقيدة الثالوث في القرآن

بعثة عيسى ابن مريم الى قومه (بني إسرائيل):

"ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون (63) إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم (64) فاختلف الأحزاب من بينهم، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (65)" سورة الزخرف

ألوهية عيسى ابن مريم:

في سورة المائدة (5:17) يقول الله تعالى:

"لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير".

وفي سورة المائدة (5:116–120) حوار بين الله وعيسى يوم القيامة:

"وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ۝ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ۝ فلما توفّيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد".

تؤكد هذه الآيات على أن عيسى لم يدّعِ الألوهية، بل كان يأمر الناس بعبادة الله وحده. وفعلاً لم نجد في الأناجيل أي قول صريح منسوب إليه يدعي بأنه إله، أو أنه أمر الناس بعبادته.بل على العكس لقد حذرهم من الشرك بالله، في إنجيل متى 7:22–23:

22كثيرون يقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، أما نبأنا باسمك وطردنا الشياطين باسمك وعملنا العديد من المعجزات باسمك؟

23فأقول لهم بصراحة: لم اعرفكم قط. ابتعدوا عني يا فاعلي الاثم!

وفي سورة النساء:(4:172–173)

"لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ۞ ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا ۞ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا".

ادعاء عيسى ابن الله:

ادعاء عيسى ابن الله

في سورة مريم:(19:88–92)

"وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ۞ لقد جئتم شيئا إدا ۞ تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ۞ أن دعوا للرحمن ولدا ۞ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ۞ إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا".

وفي سورة مريم:(19:34–36)

"ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ۞ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ۞ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم".

وفي سورة آل عمران:(3:59–64)

"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ۞ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ۞ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ۞ إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم ۞ فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين ۞ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون".

عقيدة الثالوث في الإسلام:

في سورة المائدة:(5:73)

"لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم".

وفي سورة النساء:(4:171)

"يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا".

سورة الشورى: 13–14:

"شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (13) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، ولو لا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (14)"

اختلاف الفرق والطوائف: رأينا في الفصول السابقة كيف انقسم أتباع المسيح إلى فرق وطوائف، مثل:الناصريون، الأبيونيون، الآريوسيونن، (التيار البولسي)الذي تزعمه بولس، وامتد عبر الإمبراطورية الرومانية، وكيف قررت الأناجيل في المجامع.

فصل: هل الكتاب المقدس وحي من الله؟

التحريف، سواء أكان تعديلًا أو حذفًا أو إضافة، وعدم ثبات النص، ليس مجرد اتهام خارجي، بل حقيقة معترف بها ضمنيًا وصريحًا داخل الكتاب المقدس نفسه. فالكتاب المقدس يقرّ بأن الكتبة بدّلوا وأضافوا وغيروا النصوص بأيديهم، ويشهد على ذلك في عدة مواضع، منها:

إرميا 23:36 "أما وحي الرب فلا تذكروه بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، إذ قد حرّفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا".

المزامير 56:5 "اليوم كله يحرفون كلامي. على كل أفكارهم بالشر".

إرميا 8:8 "كيف تقولون: نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟ حقًا إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب".

العهد القديم (التوراة):

لم تكتمل التوراة بصورتها الرسمية النهائية، كما هي محفوظة في النص الماسوري، إلا بعد نحو 2500سنة من وفاة النبي موسى.
فبينما يُقدّر المؤرخون زمن وفاة موسى بنحو 1400قبل الميلاد، فإن أقدم نسخة كاملة معتمدة من التوراة العبرية، هي مخطوطة لينينغراد والتي كُتبت في سنة 1008ميلادية، وهي النسخة التي اعتمدها الحاخامات لاحقًا كنصٍ موثوق، وتُستخدم اليوم كأساس في الطبعات الأكاديمية الحديثة مثل:

- **Biblia Hebraica Stuttgartensia (BHS)**
- **Biblia Hebraica Quinta (BHQ)**

وقد سبقتها محاولات متفرقة لتثبيت النص، أبرزها مجمع جامنيا (**Yavneh**) في نهاية القرن الأول الميلادي، لكن النص الماسوري لم يستقر بصورته النهائية إلا بعد عدة قرون، ، بل مرت بسلسلة طويلة من الكتابة، والتحرير، والمراجعة عبر العصور.

الحاخامات اليهود يدعون ان موسى كتب التوراة، لكننا نجد في سفر التثنية (**Deuteronomy**)، الإصحاح 34، الآيات من 5 إلى 10، تُثبت أن موسى بريء من هذا الادعاء. فالآيات تتحدث عن تفاصيل وفاته ودفنه

في مكان غير معلوم، ومن ثم انتقال القيادة إلى يشوع بن نون.. كما تُشير إلى مقام موسى الفريد كنبيّ، والذي عرفه الرب "وجهًا لوجه"، وأنه لم يأتِ نبي مثله في بني إسرائيل.

أبرز مخطوطات العهد القديم (التوراة):

مخطوطات البحر الميت:

هي مجموعة من المخطوطات العبرية القديمة التي تم اكتشافها بين عامي 1947و1956 في كهوف قُمران قرب البحر الميت، وتعود إلى الفترة الممتدة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، وتُعد أقدم المخطوطات. لكن المخطوطات تم رفضها بالكامل من قبل الحاخامات اليهود ولم يتم اعتمادها كنص ديني رسمي لوجود فروقات جوهرية بينها وبين نص التوراة الماسوري المعتمد حالياً.

مخطوطة حلب(Aleppo Codex) :

مخطوطة حلب تم كتابتها في عام 920م وهي نسخة غير كاملة من العهد القديم وبالإضافة الى ان أجزاء كبيرة منها أتلفت وفقدت عام 1947 من سفر التكوين حتى جزء من التثنية.

مخطوطة لينينغراد:

هي أقدم نسخة كاملة معروفة للنص الماسوري الكامل للتناخ (العهد القديم)، وقد كُتبت عام 1008م، منذ عام 1937 أصبحت النص الأساسي الذي تُبنى عليه الطبعات الأكاديمية الحديثة للعهد القديم، مثل Biblia Hebraica Stuttgartensia (BHS)و. Biblia Hebraica Quinta (BHQ)

رأي أبرز العلماء والباحثين بالعهد القديم (التوراة):

اروخ ليفين(Baruch A. Levine) أستاذ الدراسات التوراتية في جامعة نيويورك:

يرى أن بعض أسفار التوراة، خاصة سفر اللاويين والعدد، كُتبت أثناء المنفى البابلي لتعزيز سلطة الكهنة، ويشير إلى أن الطقوس والشرائع "نُسجت لاحقًا وأُسقطت على زمن موسى" لتكتسب شرعية.

جون فان سيتيرس(John Van Seters) أحد كبار باحثي النقد النصي والتاريخي في الكتاب المقدس:

يرى أن التوراة هي عمل أدبي من صنع مؤرخ يهودي متأخر جمع فيه أساطير، وقصصًا شفهية، ونصوصًا كهنوتية متفرقة.

ريتشارد إليوت فريدمان – باحث يهودي في الكتاب المقدس

في كتابه "Who Wrote the Bible يقول موسى لم يكتب أسفار موسى الخمسة. هذه الأسفار هي عمل مركّب لمؤلفين متعدّدين كتبوا على مدى قرون عدّة.

إسرائيل فنكلشتاين – عالم آثار يهودي

يثبت أن أحداثًا كثيرة في التوراة، لم تحدث تاريخيًا، بل كُتبت لاحقًا لأغراض دينية وسياسية.

جوليان مورجان باحث يهودي في النقد النصي

يؤكد أن النصوص اليهودية القديمة تحتوي على تغييرات متعمدة، وأن الأسفار تم تعديلها عبر العصور لأسباب لاهوتية وسياسية.

جيمس كوغلين(James Kugel) باحث يهودي أرثوذكسي، في جامعة هارفارد و أستاذ في قسم الكتاب المقدس في جامعة بار إيلان في إسرائيل، رغم إيمانه الديني، يعترف أن التوراة من كتابة بشر، ويقول:

الاعتقاد بأن التوراة نزلت من السماء حرفيًا لا يمكن الدفاع عنه علميا والفكرة القائلة بأن الله أملى الكتاب المقدس على موسى، ليست شيئًا يمكن للباحثين المعاصرين في الكتاب المقدس قبولها كحقيقة.

العهد الجديد (الانجيل):

لا يوجد أي مخطوطات أصلية للأناجيل إنّ ما يُعرف اليوم بـ"العهد الجديد" أو "الإنجيل"، ليس سوى تراكم نصوص نُسخت عبر قرون ولا يُمثل النص الأصلي الذي تكلّم به المسيح عيسى بن مريم ، بل هو كتاب دوّن بلغة يونانية غريبة عن لسان المسيح بعد 400 عام من رفعه، بأقلام مؤلفين مجهولي الهوية، ليس من بينهم من يُثبت التاريخ أنه كان شاهدًا على حياة عيسى أو من خاصته.

فقد كان المسيح يتحدث بالآرامية، وهي لغة سامية قريبة من العبرية والعربية، بينما الأناجيل كُتبت باللغة اليونانية، وهي لغة الفلسفة والأساطير الوثنية، لا لغة الوحي.

إن مؤلفي الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا، لا تذكر أسماء مؤلفيها ضمن نصوصها الأصلية

الأولى، وأُضيفت إليها هذه الأسماء لاحقًا في محاولة لإضفاء سلطة رسوليّة وشرعية على النصوص فمؤلفيها شخصيات غامضة لا نملك عنهم أي معلومة مؤكدة.. لا نعرف أسماءهم الكاملة الحقيقية ولا نعرف عنهم شيئًا يُعتدّ به تاريخيًا، لا اسمًا موثقًا، ولا سيرة، ولا شاهدًا معاصرًا يُثبت وجودهم.. فنحن لا نعلم إن كان "متى " هذا قد رأى المسيح أصلًا، ولا من هو والده، ولا من أي بيئة ثقافية أو اجتماعية جاء، ولا متى وأين وُلد، ولا أين عاش، ولا متى مات، ولا أين دُفن، ولا من عاصره وشهد له. وينطبق هذا تمامًا على مرقس ولوقا ويوحنا، فليس لدينا أي سند تاريخي موثوق يُعرّف بهم بوصفهم أشخاصًا حقيقيين، فالنصوص التي نسب الى هذه الأسماء المستعارة لا تصدر عن شهود عيان معرّفين؟ بل إن إخفاء هوية المؤلفين في لحظة تشكّل العقيدة المسيحية يعد خللًا بنيويًا يُسقط عن هذه النصوص صفة الوثوق العلمي والتاريخي.

وما يثير الريبة بشكل أعمق هو هذا الاضطراب السردي اللافت، إذ نجد أن الأناجيل تنسب إلى مؤلفين يُفترض أنهم شهود عيان، ومع ذلك يتحدث النص عنهم بصيغة الغائب مثال في متى **9:9**، يُفترض أن متى نفسه هو الكاتب، لكنه يتحدث عن نفسه وكأنه شخص آخر:" ورأى يسوع رجلاً جالسًا عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له: اتبعني، فقام وتبعه".لو كان متى هو الكاتب، فمن المنطقي أن يقول:"ورآني يسوع جالسًا عند مكان الجباية، فقال لي: اتبعني، فقمت وتبعته.

وقد أكد عدد من كبار علماء دراسات العهد الجديد، والباحثين في النقد الكتابي، أن الأناجيل لم تُكتب بأقلام شهود عيان، بل ظهرت بعد رفع المسيح بزمن طويل، ونُسبت لاحقًا إلى مؤلفين مجهولين. كما لا توجد أي سلسلة توثيق متصلة أو سند تاريخي دقيق يثبت أن ما نُسب إلى المسيح هو بالفعل من كلامه. وفيما يلي أبرز ما خلصت إليه دراساتهم العلمية والبحثية:

بارت إيرمان (**Bart D. Ehrman**) أستاذ الدراسات الدينية بجامعة نورث كارولاينا:

"إن الأناجيل لم تُكتب مباشرة بعد حياة يسوع، بل بعد ذلك بعقود. الإنجيليون أنفسهم لم يكونوا شهود عيان، بل استندوا إلى تقاليد متناقلة شفهياً، مما يعرضها للتحريف والتغيير".

ريمون إدوارد براون (**Raymond E. Brown**) أحد أبرز علماء الكتاب المقدس الكاثوليك:

"لا يوجد دليل قاطع على أن أحد كتبة الأناجيل الأربعة كان من تلاميذ يسوع المباشرين، فحتى إنجيل يوحنا كُتب في نهاية القرن الأول".

د. كيث إليوت (**J.K. Elliott**) أستاذ دراسات العهد الجديد:

"على عكس ما في الإسلام من تقاليد الإسناد المتصل، فإن المسيحية الأولى لم تُعنَ بحفظ أقوال المسيح بسند متصل، مما يجعل نسبتها إليه أمرًا غير مضمون".

جون دومينيك كروسان (**John Dominic Crossan**) عالم ومؤسس مجموعة يسوع البحثية:

"لم يكتب متى ومرقس ولوقا ويوحنا الأناجيل التي تحمل أسماءهم. هذه الأسماء أُلحقت بالأناجيل لاحقًا لتمنحها سلطة".

بروس متزجر (**Bruce Metzger**) من أبرز علماء مخطوطات العهد الجديد:

"لقد حدثت تغييرات وتحريفات في الأناجيل عبر العصور، ولم يتمكن النُساخ من الحفاظ على نص دقيق، خاصة في القرون الثلاثة الأولى".

غريغوري رايلي (**Gregory J. Riley**) أستاذ دراسات العهد الجديد:

"لا يوجد إنجيل واحد لدينا اليوم يمكن أن يُنسب بثقة إلى مؤلفه المزعوم. لم تُكتب هذه النصوص بأسماء أصحابها"

مخطوطات العهد الجديد :

بردية**P52** : قصاصة منسوخة من البردي بحجم كف اليد.. ولكنهم أطلقوا عليها اسم "أقدم إنجيل!"، تُعدّ بردية **P52**والتي تُعرف أيضًا باسم (**John Rylands Papyrus**) واحدة من أكثر القصاصات التي أُحيطت بهالة إعلامية كبرى في الأوساط المسيحية الغربية، يُقال عنها إنها "أقدم مخطوطة للإنجيل"، حيث يعود تاريخ تأليفها إلى 125م، أي تم كتابتها بعد قرن من رفع عيسى، حجمها الفعلي أصغر من بطاقة الائتمان لا تحتوي على أي ذكر لأحداث مركزية في العقيدة المسيحية وهي نسخة ليست الأصل.

بردیات **P46**و **P66**و**P75**:

بردیات منسوخة تعود للقرنين الثاني والثالث الميلادي، وتضم أجزاءً بسيطة من رسائل بولس أو الأناجيل، لكنها ناقصة ومتهالكة ولا تشمل نصًا كاملًا أو متصلاً لأي سفر من العهد الجديد، ولم تُستخدم كنصوص معتمدة في الكنيسة، بل يعتمدها الباحثون فقط في النقد النصي الأكاديمي.

المخطوطة الفاتيكانية(Codex Vaticanus)

تم كتابتها باللغة اليونانية في عام (325–350م) وهي تعكس المرحلة التي بدأ فيها اللاهوت المسيحي بالتبلور تحت نفوذ المجامع الكنسية، مثل مجمع نيقية 325م الذي فرض عقيدة ألوهية المسيح فلا تحتوي المخطوطة الفاتيكانية على عنوان في بداية كل إنجيل يذكر "حسب متى" أو "حسب مرقس" و تم إضافة هذه العناوين لاحقًا في الطبعات.

المخطوطة الفاتيكانية تعد من أهم المخطوطات، لكنها ناقصة، لا تحتوي على نهاية إنجيل مرقس (التي تتضمن قيامة يسوع!). كما تفتقد آخر أجزاء رسالة العبرانيين.وتفتقد سفر الرؤيا بالكامل.والرسائل الرعوية الثلاث (تيموثاوس الأولى والثانية، وتيطس)، وتفتقد الرسالة إلى فيليمون.

المخطوطة السينائية(Codex Sinaiticus)

أقدم مخطوطة شبه كاملة للعهد الجديد وقد كُتبت في القرن الرابع الميلادي (حوالي360م)، أي بعد نحو أربعة قرون من رفع المسيح باللغة اليونانية، تم العثور عليها في دير سانت كاترين بسيناء عام 1844–1859م بواسطة العالم الألماني قسطنطين تيشندورف .(Tischendorf). تُعد من أقدم وأهم المخطوطات وتُستخدم كمرجع في النص النقدي الحديث. وتشير بوضوح إلى وجود اختلافات جوهرية بين النصوص المبكرة.

التناقضات في الكتاب المقدس

الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) شهد تعديلات وتحريفات كبيرة على مر العصور بأيدي بشرية، وقد أدّت هذه التحريفات إلى وجود تناقضات وأخطاء عديدة تظهر بوضوح عند فحص النصوص، وفي هذا الفصل، لن نستعرض جميع هذه التناقضات، لأنها فعلياً تتطلب مجلدات كثيرة، بل سنسلّط الضوء على بعض الأمثلة البارزة التي توضح هذه الظاهرة وتدعو للتأمل في طبيعة النصوص ودقتها.

كيف مات يهوذا: هل انتحر شنقًا أم سقط وانشق من الوسط؟

متى 27:5: "فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه".

أعمال الرسل 1:18: "فإن هذا اقتنى حقلًا من أجرة الظلم، وسقط على وجهه فانشق من الوسط، وانسكبت أحشاؤه كلها".

قصتان عن الخلق أيهما الصحيحة أيهما فعلياً هو الوحي من الله؟

تكوين 1:1 – 2:3:الترتيب: الخلق على مدى ستة أيام، النباتات قبل الإنسان، وخلق الإنسان ذكرًا وأنثى معًا.

تكوين 2:4–25: الإنسان (آدم) خُلق أولًا، ثم النباتات والحيوانات، وأخيرًا حواء من ضلع آدم.

هل الله قادر؟

" فنظر إليهم يسوع وقال لهم: هذا عند الناس غير مستطاع، ولكن عند الله كل شيء مستطاع." متى 19: 26

"وكان الرب مع يهوذا، فطرد سكان الجبل، وأما سكان الوادي فلم يقدر أن يطردهم، لأن مركباتهم كانت من حديد." قضاة 1:19

هل الله خلق الإنسان قبل الحيوان أم بعده؟

تكوين 24:1–27 :يخلق الله الحيوانات أولاً ثم الإنسان.

تكوين 2:18–19 :الله خلق الإنسان أولًا ثم خلق الحيوانات لتساعده.

هل الله يجرّب الناس أم لا؟

يعقوب 1:13: "لا يقل أحد إذا جُرّب: إني أُجرب من قبل الله، لأن الله غير مُجرّب بالشرور، وهو لا يُجرّب أحدًا".

التكوين 22:1: "وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم".

هل يمكن رؤية الله أم لا يمكن؟

الخروج 33:20: "لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش".

التكوين 32:30: "فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل، قائلاً: لأني نظرت الله وجهًا لوجه، ونجّيت نفسي".

الخروج 24:9–11: "وصعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل".

هل كتب موسى التوراة أم لا؟

خروج 24:4" :كتب موسى كل كلام الرب".

تثنية 34:5–10 :موسى مات ولم يكتب التوراة كلها.

من والد الإله يسوع؟

متى 1:16: "ويعقوب ولد يوسف رجل مريم، التي وُلد منها يسوع الذي يُدعى المسيح".

لوقا 3:23: "وكان يسوع لما ابتدأ كأنه ابن يوسف، ابن هالي".

من زار الطفل الإله يسوع عند ولادته؟

متى 2:1–12:"جاء مجوس من المشرق... وقدموا له ذهبًا ولبانًا ومرًّا."

لوقا 2:8–20: "وكان في تلك الكورة رعاة... فأتوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل..."

كل رواية تقدم زوارًا مختلفين لم يذكرهم الآخر.

هل الأرض تبقى إلى الأبد؟

الجامعة 1:4:"دور يمضي ودور يجيء، والأرض قائمة إلى الأبد."

المزمور 104:5:"المؤسس الأرض على قواعدها، فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد."

بطرس الثانية 3:10–13: "تزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض..."

رؤيا 21:1: "ثم رأيت سماء جديدة وأرضًا جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا..."

نصوص تؤكد ديمومة الأرض، ونصوص تؤكد زوالها!

كم أعداد الحيوانات التي أمر الله نوح أن يأخذها في السفينة؟

تكوين 6:19–20:"ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كلٍّ تُدخل إلى الفلك لتكون معك ذكراً وأنثى. من الطيور حسب نوعها، ومن البهائم حسب نوعها، ومن كل دابر الأرض حسب نوعه..."

تكوين 7:2–3:"من جميع البهائم الطاهرة تأخذ سبعة سبعة، ذكرًا وأنثى، ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين، ذكرًا وأنثى. أيضًا من الطيور السمّانة سبعة سبعة، ذكرًا وأنثى لكي تحفظ نسلًا حياً إلى على وجه الأرض."

كم كان عمر أخزيا حين ملك 22 أم 42؟

سفر الملوك الثاني 8:26

"كانَ أَخزيا ابنَ اثنَينِ وعِشرينَ سنَةً حينَ مَلَكَ، ومَلَكَ سنةً واحدةً في أورُشليمَ..."

سفر أخبار الأيام الثاني 22:2

"كانَ أَخزيا ابنَ اثنَينِ وأَربَعينَ سنةً حينَ مَلَكَ، ومَلَكَ سنةً واحدةً في أورُشليمَ..."

كم عمر يهوياكين حين ملك؟ هل كان عمره 8 سنوات أم 18 سنة؟

الملوك الثاني 24:8"كانَ يَهُوياكينُ ابنَ ثَمانِيَ عَشرَةَ سنةً حينَ مَلَكَ، ومَلَكَ ثلاثةَ أشهُرٍ في أورُشليمَ..."

أخبار الأيام الثاني 36:9"كانَ يَهُوياكينُ ابنَ ثَمانِيَ سِنينَ حينَ مَلَكَ، ومَلَكَ ثلاثةَ أشهُرٍ وعَشرَةَ أيّامٍ..."

كم عدد الذين قتلهم داود؟

صموئيل الثاني 10:18"وقَتَلَ داوُدُ مِن أرامَ سبعَ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ وأَربَعِينَ أَلفَ فارِسٍ..."

أخبار الأيام الأول 19:18"وقَتَلَ داوُدُ مِن أرامَ سَبعَةَ آلافِ صاحِبِ مَرْكَبَةٍ وأَربَعينَ أَلفَ رَجُلٍ..."

كم عدد الذين سقطوا بسبب الطاعون؟

صموئيل الثاني 24:13"فجعلَ الربُّ وباءً في إسرائيلَ، فماتَ من الشَّعبِ من دانَ إلى بئرِ سبعَةَ سبعينَ ألفَ رجلٍ."

أخبار الأيام الأول 21:14"فأرسلَ الرَّبُّ وباءً في إسرائيلَ، فماتَ من إسرائيلَ سبعونَ ألفَ رجلٍ."

كم عدد اسطبلات خيول سليمان؟

الملوك الأول 4:26: "وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مركباته، واثنا عشر ألف فارس".

أخبار الأيام الثاني 9:25: "وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات، واثنا عشر ألف فارس".

كم كان عدد رجال الحرب في اسرائيل؟

صموئيل الثاني 24:9: "وكان عدد رجال الحرب في إسرائيل ثمانمئة ألف، ورجال يهوذا خمسمئة ألف".

أخبار الأيام الأول 21:5: "وكان عدد رجال الحرب في إسرائيل مليون ومئة ألف، وفي يهوذا أربعمئة وسبعون ألفًا".

كم عدد أفراد عائلة يعقوب الذين دخلوا مصر؟

التكوين 46:27: "جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون".

أعمال الرسل 7:14: "فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته، خمسة وسبعين نفسًا".

غرائب وأساطير: قصص تثير الدهشة في الكتاب المقدس

الموتى السائرون (الزومبي)

ورد في سفر حزقيال (الإصحاح 37) ما يُسمى رؤية عظام الموتى التي دبت فيها الحياة، حيث تقوم عظام الأموات فجأة وتتحول إلى جيش حيّ يتمشون عراة في المدينة ويمشي أمام حزقيال. القصة تتوقف عند هذا الحد: لا نعلم إلى أين ذهب هؤلاء، ولا ماذا فعلوا بعد عودتهم للحياة، حدث تاريخي جلل كهذا، لم نجد له أي شاهد تاريخي أو توثيق خارج النص التوراتي.

ايضاً: متّى 27:52: "وانفتحت القبور، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين.

نفس الشيء، المشهد هنا يتكرر وفي كل مرة يقومون الأموات من قبورهم ويتمشون عراة ولانعلم الى أين يذهبون، ماذا فعلوا بعد ذلك ،ولانعلم ماهي الفائدة من هذه القصص وسردها! "ولا يوجد أحد ذكر هذا الحدث الجبار في أي وثيقة تاريخية خارج الكتاب المقدس." ولماذا لم يكتب أي مؤرخ عن هذا الحدث العجيب الذي يُفترض أن يُدهش العالم كله؟

في سفر التكوين (32: 22–32)، قصة غريبة جدًا:

يعقوب يدخل في مصارعة جسدية مع الله نفسه طوال الليل، والله لم يستطع أن يغلب يعقوب، بل اضطر في النهاية أن يلمس حق فخذه ليعرّجه .تكوين 32: 25:(وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ) أي أن "الله" لما عجز أن يغلب يعقوب في المصارعة، ضربه على مفصل فخذه (الورك) حتى انخلع المفصل وأصبح يعقوب يعرج.

ولهذا السبب، يذكر سفر التكوين (32:32) أن بني إسرائيل صاروا بعد ذلك لا يأكلون "عِرْق النَّسَا" (وتر في الفخذ)، كتقليد تذكاري لهذه الحادثة!

والأغرب من ذلك: أنه مع اقتراب الفجر يتوسل الله ليعقوب أن يتركه قبل أن يُكتشف أمره! مشهد أشبه ما يكون بقصة "سندريلا" التي تهرب عند منتصف الليل حتى لا يفتضح سرها، ثم يبارك الله يعقوب بعد هذه المصارعة، ويمنحه اسم "إسرائيل".

كيف يُعقل أن يُصوَّر الإله في هيئة مصارعٍ يُغلب من بشر، ويخشى أن يراه الناس عند طلوع الفجر؟ وهل هذه صورة تليق بالله عزوجل؟

الملائكة تتزاوج مع البشر وتنجب (التكوين 1:6–4)

"أبناء الله" تزاوجوا مع بنات البشر، وُلد منهم "العمالقة"!:

نص الآيات: "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا... وكان في الأرض جبابرة (عمالقة) في تلك الأيام، حين دخل أبناء الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم"

وبحسب تفسير آباء الكنيسة الأوائل أن الجبابرة لأنهم ولدوا من العلاقة بين الملائكة والنساء. ولأنهم ليسوا ملائكة ولا بشر، لكن من طبيعة وسطية، لا يقبلهم العالم الداخلي (الجنة) ولا العالم الخارجي (العالم الأرضي) لأن "الملائكة أبناء الله أفسدت الأنساب مع النساء في جماع، أنجبت أبناء يُسمّون شياطين"

الله يأمر نبيًا بالزواج من زانية

هوشع 1:2

"اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى."

الله يأمر نبيه أن يأكل خراء:في سفر حزقيال 12:4–15

"وتأكل كعكا من الشعير على الخرء الذي يخرج من الانسان، تخبزه امام عيونهم.وقال الرب.هكذا ياكل بنو اسرائيل خبزهم النجس بين الامم الذين اطردهم اليهم.فقلت آه يا سيد الرب ها نفسي لم تتنجس ومن صباي الى الآن لم آكل ميتة او فريسة ولا دخل فمي لحم نجس، فقال لي انظر، قد جعلت لك خثي البقر بدل خرء الانسان فتصنع خبزك عليه."

في سفر القضاة 4:15–5 شمشون يربط 300 ثعلبًا ويرسلها لتحرق حقول الفلسطينيين

"فذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ثعلب، وأخذ مشاعل، وربط ذنبًا إلى ذنب، وجعل مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط، ثم أضرم المشاعل نارًا، وأطلقها بين زروع الفلسطينيين.

لملوك الثاني 23:2–24

"فصعد في الطريق وإذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه قائلين: اصعد يا أصلع! اصعد يا أصلع! فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب. فخرجت دبتان من الوعر وافترستا منهم 42 ولدًا." بلا رحمة: قتل 42 طفلًا بسبب سخرية لفظية!

ملوك الثاني 28:6–29

"قالت هذه المرأة: هلم نأكل ابني اليوم، ثم نأكل ابنك غدًا. فسلقنا ابني وأكلناه."

1 صموئيل 28: 7–15

شاول يذهب إلى ساحرة "في عين دور"، فتستدعي روح النبي صموئيل من القبر، فيتكلم معه! التواصل مع الأرواح من خلال السحر يخالف أوامر التوراة نفسها، ومع ذلك يحدث بإذن إلهي بحسب النص!

إشعياء 7:20 الله يُصور كحلاق يستخدم شفرة ليقص الرأس واللحية وحتى شعر الجسد بالكامل.

«في ذلك اليوم يحلق الرب بشفرة مستأجرة من وراء نهر الفرات، ملك آشور، رأسك ولحيتك، ويحلق أيضًا شعرك على جسدك كله، ويذهب".

سفر حزقيال 14:9: "ينسب الى الله عزوجل الخداع والكذب "أنا أضع على القلب الكذب وأجعل على الشفاه الخداع".

سفر صموئيل الأول 15:11

"أنا نادم أني صنعت شاول ملكًا، لأنه رجع عني ولم ينفذ أقوالي." يتم تصوير الله بأنه يغير حالته المزاجية بسرعة بسبب سوء قراراته.

صموئيل الثاني 22:9–11 وصف لله تبارك وتعالى

"صعد دخان من أنفه، ونارٌ آكلة من فمه. شرارٌ تتقد منه. أمال السموات ونزل، وضباب تحت رجليه. ركب على كروب، وطار، وظهر على أجنحة الريح."

الله ينفث دخانًا ونارًا من فمه وأنفه!

هذه الصورة تُشبه التنين والوحوش الأسطورية في الميثولوجيا. ويركب على كروب ويطير في السماء! والكروبيم (Cherub) في الكتاب المقدس هم ملائكة مجنحة غالباً يصورون على انهم إناث، ويُصور الله هنا كمن يركب مخلوقًا طائرًا، فيُعيد للأذهان الأساطير الوثنية ، حيث الآلهة تركب مخلوقات خرافية .. إله بنَفَس حار ودخان وشرر؟

"سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(182) " سورة الصافات.

قصص اباحية في الكتاب المقدس:

الكاتب المسرحي الإيرلندي جورج برناد شو قال مقولته الشهيرة عن الكتاب المقدس " الكتاب المقدس أخطر كتاب على وجه الأرض، احتفظوا به في مكان مغلق، وأبعدوا الأطفال عنه".

لا شك أن الذين قاموا بكتابة وتأليف الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) كانت لديهم ميول واتجاهات جنسية منحرفة، وقد انعكست هذه الانحرافات بوضوح على ما كتبوه، فامتلأت نصوصهم بمشاهد جنسية فاضحة، غريبة، ومفرطة في تصوير مشاهد زنا المحارم والانحلال الأخلاقي، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تطاولوا على كرامة الأنبياء أنفسهم، فنسبوا إليهم أفعالًا لا أخلاقية، واتهامات صادمة لا تليق بمقام النبوة.

وسنكتفي هنا بالإشارة دون السرد المباشر لفظاعة السرد وخدش الحياء.. ومن هذه القصص:

ينسب سفر التكوين 20:12، فعل زنا المحارم الى أبو الأنبياء إبراهيم، إذ يقول إبراهيم عن سارة: "وبالحقيقة أيضًا هي أختي، ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي، فصارت لي زوجة". أي أنه تزوّج أخته غير الشقيقة! والمفارقة أن الشريعة لاحقًا تقول بوضوح" :عورة أختك ابنة أبيك أو ابنة أمك، المولودة في البيت أو المولودة خارجًا، لا تكشف عورتها"(لاويين 18:9).

فكيف يقدم إبراهيم على أنه "أب الإيمان" وقدوة للأنبياء ومن نسله يختار الله أنبياءه، وعلاقته الزوجية نفسها تُعتبر بحسب شريعة التوراة رجسًا وزنا محارم؟

لوط وابنتاه (سفر التكوين 19): حيث يمارس لوط مع ابنتاه زنا المحارم في كل ليلة والله لا يمانع ذلك ولا يعظه، والأكثر إثارة للدهشة :في العهد الجديد، نجد مدحًا لنسل لوط، أي أن الكتاب نفسه يشيد بثمرة علاقة تُصنَّف كزنا محارم

قصة يهوذا وكنته ثامار (سفر التكوين 38):

جامع يهوذا كنّته ثامار بعد أن تنكرت كزانية، ومن هذه العلاقة المحرمة وُلد فارص. والكتاب المقدس يربط نسل فارص مباشرة بداوود، ومن ثم بيسوع حسب الأناجيل، أي أن سلسلة نسب داوود والمسيح تمرّ عبر حادثة تُصنّف بوضوح كـ"زنا محارم" بحسب الشريعة اليهودية (لاويين 20:12)..ولانعلم كيف يمكن أن يكون "المخلّص" في العقيدة المسيحية من نسلٍ تأسّس على علاقة محرّمة وصفها الله نفسه بالرجس؟

أمنون وثامار (سفر صموئيل الثاني 13): حيث يمارس الأخ أمنون الجنس مع أخته ثامار:

أمنون ابن داوود اشتهى أخته غير الشقيقة ثامار، بنت داوود من زوجة أخرى .(احتال عليها بدعم من صاحبه (يوناداب) إذ تظاهر بالمرض وطلب أن تأتي ثامار لتصنع له الطعام بيديها.لما دخلت عليه، أمسكها بالقوة وقال: "تعالي اضطجعي معي يا أختي، واضطجع معها"

في سفر التكوين (الإصحاح 9: 20–27): يصف النص سلوكيات مشينة لنبي الله نوح بعد النجاة من الطوفان ذلك بأن النبي نوح عليه السلام بعدما نصره الله ونزل من السفينة صنع خمر وشرب حتى سكر في تلك الليلة وقام بالتعري أمام ابنائه وأبنائه شاهدوا عورته.

داوود وبثشبع (سفر صموئيل الثاني 11):
ينسب النص انتهاك النبي داوود للقيم الأخلاقية واستخدام السلطة لتحقيق رغباته، حيث يرتكب النبي داوود الزنا مع بثشبع زوجة أحد من جنوده ورعاياه، ثم يدبر مقتل زوجها ليخفي خيانته. وتنتج عن هذه العلاقة طفل غير شرعي

والكتاب المقدس يقول: "كل الكتاب موحى به من الله، ونافع للتعليم وللتوبيخ وللتقويم وللتأديب" تيموثاس الثانية 3:16 .. ونحن نسأل هنا تحت أي فئة تندرج هذه القصص؟ هل يمكن للوالدين أن يعلموا هذه القصص لأطفالهم بتفاصيلها السردية بهدف التعليم وهل هذه النصوص تُدرج ضمن "التعليم"؟ وأي تعليم بالضبط؟

كلام الله يتميز بالطهارة المطلقة، وسمو الأسلوب، ورفعة المقصد، والنصوص المذكورة تصنف ضمن أحداث جنسية وأخلاقية صادمة تضرب الأخلاق الإنسانية الأساسية والفطرة البشرية السليمة، وتثير التساؤل حول درجة التحريف المتعمد والتأليف البشري المرضي، ونسبة الكلام الى الله تبارك وتعالى.

الحذف والإضافة والتلاعب بالنصوص والتعديل

لقد تعرضت النصوص المقدسة في العهد الجديد على مر القرون لتغييرات متعددة، شملت الإضافة، والحذف، والتعديل، لأسباب عقائدية وسردية مختلفة. هذه التعديلات هي إضافات متعمدة لدعم معتقدات معينة مثل عقيدة التثليث، قيامة المسيح، فكرة الغفران، أو تعزيز قوة النصوص النبوية.

من خلال دراسة المخطوطات الأقدم مثل السينائية والفاتيكانية والبرديات القديمة، يتضح أن العديد من الآيات التي كانت تُستشهد بها في العقائد المسيحية غير موجودة في النصوص الأصلية. وهذا يفتح الباب للتساؤل حول مدى دقة النصوص ودرجة حفظها من التحريف، وهو سؤال جوهري عند دراسة النصوص الدينية مقارنة بالواقع التاريخي والتقني لنسخ المخطوطات.

سنستعرض بعض الإضافات والحذوفات في الكتاب المقدس، لتسليط الضوء على أمثلة هذه الظاهرة والتي مازالت موجودة:

متى 6:13 – اضافة في الصلاة الربانية

النص التقليدي:

"ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير"

في بعض النسخ المتأخرة أضيفت جملة:

"لأن لك الملك والقوة والمجد الى الابد آمين"

غير موجودة في أقدم المخطوطات مثل السينائية والفاتيكانية. أضيفت لاحقا لتعزيز نهاية الصلاة لأن الصلاة غير كاملة .فالصلاة الحالية تركز على المعدة "أعطنا خبزنا كفاف يومنا" مع الحاجات اليومية الأساسية "نجنا من الأشرار"، فالنص الأصلي يفتقر إلى جانب التواصل الروحي المباشر مع الخالق، وعندما شعروا بذلك بدأت الإضافات، ولكن النسخ الحديثة مثل NIV و ESVحذفتها بعدما اضيفت.

متى 17:21 – الصوم كشرط لإخراج الشياطين

النص:

"واما هذا الجنس فلا يخرج الا بالصلاة والصوم"

لم تكن موجودة في المخطوطات الأقدم، أضيفت لاحقا لوضع سياسة معينة لإخراج الشياطين.

متى 18:11 – الخلاص

النص:

"لأن ابن الانسان قد جاء ليخلص ما قد هلك"

غير موجودة في النسخ القديمة، أضيفت لاحقا لتأكيد عقيدة الخلاص.واعيد حذفها من بعض النسخ.

متى 27:35 – تمت النبوة

النص:

"لكي يتم ما قيل بالنبي"...

لا توجد في المخطوطات الأقدم، أضيفت لدعم فكرة ان المسيح اتم نبوات العهد القديم.

مرقس 7:16 – من له اذنان للسمع فليسمع

غير موجودة في السينائية والفاتيكانية، أضيفت لاحقا في بعض النسخ اللاتينية.

مرقس 9:44 و9:46 – النار التي لا تطفأ

النص:

"حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ"

أضيفت لاحقا لدعم فكرة العذاب الابدي، غير موجودة في النسخ الأقدم.

مرقس 16:9–20 – نهاية انجيل مرقس

المخطوطات الأقدم مثل السينائية والفاتيكانية تنتهي عند 16:8.

الفقرة المضافة لاحقا تضمنت ظهور المسيح بعد القيامة لدعم رواية القيامة وليس لها أي وجود في المخطوطات.

نهاية 16:8 تقول باختصار :النساء يركضن لإخبار التلاميذ بقيامة المسيح، ويهربن مذعورات، ولا يوجد ظهور شخصي للمسيح بعد القيامة.فالنص الأصلي لم يذكر ظهور المسيح لتلاميذه أو للآخرين بعد القيامة.

أضيفت فقرة مرقس 16:9–20 التي تحتوي على:

1. **ظهور المسيح لمريم المجدلية.**
2. **ظهور المسيح لتلميذيها.**

3. تعليماته لهم بالذهاب للعالم كله ليكرزوا.

تمت الإضافة ل دعم العقيدة المسيحية حول القيامة وظهور المسيح بعد موته.

لوقا 9:55–56 – لم يأت ليهلك النفوس

النص:

"لم يأت ليهلك انفس الناس بل ليخلصها"

لم تكن موجودة في السينائية والفاتيكانية، أضيفت لتعزيز صورة المسيح كرمز للخلاص من الخطيئة الأولى.

لوقا 17:36 – الاختطاف

النص:

"يكون اثنان في الحقل فيؤخذ الواحد ويترك الاخر"

"يكون اثنان في الفراش، فيؤخذ الواحد ويُترك الآخر" (لوقا 17:34).

ليست من ضمن المخطوطات وأضيفت لاحقا لدعم فكرة الاختطاف، والاختطاف هي فكرة ظهرت في بعض التيارات المسيحية الحديثة، خصوصًا البروتستانتية الأمريكية أن في نهاية الزمان، سيتم أخذ المؤمنين الأبرار من الأرض فجأة إلى السماء، بينما يبقى غير المؤمنين.

لوقا 22:43–44 – عرق المسيح كالدم

النص:

"وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض"

أضيفت لاحقاً لمحاولة تعزيز اسطورة الصلب من أجل الخطيئة الأولى وأن المسيح كان يعلم مخطط صلبه، غير موجودة في السينائية والفاتيكانية.

لوقا 23:34 – اغفر لهم يا اباه

النص:

"يا اباه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"

أضيفت لاحقا للدراما واثبات اسطورة الصلب، ولاتوجد في المخطوطات السينائية والفاتيكانية.

يوحنا 5:4 – نزول الملاك في البركة

النص:

"لان ملاك كان ينزل احيانا الى البركة ويحرك الماء ومن نزل اولا بعد تحرك الماء كان يبرأ من اي مرض اصابه"

أضيفت في القرن الرابع او الخامس لتعزيز الجانب المعجزي، لم تكن موجودة في السينائية والفاتيكانية.

يوحنا 6:47 – اضافة كلمة بي

النص:

"من يؤمن بي فله حياة ابدية"

أضيفت لدعم العقيدة القائلة بان الايمان بالمسيح وحده ضروري للخلاص، غير موجودة في النسخ القديمة.

يوحنا 7:53 – 8:11 – قصة المرأة الزانية التي رفض رجمها المسيح

لم تكن موجودة في السينائية والفاتيكانية، أضيفت في القرن الرابع او الخامس، تمثل لاحقا قيمة التسامح والغفران، وهي قصة مختلقة عن المسيح.

1يوحنا 7:5–8 – محاولة إضافة لدعم عقيدة الثالوث

النص التقليدي:

"فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الاب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد"

لم تكن موجودة في النسخ الأقدم، أضيفت في القرن الرابع لدعم عقيدة التثليث، وتم حذفها لاحقا في النسخ الحديثة.

اعمال الرسل 8:37 – شرط المعمودية

النص:

"فقال فيلبس ان كنت تؤمن بكل قلبك جاز فاجاب انا اؤمن ان يسوع المسيح هو ابن الله"

أضيفت لاحقا، لم تكن موجودة في النسخ الأقدم، وحذفت في الترجمات الحديثة مثل NIV و.RSV

اعمال الرسل 5:9–6 – حديث المسيح مع بولس

النص:

"فقال يا رب ماذا تريد ان افعل"

أضيفت لاحقا لتعزيز فكرة مقاومة بولس قبل اعتناقه للمسيحية، غير موجودة في النسخ القديمة.

اعمال الرسل 15:34 – بقاء سيلا

النص:

"ولكن سيلا ارتأى ان يلبث هناك"

لم تكن موجودة في المخطوطات الأقدم، أضيفت لاحقا لتوضيح سبب بقاء سيلا مع بولس.

اعمال الرسل 24:7 – ليسياس جاء بقوة عظيمة

النص:

"ولكن ليسياس الامير جاء بقوة عظيمة واخذه من ايدينا"

أضيفت لاحقا، لم تكن موجودة في النسخ القديمة.

رومية 16:24 – نعمة ربنا يسوع المسيح معكم

النص:

"نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم آمين"

لم تكن موجودة في النسخ الأقدم، أضيفت لتعزيز اللاهوت المسيحي، وتم حذفها في النسخ الحديثة.

1تيموثاوس 3:16 – تغيير الذي الى الله

النص الاصلي:

"الذي ظهر في الجسد"

تم تغييره في بعض النسخ المتأخرة الى:

"الله ظهر في الجسد"

الاضافة تدعم عقيدة التجسد أي ظهور الله في الجسد، لكنها لم تكن موجودة في النص الاصلي وتم تصحيحها في الترجمات الحديثة

كيف يُعقل أن يُعتبر هذا النص وحيًا إلهيًا بينما خضع على مر القرون لإضافات وحذوفات متعمدة؟ تكشف هذه الحقائق بوضوح تأثير السلطة الكنسية على تشكيل العقائد المسيحية، فقد أُدخلت آيات لخدمة معتقدات محددة مثل التثليث، وقيامة المسيح، والغفران. والمثير للسخرية أن المخطوطات القديمة نفسها ليست أصلية، بل نسخ من نسخ متناقضة، ومع ذلك مازال التحريف والتعديل والتلاعب والإضافات قائمًا، فالكنيسة أصبحت مهووسة بشكل مرضي بالتحريف والعبث بالنصوص.

الوصايا المقدسة للعنف والاغتصاب والإبادة الجماعية في الكتاب المقدس

لا نجد في تاريخ الأديان ونصوصها المقدسة مثل ما نجده في الكتاب المقدس من نصوص تحضّ على الإبادة الجماعية والعنف والإرهاب البربري، والاغتصاب الممنهج، والتي جميعها تعتبر أفعال مقدّسة ومشروعة من قبل الإله، ان ما حدث من إبادات وحروب مروعة تستنكرها النفس البشرية كانت بسبب تلك النصوص وتعاليمها التي شُرّعت وموروست لتبرير الإبادة الجماعية، السرقة المنظمة للأراضي، الاستعمار، والعبودية.

هذه النصوص الارهابية كانت مرجعية دينية لتبرير أكبر الجرائم ضد الإنسانية امتدت على مدى قرون ومازالت مستمرة بسببها، لقد مارس الغرب، عبر قرون، نوعًا من الاستعلاء الديني الممزوج بالقوة العسكرية والهيمنة الثقافية، معتبرًا أن له الحق في إخضاع العالم "باسم الرب." و "باسم المسيح".

الإبادة الجماعية بأمر إلهي سفر التثنية 20: 16–17

"أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا فيها فلا تستبق منهم نسمة، بل حرِّمهم: الحثّيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهك."

"حين تقرب من مدينة لكي تحاربها، استدعها إلى الصلح، فإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم... فاغتنمها". (سفر التثنية 10:20–14)

يشوع 6:21:

"وحرّموا كل ما في المدينة بالسيف: رجلًا وامرأة، صغيرًا وشيخًا، بغنمٍ وبقرٍ وحمارٍ، بكل ما له نفس حياة".

في إنجيل متى 10:34 يقول المسيح:

"لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض. ما جئت لألقي سلامًا، بل سيفًا".

العدد 17:31–18:

" فالآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها، ولكن كل الاطفال من النساء اللاتي لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيات"

خروج 13:34–14

"تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم.".

سفر حزقيال 5:9–7

" اعبروا في المدينة وراءه، واضربوا. لا تشفق أعينكم، ولا تعفوا..الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء، اقتلوا للهلاك، فابتدؤوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت، وقال لهم: نجسوا البيت، واملأوا الدور قتلى، اخرجوا، فخرجوا وضربوا في المدينة".

سفر إشعياء 13: 15–18

"كل من يوجد يُطعن، وكل من ينضم إليهم يسقط بالسيف.
وتحطم أطفالهم أمام عيونهم، وتنهب بيوتهم، وتُغتصب نساؤهم.
ها أنا أهيج عليهم الماديين، الذين لا يبالون بالفضة، ولا يسرّون بالذهب.
وتكون قِسِيّهم تحطيمًا للشباب، لا يرحمون ثمرة البطن، ولا تشفق عيونهم على الأولاد".

مزمور 8:2–9

"اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك، وأقاصي الأرض ملكًا. تحطِّمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزّاف تسحقهم."

قتل الرجال والنساء والأطفال (صموئيل الأول 15: 2–3)

"هكذا يقول رب الجنود: قد افتقدتُ ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ما له، ولا تعفُ عنهم، بل اقتل رجلًا وامرأة، طفلًا ورضيعًا، بقرًا وغنمًا، جملًا وحمارًا".

قتل الأطفال بسبب ذنوب الآباء (إشعياء 13: 15–18)

"كل من وُجِد يُطعن، وكل من فر يسقط بالسيف. وتحطم أطفالهم أمام عيونهم، وتنهب بيوتهم، وتُفضح نساؤهم.
ها أنا أهيّج عليهم الماديين... لا يرحمون ثمرة البطن، لا تشفق عيونهم على الأولاد".

القتل الجماعي في فتح كنعان (يشوع 6: 21)

"وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، بحد السيف".
يعبر هذا النص عن القتل الجماعي الذي جرى أثناء غزو كنعان بقيادة يشوع

(إرميا 48: 10)

"ملعون من يعمل عمل الرب برخاء، وملعون من يمنع سيفه عن الدم".

قتل الأم مع الجنين (هوشع 13: 16)

"تأثّمت السامرة لأنها قد تمردت على إلهها. بالسيف يسقطون. تحطم أطفالهم، والحوامل تشقّ.".

(المزمور 137: 8–9)

"يا بنت بابل المخربة، طوبى لمن يجازيكِ مجازاتكِ التي جازيتِنا! طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة"!.

يشوع 10:40–11:15:

أوضح فيها تنفيذ أوامر دينية بإبادة كاملة لكل ساكنة الأرض المنهوبة، "كما أمر الرب... لم يبقِ أحد حيًّا."

سفر إرميا 51: 20–26

أنت مطرقتي وأداة حرب لي، فبك أسحق الأمم، وبك أهلك الممالك.
وبك أسحق الفرس وراكبه، وبك أسحق المركبة وراكبها.
وبك أسحق الرجل والمرأة، وبك أسحق الشيخ والغلام، وبك أسحق الفتى والعذراء.
وبك أسحق الراعي وقطيعه، وبك أسحق الفلاح وفدانه، وبك أسحق الولاة والحكام.
وأجازي بابل وكل سكان أرض الكلدانيين بكل شرهم الذي فعلوه في صهيون أمام عيونكم، يقول الرب.
هأنذا عليك أيها الجبل المهلك، يقول الرب، المهلك كل الأرض، فأمد يدي عليك، وأتدحرجك عن الصخور، وأجعلك جبلا محترقًا.
فلا يأخذون منك حجر زاوية ولا حجر أساس، لأنك خراب أبدي، يقول الرب.

الحروب والإبادات الصليبية التي سببتها تلك النصوص:

الحروب والإبادات الصليبية بحق اليهود والمسلمين، التي أطلقها البابا أوربان الثاني بدعوى تحرير "أرض المسيح" من "الكفار" (المسلمين). الخطبة الشهيرة في مجمع كليرمونت (1095م) والتي تعد الشرارة التي أشعلت الحروب الصليبية:

"يا شعب الفرنجة، يا شعب الله المحبوب المختار الله يريد ذلك كما أمرنا بتعاليمه!"

"احملوا السيوف، واضربوا المسلمين أعداء الرب المسيح، فهم ليسوا سوى نسل الأشرار الذين تحدثت عنهم الكتب.

"من يذهب إلى هناك ويُقتل المسلمين، سيُغفر له كل ذنوبه، وستفتح له أبواب السماء".

مستندين إلى نصوص من سفر يشوع حيث يأمر الرب يشوع بإبادة سكان أريحا بالكامل: "حرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، بحد السيف".(يشوع 6:21).وبسفر القضاة الإصحاح 1 و20) بالتحريض على الابادة وارتكاب مجازر رهيبة بحق المسلمين حيث يقول النص : "لا تترك منهم نسمة" "اضربوا بالسيف كل من في المدينة رجالاً ونساءً وأطفالاً".

المؤرخ الصليبي ريموند أوف أغيل (Raymond of Aguilers)كان من ضمن رهبان أو كهنة الحملة الصليبية الأولى (1096–1099م).وصف المذبحة بأنها كانت "هائلة لدرجة أن رجالنا كانوا يخوضون في الدماء حتى كواحلهم"

وفقًا لمؤرخين معاصرين ولاحقين، فإن أعداد القتلى بسبب هذه الحروب تجاوزت الملايين، وكانت المجازر واسعة النطاق تشمل المدنيين بلا تمييز، فقد وصف المؤرخين المجازر بـ"ذبح لا يقدر على عدّه"، وهذا غير الحصارات المدمرة، والمجاعات والأوبئة التي تفشت بين السكان بسبب القتل والتشريد بناءً على تعاليم ووصايا تلك النصوص الدينية الإرهابية لتبرير الإبادة الجماعية والتعدي بالعنف على الأمم الأخرى.

محاكم التفتيش في اسبانيا ضد المسلمين واليهود والتي اعطى شرعيته مجمع لاتيران الرابع (1215م)

حين سقطت غرناطة، آخر معاقل المسلمين في الأندلس، وقّع أبو عبد الله الصغير مع الملكين الكاثوليكيين فرناندو الثاني وإيزابيلا الأولى اتفاقية تضمن حرية العقيدة للمسلمين والحفاظ على ممتلكاتهم وأراضيهم، وعدم إجبارهم على التنصّر.

لكن بعد ذلك سرعان ما تم نقض العهد فبدأ: فرض التنصير الإجباري، حرق الكتب العربية، إلغاء اللغة العربية، نفي وقتل من يرفض التنصير وتم إنشاء محاكم التفتيش لطرد السكان وتهجيرهم.

لم يكن هذا التحوّل ونقض العهد مجرد خيانة سياسية، بل كان مبرّرًا دينيًا داخل الكنيسة الكاثوليكية، واستُند فيه إلى نصوص من الكتاب المقدس تُحرّم العهود مع "الكافرين اللذين لا يعتبرون المسيح إله"، وتدعو لإبادتهم.

"لا سلام للأشرار" (إشعياء 48:22)

سفر الخروج(34:12)

"احترز من أن تقطع عهدًا مع سكان الأرض... لئلا يزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم، فتأخذ من بناتهم لبنيك".

سفر التثنية 7:2

"وَيَدْفَعُهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمامَكَ، فَتَضْرِبُهُمْ. تُحَرِّمُهُمْ، لا تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلا تَشْفِقْ عَلَيْهِمْ".

ففي مراسلات ومحاضر الكنيسة بين عامي 1499 و1502، نجد مراسيم مثل: مرسوم إيزابيلا عام 1502 الذي يحظر الإسلام ويأمر بتحويل المسلمين إلى المسيحية "لا يمكن ترك المسلمين أحرارًا في عبادتهم، لأن ذلك ضد إرادة الرب" .."يجب على كل رجل وامرأة من المسلمين... أن يتنصروا ويُعمدوا، وإذا رفضوا فعليهم أن يخرجوا من ممالكنا وأراضينا"...

فكانت من أسوأ الحقب دموية بحق المسلمين، مئات الآلاف تعرضوا للتعذيب والسجن ومصادرة الممتلكات . وتم تهجير مئات الألوف من اسبانيا وفقًا للمؤرخ William Walsh في كتابه "Characters of the Inquisition"، فإن عدد من تم إحراقهم خلال 18 عامًا في عهد توماس دي توركيمادا وحده (أول كبير محققي إسبانيا) بلغ نحو 10,220شخصًا، بينما تم "معاقبة" 97,000 آخرين بطرق متعددة، استخدمت محاكم التفتيش وسائل تعذيب سادية كعصر الأطراف باستخدام آلات حديدية تسحق العظام. والإغراق القسري

(صب الماء بالقوة حتى الاختناق)، الحرق البطيء، وتُعرف بـ "Auto-da-fé"أي "عمل الإيمان"، حيث يتم حرق المتهمين أحياءً علنًا.

وهذه الإبادات والمجازر ومعاقل التعذيب بحق السكان المسلمين والتهجير تمت استناداً إلى تعليمات يسوع الرمزية التي أُوّلت حرفيًا:

"أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي" (لوقا 19:27).

صدر مرسوم بطرد أو تنصير المسلمين في قشتالة، ثم تبعه أمر مماثل في أراغون عام 1526م، خمسمائة ألف مسلم تم إجبارهم على التحول القسري إلى المسيحية، والبقية تم طردهم من الأراضي الاسبانية بعد الاستيلاء على ممتلكاتهم .

ويل ديورانت في "موسوعة قصة الحضارة:"

"لم يعرف التاريخ محكمة أدخلت الرعب في القلوب كما فعلت محاكم التفتيش الإسبانية. كانت أداة كنسية للتعذيب باسم المسيح".

باربرا توكمان:

"لم يكن الغرض هو فقط قتل الضحية المسلمة، بل كسر إرادته أولًا، وكان ذلك يتم باسم المحبة الإلهية".

إرنست رينان، المؤرخ الفرنسي:

"كانت محاكم التفتيش جريمة ضد الإنسانية باسم يسوع المسيح، لا يمكن للضمير الإنساني أن يغفرها".

حروب الثلاثين عاماً حروب الكاثوليك والبروتستانت (1618م–1648م) والتي كل طرف اعتبر قتل الآخر "تطهيرًا روحيًا".

معتمدين على نصوص تم استُخدم لتبرير محو الشعوب المخالفة. مثل:

مزامير داوود – مزمور 21:139–22

"أبغضت المبغضين لك يا رب، ومقت الذين يقومون عليك؟ بغضًا تامًا أبغضتهم. صاروا لي أعداء".

بدأت الحرب بين الكاثوليك والبروتستانت في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، لكنها سرعان ما تحولت إلى صراع دموي شمل معظم أوروبا، وخُضت فيها معارك تحت راية "تطهير الهراطقة" والدفاع عن "الإيمان القويم" قدّر المؤرخون عدد القتلى بـ 8ملايين شخص، معظمهم من المدنيين. في بعض المناطق الألمانية، انخفض عدد السكان بنسبة 50%بسبب المجاعات والأوبئة الناتجة عن الحرب. المؤرخ الألماني "بيتر ويلسون" في كتابه "حرب الثلاثين عامًا: تدمير أوروبا القديمة "يصفها بأنها:

"أكبر كارثة في أوروبا قبل الحرب العالمية الثانية... وكانت حرب إبادة متقطعة بحق السكان." فقد تم إحراق القرى بأكملها الموالية للخصوم. وملاحقة "الهراطقة" إرغامهم على التحول الديني بالقوة أو القتل وتجويع المدن المحاصرة عمداً حتى الموت.

يوحنا 15:6:"إن كان أحد لا يثبت فيّ يُطرح خارجًا كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار." أن الذي لا يلتزم بالطاعة لوصايا يسوع المسيح، ويعيش وفقًا لكلامه يُطرح بعيدًا ليجف ويُجمع ويُحرق في النار فمصيره الهلاك.

مجزرة سان بارتيليمي (1572م)

رومية 13:

"لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله"...

وقعت في فرنسا في عهد الملك شارل التاسع بإيعاز من والدته الكنيسة الكاثوليكية بحق البروتستانت (الهوجونوت). فخلال ليلة واحدة، ذُبح أكثر من 30ألف بروتستانتي في باريس ومدن فرنسية أخرى.

ذُبح الناس في بيوتهم، في الشوارع، في الكنائس، لم تُرحم امرأة ولا طفل... كانت المذابح تُرتكب باسم يسوع المسيح، كأن المخلّص المسيح في الكتاب المقدس يأمر بإبادة من لا يؤمن به على طريقة الباباوات.

البابا غريغوريوس الثالث عشر أقام قدّاس شكر خاص في روما احتفالًا بالمذبحة، وأمر بسكّ ميداليات تذكارية توثق الحدث.

ونجد في الخطابات الكاثوليكية، تُستخدم تعبيرات كانت تُستخدم مثل:

"تطهير الروح من رجس الزندقة"

"التضحية بالضال لإنقاذ المؤمنين"

"الإبادة رحمة للكنيسة"

وورد في الموسوعة الكاثوليكية القديمة:

"الكنيسة رأت أن معاقبة الهراطقة واجب مقدس، لأنها تحمي وحدة الإيمان وخلاص النفوس".

إبادة السكان الأصليين في الأمريكيتين وخاصة ما يُعرف بال "الهنود الحمر "

كانت الإبادة مدفوعة بنشر الانجيل بحسب وصف كريستوفر كولومبوس نفسه والكهنة الذين رافقوا الغزاة وباركوا المجازر.

نصوص مثل:"وأعطيكم الأرض التي لم تتعبوا فيها، ومدنًا لم تبنوها، وتسكنون فيها، وكرومًا وزيتونًا لم تغرسوها تأكلون منها" (يشوع 13:24)

تم استخدامها لتبرير سرقة أراضي السكان الأصليين وقتلهم. حيث سعى المستوطنون البروتستانت إلى تصوير أمريكا كأرض الميعاد الجديدة وشعب الله الجديد، مستدعين سفر يشوع وصموئيل لتبرير إبادة السكان الأصليين.

آلاف المدارس التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية أخذت أطفال القبائل بالقوة.

محو لغاتهم ودياناتهم، وتعليمهم أن أجدادهم "عبدة شيطان."

الحاكم جون وينثروب (1630م يصف أمريكا بأنها "صهيون الجديدة"، ويشبه إبادة الشعوب الأصلية بإبادة يشوع لكنعان حيث يقول: "نحن شعب الله المختار، أرضنا الجديدة هي كنعان وقد أقامنا الرب في هذه الأرض كما فعل مع بني إسرائيل وكل من يعارضنا كنعاني يجب أن يُباد".

خلال عهد **Manifest Destiny**(القدر المتجلي)، وصف قادة ولاية مينيسوتا ورامزي الدماء المراق:

"دماء البيض تصرخ إلى السماء" وهو اقتباس مباشر من سفر التكوين 4:10، لتأكيد "الانتقام الإلهي، لينتج عن ذلك إبادة أكثر من 100 إلى 150 مليون إبادة جسدية وثقافية للسكان الأصليين.

وبعد "اكتشاف" كولومبوس للعالم الجديد عام 1492، بدأت القوى الأوروبية، وعلى رأسها إسبانيا والبرتغال ثم بريطانيا وفرنسا وهولندا، بغزو الأمريكيتين، وأرفقوا هذه الحملات بطابع ديني تحت ذريعة "نشر المسيحية."

الهنود الحمر صُنِّفوا على أنهم "وثنيون" أو "شياطين ."ولذلك، برر الكثير من القساوسة والمبشرين والمستعمرين إبادة هؤلاء السكان بأنها "تطهير للأرض" من الشيطان، وتحويلها إلى أرض مقدسة، فقد استخدموا سفر أخبار الأيام الثاني 15: 13

"وكل من لا يطلب الرب إله إسرائيل يُقتل، من الصغير إلى الكبير، من الرجال والنساء".

استخدمه بعض المبشّرين لتبرير الضغط على السكان الأصليين لقبول المعمودية المسيحية، بل وقتل من يرفض

تشير تقديرات مؤرخين مثل ديفيد ستانارد إلى أن عدد ضحايا الإبادة الجماعية للسكان الأصليين في الأمريكتين وصل إلى **90–100** مليون نسمة بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر، بسبب القتل المباشر، الأمراض، والاستعباد.

النصوص الدينية والتبريرات:

القساوسة الإسبان والبرتغاليون استندوا إلى نصوص العهد القديم، مثل:

"كما أطاح يشوع بأريحا، يحق لنا تطهير الأرض من الوثنيين الرافضين للمسيح ".خطاب القس خوان خينيس دي سيبولا، **1550**م

سفر يشوع **6:21**: "وَذَبَحُوا الذِّكْرَانَ وَالأُنْثَى، وَعَرَّصُوا النَّفْسَ بِالسَّيْفِ، لَمْ يَرْحَمُوا وَلَمْ يَتَشَفَّقُوا"

سفر التثنية **7:2**: "وَتَضْرِبُهُمْ تُحَرِّمُهُمْ، لا تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلا تَشْفَقْ عَلَيْهِمْ".

أقوال المؤرخين:

ديفيد ستانارد :(**David Stannard**)

"الإبادة في الأمريكتين كانت مبررة دينيًا باعتبارها تنفيذًا لمشيئة الله، واستخدام النصوص طاعة لأوامر الله الكتاب المقدس... وكانوا يقرؤون أسفار يشوع والتثنية صبيحة المجاز

بيرناردينو دي ساغوندو (**Bernardino de Sahagún**)، مؤرخ فرنسي، وصف المعاناة التي لحقت بالسكان الأصليين بأنها "فظائع تجاوزت كل تصور، دماء لا تُحصى وسحق لحضارات كاملة بسبب الدين".

ريتشارد درايتون:

"نصوص سفر يشوع أصبحت المرجع الأخلاقي والشرعي الأول للمستوطنين الإنجليز، فهم يقتلون باسم الرب كما فعل يشوع مع الكنعانيين".

المؤرخ:**Benjamin Madley**

"ما جرى في كاليفورنيا هو تطبيق مباشر للإبادة كما وردت في التوراة، حيث تم القضاء على القبائل ببرودة تامة تحت شعار 'نحن المختارون".'

الاستعمار البريطاني للهند وأفريقيا

القس التبشيري البريطاني Charles H. Long كتب:

"نحن نكرز بالمسيح، وننفذ إرادة الله كما نفذها يشوع، لأن هؤلاء الوثنيين لا يعرفون النور".

يقول المؤرخ البريطاني Niall Ferguson:

"الإمبراطورية البريطانية كانت عبارة عن كنيسة متنقلة... تمزج بين السيف والإنجيل".

من أبرز الفظائع التي ارتكبتها بريطانيا باسم الدين والتمدين:

تنفيذ عمليات إعدام جماعية، ربط الثوار على فوهات المدافع، وحرق قرى ومجاعات المفتعلة في الهند–1760 1943 حيث يُقدّر عدد من ماتوا بالمجاعات في عهد الاحتلال البريطاني 60 مليون إنسان.

تم تحويل ملايين من الهندوس والمسلمين إلى المسيحية تحت ضغوط اقتصادية أو تعليمية.

كانت البعثات التبشيرية تُرافق القوات البريطانية، والكنيسة تُبرر الاحتلال بأنه "تمدين الشعوب الوثنية."

المبشرين والجنرالات اعتبروا الهند أرضًا "نجسة" يجب تطهيرها من "الوثنية"، وقال بعض القساوسة:

"الرب أرسل هذه الثورة لكي نطهر الهند من أصنامها." والمجاعة هي عقوبة إلهية على "الكسل الوثني" و"الوثنية الهندوسية."

وفي أفريقيا تمت مصادرة أراضٍ لقبائل بكاملها وأخذ الأطفال من أسرهم قسرًا، وتربيتهم في مدارس مسيحية لإزالة هويتهم الثقافية واللغوية .حيث تعرّض الكثير منهم لانتهاكات جنسية وجسدية.مثل في كينيا، نُقلت قبائل قسرًا إلى "مخيمات تأديب"، وتم جلد الرجال أمام أطفالهم لرفضهم التنصير.

كبير أساقفة جنوب أفريقيا ديسموند توتو "Desmond Tutu" يقول :

"عندما جاء المبشرون، كان لديهم الإنجيل وكان لدينا الأرض. قالوا: لنصلّي.. وعندما فتحنا أعيننا، كان لديهم الأرض وكان لدينا الإنجيل".

أميتاف غوش –روائي ومؤرخ:

"لم يكن هدف التبشير إنقاذ الأرواح بل محو الثقافات، وقد تم ذلك عبر التنصير القسري مدعومًا بالقوة العسكرية".

مايك ديفيس –في :"Late Victorian Holocausts"

"الاستعمار البريطاني في الهند كان حربًا لاهوتية ضد الوثنيين وضد كل ماهو غير مسيحي لم يكن فقط نهبًا للفقراء".

مارك توين (Mark Twain) الكاتب الأمريكي:

"الإنجيل كان سببًا في الحروب الأشد فظاعة ، ولقتل الأبرياء. لم يكن هذا الدين قط سببًا للسلام".

الاستعمار المسيحي لأفريقيا وآسيا

الاستعمار المسيحي لأفريقيا وآسيا تم تحت غطاء الكنيسة الكاثوليكية، التي أصدرت مراسيم شرّعت الغزو والاستعباد. ففي مرسوم (1452) Dum Diversas أجاز البابا نيكولاس الخامس للملك البرتغالي ألفونسو الخامس "غزو أراضي المسلمين وغير المؤمنين واستعبادهم عبودية دائمة"، ثم جاء مرسوم (1455) Romanus Pontifexليمنح البرتغاليين حق "الاستيلاء على أراضي الشعوب الوثنية واحتكار التجارة"، باعتبار ذلك خدمة للكنيسة.
هذه المراسيم شكّلت الأساس الديني والقانوني للتوسع الاستعماري، خاصة في أفريقيا وآسيا.
في غوا (الهند)، أصدر نواب الملك البرتغاليون بين 1566–1567 قوانين تحظر بناء أو إصلاح المعابد الهندوسية، وتُلزم المسلمين والهندوس بحضور الوعظ المسيحي، مع معاقبة الرافضين بالسجن أو المصادرة.
وسُجلت حالات إعدامات علنية ضمن مراسم Auto-da-fé، نقلًا عن تقاليد محاكم التفتيش الإسبانية والبرتغالية، ما جعل التنصير مرتبطًا بالقمع الديني والرقابة الثقافية.

الإبادة الأيرلندية (القرن 17)

الحادثة:

أثناء غزو أوليفر كروميل لأيرلندا، ارتكبت القوات بقتل وتشريد آلاف الكاثوليك. المجازر تركزت في المناطق الريفية والمدن مثل دروغيدا. التقديرات تتراوح بين 500,000 إلى 600,000 قتيل من السكان الأيرلنديين، ما

يمثل حوالي ربع سكان أيرلندا في ذلك الوقت، كروميل كان يقرأ من سفر يشوع ويقول: "كما أمر الرب يشوع، نسحق الأمم غير المؤمنة".

هيو تريمر (Hugh Trevor-Roper)وصف الحملة بأنها "حملة تطهير عرقي دينية وحشية."

جون مور :(John Morrill)

"كروميل لم يكن مجرد قائد عسكري بل كان مبشرًا لحملة إبادة دينية".

الحرب العالمية الثانية(1939–1945) والحزب النازي

كانت واحدة من أبشع المآسي الإنسانية، حيث قُتل فيها ما يُقدّر بـ85 مليون شخص، وارتُكبت خلالها جرائم لا تُحصى من اغتصاب وتعذيب، خاصة مع تعرض أكثر من 2 مليون امرأة ألمانية للاغتصاب من الجنود السوفييت (انظر كتاب A Woman in Berlin) وخلفت هذه الحرب دمارًا هائلًا للبنية التحتية في أوروبا، لكنها في جوهرها كانت تطبيقًا عمليًا لتعاليم دينية استخدمت لتبرير القتل الجماعي والإبادة.

قاد الحزب النازي هذه الكارثة، حيث أعلن أدولف هتلر في كتابه كفاحي وخطاباته العلنية أنه يعمل وفقًا لتعاليم الله في الكتاب المقدس، وأنه يواصل مهمة يسوع المسيح في "تطهير الهيكل من اليهود"، مُقدّمًا يسوع على أنه محارب آري، لا نبي يهودي.
قال هتلر في خطاب عام 1922:

"مشاعري المسيحية توجهني إلى ربي ومخلصي كمقاتل... نضاله ضد السم اليهودي كان رهيبًا، ولهذا كان عليه أن يريق دمه على الصليب".

وفي خطاب آخر عام 1936:

"أعتقد أنني أتصرف حسب إرادة الخالق العظيم: فبدفاعي عن نفسي ضد اليهود، أقاتل من أجل عمل الرب".

وفي كتابه كفاحي، المجلد الأول، قال:
" اليهود الديدان البشرية التي تسللت إلى جسد الأمم، وتحدث عن يسوع باعتباره: أعظم مقاتل ضد الروح اليهودية ، وإن أعظم ما فعله المسيح كان طرده لهؤلاء الذين ينتمون إلى الشيطان من معبد الله".

كما وصف اليهود بـ"أبناء الأفاعي" (مقتبس من إنجيل متى 23:33)، واستشهد بعبارة "دمه علينا وعلى أولادنا!" (متى 27:25) ليبرر عداءه الشديد لهم، واعتبر أن محاربة اليهود هي بمثابة "استكمال لنضال المسيح."

وقال هتلر أيضًا:

"لا نتسامح مع أي شخص في صفوفنا يهاجم أفكار المسيحية. حركتنا مسيحية".

في كتاب Hitler's Table Talkالذي يجمع أحاديث هتلر الخاصة، عبّر عن اعتقاده بأن المسيحية الأصلية قد حُرّفت على يد بولس الرسول، والذي وصفه بـ"اليهودي المخادع". ووفقًا له، فإن المسيح لم يكن يهوديًا بالمعنى العرقي، بل كان "نموذجًا آريًا نقيًا" تم تشويهه لاحقًا بإدخال عناصر يهودية إلى تعاليمه. وقد استند في بعض تصوراته إلى الأعمال الفنية الدينية المبكرة التي صوّرت يسوع ببشرة بيضاء وملامح أوروبية، معتبرًا ذلك دليلًا على "نقائه العرقي"، الفن الديني في ألمانيا النازية أُعيد تشكيله بصريًا، بحيث تُرسم ملامح يسوع ببشرة بيضاء وعيون زرقاء وملامح أوروبية، تم حظر الصور التي تُظهر يسوع بملامح شرق أوسطية أو يهودية. مؤرخو الفن مثل Susannah Heschelفي كتابها The Aryan Jesusتحدثوا بالتفصيل عن الجهود اللاهوتية والمؤسساتية التي بُذلت لتصوير يسوع كآري.

استقى هتلر وأتباعه أفكارهم المعادية لليهود جزئياً من كتابات مارتن لوثر، مؤسس البروتستانتية، الذي دعا في نصوصه الصريحة، مثل رسالته الشهيرة "عن اليهود وأكاذيبهم" (1543)، إلى اضطهاد اليهود عبر حرق معابدهم، مصادرة ممتلكاتهم، وحظر تجارتهم، واعتبرهم أعداءً للمسيحية وسببًا في فساد المجتمع.
هذه الخطابات اللاذعة شكلت مرجعًا فكريًا وتاريخيًا استخدمه النازيون لتبرير كراهيتهم ومعاداتهم لليهود، وجعلت من معاداة السامية جزءًا من أيديولوجيتهم العنصرية.

شعار الجيش الألماني "Gott mit uns" (الله معنا) وصليب النازية لم يكونا مجرّد رموز بل دعم ديني وشرعي لعمليات القتل والاحتلال والتطهير العرقي. وصرّح قساوسة نازيون أن هتلر هو "أداة الله لتطهير الأمة من الشر".

كما لم يتحرك بابا الفاتيكان بيوس الثاني عشر لإنقاذ اليهود، بل كان يبارك القوات الفاشية ويدعمها باسم الدفاع عن المسيحية.

إن ما حصل في الحرب العالمية الثانية لم يكن معزولًا عن تعاليم الكتاب المقدس، بل هو ترجمة فعلية لهذه التعاليم التي تحث على القتل والتطهير باسم الرب، واستخدم هذا الدين لتحقيق واحدة من أكبر المجازر في التاريخ.

يختصر المؤرخ Mikael Nilsson هذا الاتجاه بعبارة قوية:

"هتلر لم يعتبر مهمته دنيوية فقط؛ بل رآها مهمة إلهية مقدسة، إنقاذًا لألمانيا... واستكمالًا لما بدأه المسيح".

الحرب على العراق وأفغانستان

الرئيس جورج دبليو بوش اطلق تعبير "crusade" (حرب صليبية مسيحية) لوصف "الحرب على العراق"، ما أثار احتجاجًا واسعًا في العالم الإسلامي وتم ترجمته للعربية بعبارة "حرب الصليب" بل بقي مصر على مسمى الحرب أنها حرب صليبية مسيحية ضد الإسلام وقال بعد غزو العراق: "لقد أمرني الرب أن أضرب العراق."

كما أدلى الضابط وليام بويكين، أحد كبار القادة العسكريين في النزاع، بتصريحات صريحة في 2003 قائلاً إن "الإسلاميين المتطرفين يكرهون أمريكا لأنها دولة مسيحية، عدونا ليس إنسانًا، بل هو الشيطان نفسه"، مُضيفًا أن الحرب ليست سياسية بقدر ما هي صراع روحي ديني.

الإبادة الجماعية في فلسطين (المستمرة)

في قلب الصراع الفلسطيني الإسرائيلي لا يكمن نزاع حدود أو خلاف سياسي فحسب، بل أيديولوجيا دينية متطرفة تلبّست بغطاء "الوعد الإلهي" وشرّعت الإبادة باسم الرب.
منذ نشأة الحركة الصهيونية، استُدعيت نبوءات "سفر يشوع" و"سفر التثنية" لتبرير طرد السكان الأصليين من أرض فلسطين، حيث يُصوَّر الاحتلال كـ"وصية إلهية" والمجازر كـ"تطهير مقدس."
وُصفت فلسطين بأنها "أرض الميعاد"، وأن الرب وهبها لليهود "عهداً أبدياً"، وهو ما دفع المستوطنين والمتطرفين اليهود إلى تبني أنفسهم كـ"جنود الله" في مهمة مقدسة لتدمير "العماليق"، وهم في نظرهم الفلسطينيون.
ولم تكن هذه الرؤية حكرًا على اليهود وحدهم، بل تلقفتها قطاعات واسعة من المسيحيين الإنجيليين في أمريكا، الذين يرون في قيام "إسرائيل" تحقيقًا لنبوءات نهاية الزمان وعودة المسيح، فدعموا الاحتلال سياسيًا وعسكريًا وماليًا، بل وباركوا جرائمه الدموية بحق المدنيين.

رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج أثناء وعد بلفور 1917: "التوراة كانت دليلي السياسي".

رئيس الوزراء الإسرائيلي دافيد بن غوريون صرّح بوضوح: "نحن لا نحارب العرب فقط، بل نحارب الإسلام ذاته، وسننتصر كما انتصر الغرب في حروبه الصليبية".

أكمل ديفيد بن غوريون:

"نحن نأتي إلى أرض أجدادنا التي أعطاها الله لنا، ولكنها مأهولة بالكنعانيين .. من حقنا أن نفعل كما فعل يشوع". تم توصيف العرب/الفلسطينيين على أنهم الكنعانيون الجدد، ويجب "تطهير الأرض منهم."

وقد وجدت هذه الرؤية دعمًا سياسيًا واسعًا من الحركة المسيحية الصهيونية **Christian Zionism**)، التي تُعبّر عن مسيحية محافظة، ترى في دعم إسرائيل "واجبًا إلهيًّا." إذ يقول **Rev. Malcolm Hedding**، من كبار قادة حركة **International Christian Embassy Jerusalem (ICEJ)**:

"ندافع عن حق الأرض التي أعطاها الله تحت عهد إبراهيم قبل **4000** سنة... لا يوجد شيء يُسمى فلسطيني".

حتى الإعلام الغربي وصف هذه الموجة بأنها "دعم غربي مسيحي لإسرائيل باعتبارها طاعة إلهية لتحقيق النبوءات التوراتية"، وأن المعارضة لإسرائيل بمثابة خروج على إرادة الله.

الاحتلال الإسرائيلي لم يتوقف عند اغتصاب الأرض، بل أُرفق بسلسلة مجازر ممنهجة ضد الفلسطينيين، كثير منها تم بغطاء ديني:

مجزرة دير ياسين :(**1948**) نفذتها عصابات "الأرغون" و"شتيرن"، وصرح المشاركين فيها، (نقلًا عن شهادات في كتاب التطهير العرقي في فلسطين لإيلان بابيه): "نفعل ما فعله يشوع في أريحا... نُبيد السكان كما فعل بنو إسرائيل بأمر الرب".

الحاخام إسحاق شابيرا (من كبار حاخامات المستوطنين) قال:

"يجب على اليهودي أن يقتل أطفال الفلسطينيين، لأنهم سيكونون خطرًا عندما يكبرون".

موشيه دايان، وزير الدفاع الإسرائيلي خلال حرب **1967**، قال: "هذه حربنا الدينية ضد من يسكن أرضنا الموعودة".

ولا يخفى على أحد أن نتنياهو نفسه استند في خطابه إلى نصوص دينية متطرفة، حيث ذكر إبادة "عماليق" في الكتاب المقدس كعدو يجب ابادته بالكامل حسب التعاليم الكتاب المقدس، مستشهداً به لتبرير سياساته القمعية ضد الفلسطينيين، معتبراً أن مثل هذه الإبادة أمر إلهي يجب تطبيقه على أرض الواقع، لتبرير جرائم الاحتلال.

المرأة ومكانتها في الكتاب المقدس

المرأة هي سبب السقوط والخطيئة سفر التكوين 3:16

"وقال للمرأة تكثيرا اكثر اتعاب حبلك بالوجع تلدين اولادا والى رجلك يكون اشتياقك و هو يسود عليك"

نجاسة المرأة في الطمث والولادة – لاويين 12:1–5، 15:19–24

"ان ولدت امرأة ذكرا تكون نجسة سبعة ايام ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما في دم تطهيرها وان ولدت انثى تكون نجسة اسبوعين ثم تقيم في دم تطهيرها ستة وستين يوما"

الزواج الأبدي بعد الاغتصاب تثنية 22:28–29

"إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فامسكها واضطجع معها فوجدهما يعطي الرجل لأبي الفتاة خمسين من الفضة وتكون له زوجة لأنه أذلها لا يقدر أن يطلقها كل أيامه"

تيموثاوس 2:11–15

"لتتعلَّم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لستُ آذن للمرأة أن تُعلِّم ولا أن تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت".

في سفر التثنية، الإصحاح 22، الآيات 13–21. النص يتعلق بقوانين العذرية والزواج عند بني إسرائيل، وتحديدًا فيما يخص الزوج الذي يشك في عذرية زوجته عند الزواج. أنه يجب أن تثبت الفتاة عذريتها من خلال تقديم دليل (قطعة قماش مثنية بالدماء) لإثبات عذرية كعروس، واذا لم يتم اثبات ذلك من خلال بقعة دم ، تُرجَم الفتاة بالحجارة حتى الموت:

"فَيُخْرِجُونَ الْفَتَاةَ إِلَى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا، وَيَرْجُمُهَا رِجَالُ مَدِينَتِهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ... فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ "التثنية 22: 21

والمحزن أن الواقع الطبي يؤكد أن نسبة كبيرة من النساء لا ينزفن دمًا عند أول علاقة جنسية :بعضهن يولدن بغشاء مرن أو مطاطي لا ينكسر بسهولة، وبعضهن يفقدنه في الرياضة أو الحوادث قبل الزواج. ومع ذلك، بحسب النص، تُرجَم الفتاة ظلمًا حتى الموت، لمجرد غياب الدم.

وهذه الشرائع، أكد المسيح على الالتزام بها وكان يقتبس منها، ففي مرقس 13:7–10 وبّخ الفريسيين لأنهم تركوا وصايا الله ومنها وصايا التثنية مثل" :مَنْ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا ." ثم شدد في متى 5:17 قائلاً:

"لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ... مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ".

وأود التنويه هنا أن قصة المرأة الزانية التي غفر لها يسوع ولم يرجمها "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر "يوحنا 8:7، (هي قصة مختلقة من قبل الكنيسة ولا وجود لها في جميع المخطوطات)، فالكنائس المعاصرة تحاول التنصل بأي وسيلة من رجعية ووحشية شرائعهم فتقوم باختلاق قصص مكذوبة عن المسيح للتخفيف من قسوة التشريع، كما أن الكنيسة تؤمن أن المسيح هو الله الأزلي، وأنه هو الذي أوحى بهذه التشريعات لموسى في التوراة، أي أن المسيح بحسب عقيدتهم، هو واضع هذه القوانين بنفسه. وبالتالي لا مجال للمراوغة والتنصل منها.

بيع البنت كالدابة، سفر الخروج (Exodus 21:7–11)

"إذا باع رجل ابنته كأمة، فلا تُطلَّق، وإذا لم تُرضَه، يُعطى لها الطعام والكساء والحقوق الزوجية".

لا يسمح للمرأة أن تتطلق من زوجها، ولايمكن للزوج أن يطلق زوجته الا إذا ضبطها متلبسة بالزنا، إنجيل متى 19:9:

«وأما أنا فأقول لكم: من طلق امرأته إلا لعلة الزنى وازدوج بامرأة أخرى يزني، ومن تزوج مطلقة يزني»

إلى كورنثوس 34:14–35

"لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مسموحا لهن أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً... لأنه عار على المرأة أن تتكلم في الكنيسة".

أفسس 22:5–24

"أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب... كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك النساء لرجالهن في كل شيء".

سفر العدد 11:5–31 طقس "ماء اللعنة :"المرأة المتهمة بالزنا تُجبر على شرب ماء مرّ، وإذا تورمت بطنها تُدان، بينما الرجل لا يُحاسب.

طرس الأولى 1:3–6

"كن خاضعات لرجالكن... كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعية إياه سيدها".

تثنية 10:21–14

"إذا خرجت الى الحرب وضرب اعداءك ووقعت يدك على اسيرة منهم وان اعجبت بها فأخذتها الى بيتك. فتقلم اظافرها وتهذب شعرها. وتخلع ثيابها الاسيرة. وتقيم في بيتك شهر كامل وتبكي اهلها. وبعد ذلك تدخل اليها وتصير لك زوجة. فان لم ترق لك فأطلقها كما تريد"

سفر القضاة 22:19–29: قصة اغتصاب وقتل الزوجة، ثم تقطيعها إلى 12 قطعة.

" فمارسوا معها واعتدوا عليها طوال الليل حتى الصباح، ثم في الفجر تركوها ميتة على عتبة بيت الرجل، فأخذ الرجل ضيفته إلى منزله، وقطعها إلى اثني عشر قطعة، وأرسل كل قطعة إلى كل قبيلة من قبائل إسرائيل"

آراء آباء الكنيسة واللاهوتيين

القديس ترتليان Tertullian القرن الثاني الميلادي

أيتها المرأة أنت بوابة الشيطان أنت منتهكة الشجرة المحرمة أنت التي اغويت الرجل بسهولة.

القديس جيروم Jerome

عندما ترغب المرأة أن ترضي الرب يجب أن تكره نفسها كامرأة.

ايرينيوس Irenaeus القرن الثاني

المرأة كانت بداية العصيان ومصدر سقوط البشرية وهي التي ادخلت الشهوة والشر الى العالم.

القديس توما الاكويني Thomas Aquinas

المرأة هي رجل ناقص خلقت نتيجة عيب في النطفة بطبيعتها ادنى منزلة من الرجل عقليا واخلاقيا.

اوريجانوس Origen

النساء اشد عرضة للخطأ من الرجال وهن اسوأ في الطبيعة ويجب أن يخضعن للرجال مثل العبيد لأسيادهم.

القديس اوغسطينوس Augustine

المرأة لا تصلح أن تكون صورة الله بمعزل عن الرجل، فالرجل هو صورة الله اما المرأة فخلقت لأجل الرجل فقط.

يوحنا فم الذهب John Chrysostom

النساء سبب كل الشرور بوابة الشيطان الى النفس.

المجامع الكنسية ومكانة المرأة

مجمع ماكون (Mâcon) القرن السادس (585م):

ورد في المصادر أن الأساقفة ناقشوا مسألة "هل تُعد المرأة إنسانًا أم لا؟".. وانتهى النقاش بالموافقة على أن المرأة تُحسب ضمن البشر، وكان على الأساقفة أن يصوتوا على مسألة: "ما إذا كان للنساء أرواح أم لا؟! ولقد فاز اقتراح الموافقة بأغلبية صوت واحد فقط."

مجامع اللوثريون في وتنبرج Wittenberg القرن السادس عشر:

في أجواء الإصلاح البروتستانتي، أثار بعض اللاهوتيين اللوثريين نقاشات لاهوتية حول "إنسانية المرأة وأهليتها الكاملة للخلاص"، متأثرين بموروث آباء الكنيسة مثل أوغسطينوس وتوما الأكويني. وقد كتب توما

الأكويني بوضوح أن المرأة "مخلوق معيب وجدير بالازدراء"، وأنها نتاج عيب في القوة الفعّالة للمني، في حين يُمثل الرجل الصورة الكاملة للطبيعة البشرية.

المجمع الكنسي ليفربرتين ألمانيا (743م):

أقرت القوانين الكنسية آنذاك أن دية المرأة أقل من دية الرجل، يعكس المجمع النظرة الدونية لمكانة المرأة حتى في الأحكام القضائية والقصاص.

العبودية في الكتاب المقدس

لم تكن العبودية مأساةً إنسانية فحسب، بل مشروعًا دينيًا شرعته نصوص العهد القديم والجديد، فقد منحت الكنيسة العبودية الشرعية في مجامعها الرسمية، وتحولت إلى منظومة منظمة تديرها الكنيسة وتبررها باسم المسيح. وكانت شريكًا فعليًا في صناعة تجارة البشر التي أودت بحياة ملايين الأفارقة والأمريكيين الأصليين.

وأما عبيدكم وجواريكم الذين يكونون لكم، فمن الشعوب الذين حولكم... وأولادهم الذين يولدون في أرضكم يكونون ملكًا لكم، يَكونون مُلكًا أبديًا ".(لاويين 44:25–46)

رسالة بولس إلى تيطس 9:2–10

"وعلّم العبيد أن يخضعوا لسادتهم، ويرضوهم في كل شيء، غير مناقضين، غير مختلسين، بل مقدمين كل أمانة صالحة، لكي يزينوا تعليم مخلّصنا الله في كل شيء."

الخروج 21: 20–21

وإذا ضرب إنسان عبده أو أمَته بعصا فمات تحت يده يُنتقم منه. ولكن إن بقي يوماً أو يومين لا يُنتقم منه، لأنه ماله.

"أيها العبيد، أطيعوا سادتكم في كل شيء "...كولوسي 3:22

"أيها العبيد، أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة"

(رسالة أفسس 6: 5)

"إذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب إلهك إلى يدك وسبيت منهم سبياً، ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة، فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها وتقلم أظفارها، وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد في بيتك وتبكي أباها وأمها شهراً من الزمان، وبعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها، فتكون لك زوجة. وإن لم تُسرّ بها فأطلقها لنفسها"

تثنية 21: 10–14

بطرس الأولى 2:18

"أيها الخدام، كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة، ليس للصالحين المترفقين فقط، بل للعنفاء أيضا."

تثنية 20: 10–14

حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً، فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك.

(سفر التكوين الإصحاح 9: الآيات 20–27):

"وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه. فأبصر حام، أبو كنعان، عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. وقال: مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدا لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبدا لهم".

تُستخدم هذه الآيات من سفر التكوين الإصحاح 9: الآيات 20–27 لتبرير استعباد نسل حام، وقد استغلتها المسيحية لتبرير العبودية والتمييز العنصري ضد السود، رغم أن مؤلف النص الذي يصوّر نبي الله نوحًا على أنه سكير يشرب الخمر حتى الثمالة ثم يتعرّى أمام أولاده، لا يذكر صراحة لون بشرة ابنه حام.
فقد عمدت الكنيسة إلى ربط نسل حام بالسود، لتأسيس رواية دينية تزعم أن العبودية قدرٌ مقدس، وأن السود خُلقوا للخدمة والخضوع. فاللعنة وقعت على السود أحفاد حام، وأنهم خلقوا أصلاً ليكونوا عبيدًا للبيض (أحفاد سام ويافث).

هذه الرواية لم تكن مجرد تبرير لواقع قائم، بل كانت الأساس الذي شرعن العبودية باسم الدين، وجعلها تبدو وكأنها قدر إلهي لا مهرب منه. بل وصل الأمر ببعض اللاهوتيين البروتستانت في الجنوب الأميركي إلى اعتبار استعباد الزنوج "خدمة أخلاقية"، ووسيلة "نقل الحضارة إليهم!"

هذا التوظيف الخبيث للنص أضفى صبغة لاهوتية على التمييز العنصري، وشرعن الفظائع المرتكبة ضد الأفارقة خلال قرون تجارة العبيد والاستعمار، لتدعيم فكرة أن السود "ملعونون" بطبيعتهم، وأنهم مُقدّر لهم أن يعيشوا في عبودية دائمة.. وهي الفكرة التي روجت لمفاهيم مثل "نقاء العرق" الأوروبي و"نقص الإنسانية" لدى السود، فهذا التصور الديني لمكانة السود باعتبارهم "ملعونين" ومخلوقين للخدمة، لم يبق محصورًا في الكنيسة أو اللاهوت، بل شكّل الأساس الذي بُنيت عليه لاحقًا النظريات البيولوجية للعنصرية في أوروبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد بدأ "العلم الحديث" في تلك المرحلة بتقنين وتبرير التفاوت العرقي عبر تصنيفات عنصرية، تدّعي أن الأعراق البشرية تختلف في القيمة والذكاء والقدرات، وأن العرق الأبيض وخاصة الأوروبي هو الأعلى تطورًا، في حين أن العرق الأسود هو الأدنى، والأقرب إلى الحيوانية. والاعتقاد الصريح بأن السود ليسوا بشراً بالكامل.

وقد ربط مفكرون ومؤسسات علمية بين هذه التصنيفات وبين سردية "لعنة حام"، لتبدو وكأنها حقيقة علمية حتمية وليست خرافة دينية. وبهذا، تمكّن الغرب من دمج العنصرية في كل من الدين والعلم والسياسة والاقتصاد، فأصبحت العبودية والاستعمار لا تُعد جرائم، بل "مهام حضارية"، هدفها "تمدين الأعراق الدنيا ."فعلى سبيل المثال:

كلية اللاهوت في جامعة ييل (**Yale Divinity School**) دعمت في محاضراتها فكرة "لعنة حام" كتبرير ديني لاستعباد السود، واعتبرتها جزءًا من مشيئة الله.

صموئيل مورتون(**Samuel George Morton**) ، أحد الآباء المؤسسين للعنصرية العلمية، قام بقياس جماجم البشر لإثبات أن "السود أقل ذكاءً من البيض"، واعتمد في تبريره على فكرة أن السود نسل حام الملعون.

في دستور الكونفدرالية الأمريكية(**1861**) ، الذي أسس لاستقلال الولايات الجنوبية، كانت العبودية مذكورة بوضوح كحق مشروع، مدعوم بقراءات إنجيلية تبرر إخضاع السود.

جيمس هنري هاموند(**James H. Hammond**) ، سيناتور أمريكي ومفكر لاهوتي، أعلن في خطاب شهير سنة **1858** أن "السود خُلقوا ليكونوا طبقة الخدم الدائمة" مستندًا إلى لعنة نوح.

في مدارس الأحد الكنسية في الجنوب الأمريكي، كان يُدرّس للأطفال أن السود خُلقوا للخدمة، ويُستشهد بسفر التكوين لإثبات أن حام ونسله نالوا لعنة العبودية.

في القرن التاسع عشر، دعمت الجمعية الأمريكية للأنثروبولوجيا مفاهيم "العبودية الطبيعية" للسود بناءً على "لعنة حام" مقرونة بتفسيرات داروينية مشوهة، بل وصل الأمر إلى حد إجراء تجارب علمية عنصرية على أجساد السود، مثل تجارب **Tuskegee** الشهيرة (**1932–1972**)، التي تم خلالها ترك مرضى الزهري السود دون علاج عمداً لدراسة تطور المرض، باعتبارهم "عينات مناسبة" وأقل قيمة من البشر البيض.

كارل لينيوس (مؤسس التصنيف العلمي): وصف السود بأنهم "بطيئون، غير أذكياء، ولا يمكن ترويضهم."

(جيمس واتسون)مكتشف بنية**DNA** ، حائز على نوبل :(قال عام **2007**: "الأفارقة أقل ذكاءً من الأوروبيين".

البابا نيكولاس الخامس – مرسوم(1452) Dum Diversas

"نمنح الملك البرتغالي الحق في غزو وإخضاع واستعباد الساراسين (المسلمين) وغير المسيحيين، وامتلاكهم كعبيد مدى الحياة، خدمةً للمسيحية وتوسيعًا لمملكة الله".

البابا كالستوس الثالث – مرسوم(1455) Romanus Pontifex

"نمنح البرتغاليين الحق الحصري في استعباد الوثنيين وسلب ممتلكاتهم، باعتبارهم خُدامًا للكنيسة والملك المسيحي".

الكنيسة ساهمت في محو هوية العبيد الدينية والثقافية الأصلية، وتم تعليم العبيد أن الطاعة لأسيادهم طريق للنعيم الأبدي، من خلال فرض التعميد القسري، واعتبار العبيد "أرواحًا ضالة بحاجة للإنقاذ." ودعم "الفصل العنصري الروحي" بين البيض والسود.

يقول القس الأمريكي Richard Furmanفي رسالته :(1822)

"العبودية مؤسسة من مؤسسات الله، وقد منحها في العهد القديم ولم يُلغِها المسيح".

هل القرآن الكريم كلام الله كما يدّعي المسلمون؟

بينما نرى أن كل طائفة يهودية أو مسيحية تمتلك نسخة مختلفة من "الكتاب المقدس"، سواء من حيث عدد الكتب أو محتوى النصوص، بسبب ما أصابها من تحريفات، إضافات، وحذف عبر القرون فكل طائفة تُقرر بنفسها ما الذي يجب أن يكون ضمن "الكتاب المقدس"، وما الذي يجب حذفه:

اليهود :يعترفون فقط بـ 39كتابًا، وهي كتب "العهد القديم فقط".

البروتستانت :يؤمنون بـ 66كتابًا (وهم أقل نسخة مسحية من حيث تنوع عدد الكتب)، وقاموا بحذف كتبًا أخرى اعتبروها غير موثوقة.

الكاثوليك :يؤمنون بـ 73كتابًا، حيث أضافوا ما يُعرف بكتب "الأبوكريفا" (الكتب المشكوك في صحتها عند غيرهم).

الأرثوذكس الشرقيون :تتراوح نسخهم بين 76إلى 78 كتابًا، وقاموا بإضافة كتب غير موجودة لدى الكاثوليك والبروتستانت.

الأرثوذكس الإثيوبيون :يؤمنون بنسخة هي الأضخم على الإطلاق، حيث تتضمن ما بين 81إلى 108 كتابًا.

في المقابل، لا توجد في الإسلام نسخ متعددة من القرآن الكريم. فالقرآن هو كتاب واحد يتفق عليه جميع المسلمين بلا استثناء، ولا يوجد طوائف تختلف في قراءته أو تبني نسخة دون أخرى، ففي الإسلام، كل الطوائف والفرق تقرّ أن القرآن بنفس أصالته، محفوظ بنفس الكلمات واللفظ منذ نزوله، دون تحريف أو زيادة أو نقصان، فهذا التوحيد النصي يمثل معجزة لا نظير لها في أي دين آخر، يجعل الإسلام فريدًا بين الديانات في حفظ نصه الأصلي دون تحريف أو إضافة او تعديل.

النقل الشفهي للقرآن: شهادة حية على أصالته

يتمتع القرآن بميزة فريدة وهي أن المرجع الأساسي لجميع النسخ المكتوبة أو المطبوعة هو "القرآن المحفوظ في الصدور" (أي الحفظ)، الذي يُتلى على ألسنة القرّاء والحفاظ على مدى مئات السنين عبر الأجيال، وما من نص على وجه الأرض يُحفظ شفهيًا عن ظهر قلب من قبل ملايين الناس كما يُحفظ القرآن الكريم حيث يُعد النقل الشفهي للقرآن الكريم أحد أبرز ملامح حفظه واستمراريته منذ عهد النبي محمد ﷺ وحتى يومنا هذا. تُعرف هذه

العملية باسم (الحفظ) وهي ممارسة متأصلة في الثقافة الإسلامية، حيث يحرص المسلمون على نقل النص القرآني عبر الأجيال من خلال التلاوة الدقيقة والتلقين المستمر.

فيمتاز القرآن الكريم بهذه الخاصية الفريدة التي تجعله المرجع الأساسي لجميع نسخه المكتوبة والمطبوعة. فالقرآن المحفوظ في الصدور هو الأساس الذي يضمن دقة النص وعدم تحريفه، إذ يتم تناقله جيلاً بعد جيل على مدى قرون، مما يعزز أصالته ويؤكد مصداقيته عبر التاريخ.

ووفقًا للتقديرات الحديثة، تجاوز عدد من حفظوا القرآن الكريم كاملًا حول العالم هذا العام 30 مليون شخص، فالطفل المسلم في مكة وفلسطين وإندونيسيا، ونيجيريا، وأمريكا، يتعلم قراءة الآيات نفسها، بنفس الألفاظ والنطق الذي تلاه النبي محمد ﷺ قبل أكثر من 1400 عام، دون أي تغيير أو تحريف.
لقد تناقلت الأمة هذا النص الإلهي جيلًا بعد جيل، بطريقة فريدة في دقة الحفظ الجماعي، لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، حتى أصبح الحفظ الشفهي للقرآن معجزة مستمرة تؤكد أن هذا الكتاب محفوظ فعلًا، كما وعد الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9).

وحتى في أقسى الظروف كما يروي الكاتب مصطفى خليفة في رواية القوقعة حيث يروي على لسان شخصية مسيحية، أنه خلال فترة سجنه في سجون النظام البعثي السوري قد حفظ أجزاء كبيرة من القرآن لا ارادياً، حيث كان هنالك الشيوخ الإسلاميين في المهاجع يتلون القرآن على مجموعة من النزلاء الشباب، وهؤلاء الشباب يستمرون بتكريرها حتى يحفظوها، وهكذا تولدت ألية الحفظ هذه في السجون ولم يبق أحد في المهاجع إلا وقد حفظ القرآن كاملاً من أول حرف الى اخر حرف دون أوراق أو كتب، ومع كل دفعة جديدة من السجناء كانت تبدأ دورة جديدة من التلقين والحفظ إلى نزلاء جدد بالإضافة الى الأحاديث النبوية، وهذا يعكس حيوية النقل الشفهي في حفظ القرآن عبر الزمن.

الصلاة في الإسلام:

بحسب نبوءة الكتاب المقدس (سفر صفنيا 9:3):
"لأني حينئذ أحوِّل الشعوب إلى شَفَةٍ نقيّة، ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتفٍ واحدة".

كلمة "شَفَة "في العبرية القديمة שָׂפָה safah لا تقتصر على الشفتين، بل تُستخدم بمعنى اللغة الموحدة والخطاب الصادق، عبارة "شَفَة نقيّة "هي إشارة إلى لغة طاهرة خالية من التحريف والشرك، يتكلم بها المؤمنون

جميعًا في دعائهم وعبادتهم لله الواحد، أي أن الشعوب المختلفة، التي كانت متفرقة اللغات ومتباينة العبادات، سيوحّدها الله على لسان واحد وعبادة نقية مشتركة، وبحسب التفاسير اليهودية:

Rashi راشي، أحد كبار مفسري التوراة: قال إن "شَفَة نقيّة" تعني أن الأمم كلها ستنطق بلغة واحدة في عبادة الله.

Ibn Ezra ابن عزرا، وهو ايضاً من كبار مفسري التوراة فسّر "شفة نقية" بأنها لغة موحدة وصادقة في العبادة، تخلو من ذكر الأوثان.

وبحسب التفاسير المسيحية تفسير جون جيل و تفسير ماثيو هنري وتفسير جاميسون فوسيت براون: أن الشعوب سيكون عندها إيمان واحد وعبادة مشتركة وسيوحِّدهم الله في عبادة واحدة له، "ليعبدوه بكتف واحدة" أي في وحدة وانسجام.

وأما قوله" :ليعبدوه بكتفٍ واحدة "فهي صورة بلاغية عن الصف المنتظم والعبادة الجماعية المتكاتفة، حيث يتوجه الجميع إلى الله في طاعة وانسجام كامل، وهذا ما تحقّق بوضوح في صلاة المسلمين: ملياري من البشر من شعوب وأعراق مختلفة، يتحدثون لغات متعددة في حياتهم اليومية، لكنهم إذا وقفوا بين يدي الله في الصلاة، فإنهم يقرأون القرآن بلغة واحدة نقية هي (العربية)، "شَفَة نقيّة" لوحي لم يلحقه التحريف عبر العصور، و يعبدون الله في صفوف متراصة، يقفون كتفًا إلى كتف، بلا فوارق طبقية أو عرقية، متوجهين إلى قبلة واحدة، في انسجام لم يتحقق في أي ديانة أخرى في العالم.

فالكنائس المسيحية واليهودية لديها طقوس متباينة ولغات مختلفة في العبادة وليس لديهم صلاة موحدة وواضحة، لا يجتمعون على كلمة سواء ولا على نسق واحد للصلوات.

قال الله تبارك وتعالى: " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" سورة يوسف. وقوله تعالى"في سورة الشعراء بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195).

تُؤدّى الصلاة في الإسلام حصريًا باللغة العربية ولاتصح الصلاة بلغة أخرى غير لغة الوحي، بغض النظر عن لغة المصلي أو بلده، رغم أن الغالبية العظمى من المسلمين اليوم (نحو 85%) ليسوا عربًا، بينما يشكل العرب حوالي 15% فقط من مجموع المسلمين.

فكل مسلم، أينما كان، يجب أن يصلي مستخدمًا نفس الكلمات التي صلى بها النبي محمد ﷺ، دون أي تغيير أو ترجمة، ولهذا، فإن المسلمين وحدهم هم من يحافظون على اللغة الأصلية للوحي في عباداتهم اليومية، مما يجعل من

الصلاة وسيلة فعالة لحفظ النصوص الإلهية من التحريف والتبديل، وهكذا فلا تجد فرق بين مسجد في مكة أو مسجد في روسيا أو الهند أو البرازيل؛ لأنك ستُسمَع نفس الآيات، تُتلى بنفس النطق، وبنفس الأداء، في كل صلاة، وفي كل مسجد، في كل أنحاء العالم، هذه الوحدة اللغوية والعبادية الفريدة، التي لم تتحقق في أي ديانة أخرى.

فكيف يمكن لنصٍّ نزل في القرن السابع الميلادي أن يبقى محفوظًا حرفًا بحرف، يُتلى اليوم في كل بقاع الأرض، بنفس الأداء، بنفس اللغة؟ كيف يصمد أمام قرون من التمحيص، والتشكيك، والنقد، دون أن يُكتشف فيه أي خلل أو تناقض؟ ثم لا يكون من عند الله؟

المخطوطات القرآنية:

يرجع تاريخ كتابة القرآن الكريم إلى عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، حيث تم حفظه في الصدور وكتابته أيضًا على الرق ومواد أخرى، وبعد وفاة النبي، جُمع القرآن في مصحف واحد في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، ثم تم توحيد قراءاته في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وكان الهدف من هذه العملية هو الحفاظ على النص القرآني ومنع أي اختلاف في قراءته أو كتابته.

هناك العديد من المخطوطات القرآنية التي يعود تاريخها إلى عصر حياة النبي ﷺ وبدايات الإسلام في القرن الأول الهجري (القرن السابع الميلادي)، ويستخدم العلماء عدة أساليب لدراسة هذه المخطوطات، منها:

التحليل النصي :حيث يقوم الباحثون بمقارنة النصوص القديمة بالنصوص الحالية للتحقق من وجود أي اختلافات أو تغييرات، والتحقق من ثبات النص القرآني عبر الزمن.

التأريخ بالكربون المشع :(**Radiocarbon Dating**) وهو أسلوب علمي دقيق يُستخدم لتحديد العمر الحقيقي الدقيق للمخطوطات، مما يساعد في توثيق زمن كتابتها.

ومن أبرز هذه المخطوطات:

- مخطوطة برمنغهام **The Birmingham Quran manuscript**

تُعد من أقدم المخطوطات القرآنية المعروفة، وقد كُتبت على الرق في القرن السابع الميلادي. أثبتت تحاليل الكربون المشع أن تاريخها يعود إلى زمن حياة الرسول محمد ﷺ، مما يعزز دلالة ثبات النص القرآني منذ نشأته الأولى.

- مصحف عثمان بن عفان مخطوطة طوبقابي(Topkapi Manuscript)

محفوظ في متحف قصر طوبقابي بإسطنبول تركيا، ويعود إلى القرن الأول الهجري، أي في بدايات الدولة الإسلامية، وهو من المصاحف التي كُتبت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي أشرف على جمع القرآن وتوحيد قراءاته.

- مخطوطات صنعاء (Sana'a Manuscripts)

اكتُشفت في الجامع الكبير بصنعاء في سبعينيات القرن العشرين، وتضم نصوصًا قرآنية مكتوبة بالخط الحجازي، تعود إلى القرن الأول الهجري، وتُعد من أهم الاكتشافات التي تؤكد موثوقية النص القرآني.

- مخطوطة البحرين Qur'an Manuscripts, Bahrain

من المخطوطات النادرة والمبكرة، محفوظة في متحف البحرين الوطني، وتُعد من أقدم المصاحف في الجزيرة العربية، وتؤرخ كذلك إلى القرن الأول الهجري الإسلامي، وتعرض نصوصًا متطابقة مع المصاحف الأخرى القديمة.

- مصحف سمرقند(Samarkand Manuscript)

محفوظ في طشقند بأوزبكستان، ويُنسب تقليديًا إلى عهد عثمان بن عفان، ويعود تاريخه إلى القرن الأول الهجري. ويُعد من أكبر المصاحف حجمًا وأشهرها انتشارًا في العصور الإسلامية.

- مصحف باريس، سانت بطرسبرغ(Petropolitanus / BnF Arabe 328a)

محفوظ بين المكتبة الوطنية الفرنسية في باريس وسانت بطرسبرغ في روسيا، ويؤرخ إلى القرن الأول الإسلامي الهجري، ويتميز بخط حجازي دقيق وجودة عالية في النسخ.

- مصحف القاهرة(Cairo Manuscript)

محفوظ اليوم في دار الكتب المصرية بالقاهرة يعود إلى أواخر القرن الأول الهجري، ويعتبر شاهدًا مهمًا على تقاليد نسخ المصاحف الكبرى في صدر الإسلام.

- مخطوطات قرآنية أخرى متعددة في متاحف ومكتبات حول العالم، تعود إلى القرن الأول الهجري منها: مخطوطات جامعة **Tübingen** (ألمانيا) – بخط حجازي، مؤرخة بالكربون المشع إلى منتصف القرن السابع . الميلادي القرن الأول الإسلامي الهجري.
- مخطوطة بيرغستروم مصحف مكتبة الدولة في برلين، رقم – (**Berlin 4315**) **Or.4315** : المصحف مكتوب بخط كوفي قديم. محفوظة في مكتبة الدولة ببرلين تعود للقرن الإسلامي الأول.
- مخطوطات المكتبة البريطانية – (**British Library Or. 2165**) من القرن الأول.
- مخطوطة فينّا – (**Vienna**) تُعد من أقدم ما وُجد في أوروبا.
- مخطوطات من دير سانت كاترين (سيناء) نصوص قرآنية قديمة جدًا، تعود إلى بدايات الإسلام.

جميع هذه المخطوطات القرآنية، التي تعود إلى القرون الأولى للإسلام، تُثبت بشكل قاطع التطابق والثبات النصي للقرآن الكريم، وتطابقه المذهل عبر العصور؛ من عهد النبي ﷺ وحتى يومنا هذا، دون تحريف، أو زيادة، أو نقصان، أو اختلاف بين النسخ.

ورغم أن هذه المخطوطات محفوظة في مكتبات ومتاحف عالمية، ومنتشرة في بلدان متعددة، فإن نصوصها ظلت متطابقة تمامًا، عبر الزمان والمكان، وهذا التطابق الفريد، الذي تحقق عبر آلاف النسخ المخطوطة، لم يشهده أي كتاب ديني آخر في التاريخ.

معجزات القرآن الكريم

من أبرز خصائص القرآن أنه يحتوي على أنواع متعددة من المعجزات، تتراوح بين البلاغة والتشريع والمعجزات العلمية وغيرها، مما يجعله نصًا فريدًا لا مثيل له، فمعجزاته لا حصر لها، لا تنقضي عجائبه ولا ينتهي عطاؤه، وعلومه متجددة لا تنفذ، وسأشير بإيجاز الى بعض أنواع هذه المعجزات:

لما كذب كفار قريش النبي محمد صلى الله عليه وسلم تحدى الله تعالى كفار قريش أن يأتوا بمثل القرآن فقال :

(فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) سورة الطور.

فلم يستطيعوا، ثم سهل الله عليهم التحدي فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور فقط قال:

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)}13{ سورة هود

فعجزوا أن يأتوا بعشر سور مفتريات فسهل الله تبارك وتعالى عليهم التحدي وطلب منهم أن يأتوا بسورة واحدة فقط وليستعينوا بمن أرادوا من الأنصار والأعوان من الشعراء والأدباء والبلغاء والعلماء قال سبحانه وتعالى:(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)سورة البقرة : 23

وبعد أن عجزوا عن التحدي تحدى الله سبحانه وتعالى الإنس والجن إلى قيام الساعة أن يأتوا بمثل هذا القرآن وأخبر مسبقاً بأنهم لن يستطيعوا ذلك ولو تعاونوا جميعاً على ذلك (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) سورة الإسراء :17

وعلل سبحانه سبب عجز الناس عن الإتيان بمثل القرآن بقوله "فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ". سورة هود

لماذا فشلوا وعجزوا عن محاكاته؟

لأن القرآن فريد ليس شعرًا ولا نثرًا، بل أسلوب مستقل غير مسبوق يتميز بخصائص لا يمكن تقليدها أو محاكاتها، منها:

المستوى البياني المعجز :حيث يجب أن تكون السورة المزعومة في نفس مستوى البيان والبلاغة والإيجاز والإعجاز البياني.

المعاني والتشريعات :ألا تكون السورة مجرد جمل مزخرفة، بل يجب أن تشتمل على معاني سامية وتشريعات متزنة تفوق نظم البشر.

الانسجام وخلوها من التناقض :أن تكون السورة خالية من الاختلاف والتضارب الذهني، واللغوي، والمنطقي، وهو أمر خارج عن طاقة البشر.

الأثر الإيماني والتربوي: أن تُحدث السورة نفس التأثير الإيماني الذي يتركه القرآن في النفوس، من حيث الهداية، والإنذار، والتربية الأخلاقية والسلوكية، وتوجيه العقل والقلب معًا نحو الله، كما وقع بالفعل مع من أسلموا لمجرد سماعه.

الإخبار بالغيب :أن تتضمن السورة شيئًا من الإخبار بالمغيبات أو الوقائع المستقبلية أو الحقائق الغيبية، ثم يتحقق ما أخبرت به.

الصدق اللغوي وغياب التصنّع :أن تكون بلا تكلّف لغوي ولا تصنّع، أي على سجيّة الصدق والعفوية كما القرآن. فإن المزوَّر دائمًا ما يُشتمّ فيه رائحة التصنع والتكلّف.

الاستمرارية والإعجاز الزمني :أن تكون السورة معجزة في كل العصور، وليس فقط وقت نزوله. فالتحدي أن تكون السورة صالحة لإثبات إعجازها في كل الأزمان (لغويًا، علميًا، تشريعيًا. الخ).

البُعد النفسي والتأثير الإيماني :أن تخاطب السورة أعماق النفس البشرية، فتحرك الضمير، وتُحدث أثرًا فوريًا في القلب لا يُصطنع، من رهبة أو خشوع أو بكاء، تمامًا كما كانت آيات القرآن تفعل في قلوب العرب، حتى من الكفار، رغم كفرهم وعنادهم.

البُعد الصوتي والموسيقي الفطري :لا بد أن يكون للنص إيقاع داخلي متماوج، لا هو شعر ولا نثر، يشدّ السمع ويجذب النفس، وهو جمال لا يُقلّد. حيث إن للقرآن إيقاع داخلي خاص يتماوج بتناغم طبيعي في الأذن، يريح النفس .حتى من لا يفهم العربية، ينجذب لتلاوته، ويشعر بجماله عند سماعه.

الإخبار عن الأمم السابقة بدقة تفصيلية: يجب أن تتناول السورة قصص أمم سابقة بطريقة دقيقة ومتسقة مع ما كشفه التاريخ والآثار لاحقًا، دون أي تناقض أو خرافة. وقد أورد القرآن أخبارًا عن عاد وثمود وفرعون وبني إسرائيل، تضمنت تفاصيل لم تكن معروفة للعرب والعالم آنذاك، وثبت صدقها لاحقًا في الحفريات والدراسات التاريخية

الحقائق العلمية الكونية :لابد أن تتضمن السورة إشارات علمية دقيقة إلى حقائق كونية وطبيعية لم تكن معروفة آنذاك، ويثبتها العلم الحديث لاحقًا. وهذا ما يميز القرآن، إذ يحتوي على إشارات عن نشأة الكون، أطوار الجنين، علم البحار، طبقات الجو، وغيرها من العلوم الدقيقة التي لم تكن في متناول أحد في القرن السابع.

الإعجاز العددي: يتميز القرآن بإعجاز عددي فريد لم يقدر البشر على تقليده أو محاكاته، فهو ليس مجرد ترتيب كلمات أو حروف، بل تناغم ونظم رقمي دقيق، حيث يكون كل حرف وكل تكرار في مكانه المناسب، بدقة لا يمكن للبشر الوصول إليها، تتكرر الكلمات والحروف والآيات بنسب مدروسة بعناية، بطريقة يصعب أن تكون من صنع البشر، هذا الإعجاز يظهر مدى التناغم الرياضي والبنائي للنص القرآني، ويكشف عن نظام داخلي متكامل يتجاوز حدود الصدفة.

"هذا التحدي القرآني ظل قائمًا لأكثر من 1400 سنة، ولم ينجح أحد في الإتيان بسورة تماثل القرآن في كل جوانبه، رغم تطور اللغات والأدب والمنطق والعلوم اليوم".

المعجزات العلمية:

الكون النشأة والانتهاء: "أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما" (سورة الأنبياء، 30). "يوم نطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين" (الأنبياء: 104).

سادت عبر التاريخ اعتقادات خاطئة حول طبيعة الكون، منها أن الكون أزلي لا بداية له، وأنه سيبقى إلى الأبد بلا نهاية، وأنه لا نهائي في الحجم ولا تحدّه حدود. كما شاع الاعتقاد بأنه ساكن لا يتغير، وأن النجوم ثابتة في مواقعها (حتى ألبرت أينشتاين نفسه اعتقد أن الكون ساكن، وأدخل ما سماه "الثابت الكوني" في معادلاته لتثبيته، لكنه تراجع عن ذلك بعد اكتشاف توسع الكون على يد إدوين هابل عام 1929، واعتبره "أكبر خطأ في حياته". ومن التصورات المغلوطة أيضًا أن السماء تدور بنجومها كقطعة واحدة حول الأرض، وأن عناصر الكون محصورة في التراب والماء والهواء والنار، وتدور السماوات حول هذه العناصر، وغير ذلك من الخرافات والأساطير.

جاء القرآن الكريم ليؤكد أنّ الكون مخلوق له بداية، وله نهاية محتومة، وأنه محدود بحدود لا يتجاوزها، وإن كنا لا نستطيع إدراكها حسيًّا، كما أكد على أن جميع أجرام السماء في حركة دائبة وجري مستمر إلى أجل مسمى، وأن السماء ذاتها في توسّع دائم، وأن السماوات والأرض كانتا في الأصل جرمًا واحدًا ففتقهما الله سبحانه وتعالى، فتحولت مادة هذا الجرم إلى دخان خُلقت منه الأرض والسماء.

ثبات توسع الكون في الثلث الأول من القرن العشرين دفع العلماء إلى الاستنتاج المنطقي أنه إذا عدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن، فلا بدّ أن تلتقي جميع صور المادة والطاقة المنتشرة في الكون، كما يلتقي كل من المكان والزمان، و جميع ما في الكون من موجودات في نقطة واحدة تكاد تقترب من الصفر، أي العدم على هيئة ابتدائية للكون (مرحلة الرتق). وأن تلك الهيئة الأولية كانت متناهية في الصغر، كما كانت بالقطع في مستوى من الكثافة ودرجة الحرارة التي لا يكاد العقل البشري أن يتصورهما فانفجرت (مرحلة الفتق) و نتج عن هذا الانفجار الكوني العظيم (الفتق بعد الرتق) تحول هذا الجرم الأولي للكون المتناهي في ضآلة الحجم وضخامة الكثافة وشدة الحرارة، إلى غلالة من الدخان (مرحلة الدخان الكوني) الذي خلق الله تعالى منه الأرض و السماء (مرحلة الإتيان بكل من الأرض والسماء) تسمّى هذه المرحلة المستقبلية باسم مرحلة طي السماء، الانسحاق الشديد (مرحلة الانسحاق الشديد للكون، كما يحلو لبعض الفلكيين المعاصرين تسميتها).

وقد أخبرنا ربنا تبارك وتعالى من قبل أكثر من ألف وأربعمئة سنة أنه سبحانه تعالى قد تعهد بإعادة السماوات والأرض إلى سيرتها الأولي، وذلك بقوله في محكم كتابه عزّ من قائل:

"يوم نطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين" (الأنبياء: **104**).

وليس من قبيل المصادفة أن ترد الآيتان رقم (**30**) وهي المتعلقة بخلق الكون (الفتق بعد الرتق)، ورقم (**104**) وهي المتعلقة بإفناء الكون (الرتق بعد الفتق) في سورة واحدة وهي سورة الأنبياء.

هذه الحقائق الكونية الكبرى في خلق السماوات والأرض، لم يستطع الانسان الوصول إلى إدراك شيء منها إلا في منتصف القرن العشرين أو بعد ذلك، حين تبلورت نظرية فلكية باسم نظرية الانفجار العظيم، النظرية الأكثر قبولًا عند علماء الفلك وعلماء الفيزياء الفلكية والنظرية في تفسير نشأة الكون، وبعد اكتشاف توسع الكون على يد إدوين هابل عام **1929**، وبعد ظهور دراسات لسيناريو علمية مستقبلية محتملة لنهاية الكون مثل التمزق العظيم و الانكماش الكوني حول إمكانية انكماش الكون بعد التوسع، وقد سبق القرآن الكريم بالإشارة إليها من قبل أكثر من ألف وأربعمئة سنة .

آية: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ **[الذاريات: 7]**

"الحُبُك" تعني النسيج المحبوك بإحكام ودقة، أي أن السماء (الكون) فيها طرائق وخيوط ونسيج محكم، حيث يصف القرآن يصف البناء الشبكي والنسيجي للكون بدقة مذهلة، ففي سبعينيات القرن العشرين، بدأ العلماء يلاحظون أن المجرات لا تتوزع في الكون بشكل عشوائي كما كان يُعتقد سابقًا، بل تظهر في محاكاة الحاسوب

وكأنها تتجمع في هياكل تشبه الخيوط، هذا التصور ازداد وضوحًا في التسعينيات، عندما أطلق مشروع **Sloan Digital Sky Survey (SDSS)** مهمة ضخمة لرسم خرائط ثلاثية الأبعاد لتوزيع المجرات، وأظهرت النتائج أن المجرات بالفعل تتوزع على شكل شبكة مترابطة تشبه النسيج، مع فراغات ضخمة تفصل بين هذه الخيوط. وفي العقد الأول من الألفية، قدّم كل من مرصد هابل والمرصد الأوروبي الجنوبي (**ESO**) صورًا مذهلة لمجرات مجتمعة على شكل سلاسل وكأنها موضوعة على خيوط غير مرئية. كما أظهرت محاكاة الألفية (**Millennium Simulation**) كيف تتجمع المادة الكونية بطريقة تحاكي هذا النسيج الكوني بشكل واقعي. وفي عام **2014**، نشرت مجلة **Nature** أول دراسة تقدم تصويرًا مباشرًا لما يُعتقد أنه خيوط المادة المظلمة التي تصل بين المجرات، مما يفسّر آلية تماسك هذا النسيج الكوني. أما في عام **2021**، فقد بدأ مشروع **DESI (Dark Energy Spectroscopic Instrument)** في مهمة غير مسبوقة لرسم خارطة دقيقة للنسيج الكوني عبر قياس مواقع وسرعات أكثر من **35** مليون مجرة، بهدف فهم البنية الخيطية الشاسعة التي تشكل نسيج الكون المرئي.

جورج سموت الحائز على نوبل:

"الكون يُظهر بنية نسيجية مذهلة... تشبه خيوطًا منسوجة من الضوء والمادة".

كارلوس فرينك :

"الكون كأنه نسيج عملاق... حيث المجرات عقد في شبكة من الخيوط والجسور".

مارتن ريس عالم فيزياء فلكية بريطاني:

"إن هذه الخيوط الكونية تعطي إحساسًا بجمال معمار الكون... وكأنها منسوجة بعناية.

"وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين" (سورة يونس، الآية **61**)

القرآن يعلمنا بوجود شيء أصغر من الذرة بل وأدق من أن يُرى، و أن كل ما هو أصغر أو أكبر منها معلوم لله ومدون في "كتاب مبين."

بدأ اكتشاف الجسيمات دون الذرية في القرن العشرين بفضل التقدم في التكنولوجيا وتطور الفيزياء الحديثة. حيث اكتشف العلماء أن "الذرة" ليست أصغر شيء، بل هي تتكوّن من نواة (بروتونات ونيوترونات) تدور حولها

إلكترونات. ثم لاحقًا تبيّن أن هذه الجسيمات نفسها ليست أولية، فالبروتونات والنيوترونات مكوّنة من كواركات (Quarks)مترابطة بواسطة غلوونات(Gluons) ، بينما الإلكترونات تنتمي إلى عائلة اللبتونات (Leptons). كما وُجدت جسيمات خفية مثل النيوترينو (Neutrino) الذي كتلته أصغر بكثير من الإلكترون، ويمر بمليارات منه عبر أجسادنا كل ثانية دون أن نشعر به، لصعوبة تفاعله مع المادة. هذه المجموعة تُعرف اليوم باسم "الجسيمات دون الذرية(Subatomic Particles) "، ويُشكّل فهمها جوهر ما يُعرف بالنموذج القياسي لفيزياء الجسيمات.

ستيفن هوكينغ:

"القوانين التي تحكم أصغر الجسيمات في الكون تُظهر دقة مذهلة، كأنها خُطّت بدقة في مخطوطة كونية".
الفيزيائي ريتشارد فاينمان الحائز على نوبل:"إذا قُدّر لنا أن نُبقي على جملة واحدة فقط من كل المعرفة العلمية، فستكون :كل المادة تتكون من ذرات، وهذه الذرات بدورها تتكون من جسيمات أصغر".

السماء والغلاف الجوي: "وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا" (سورة الأنبياء، 32).

تشير هذه الآية إلى أن الغلاف الجوي يحمي الأرض من الإشعاعات الضارة والمواد السامة، حيث اكتشف العلماء أول طبقة رئيسية من طبقات الغلاف الجوي وهي طبقة الستراتوسفير، وتبين لاحقًا أنها تحتوي على طبقة الأوزون، التي تعمل على امتصاص الأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس، وتحمي الكائنات الحية من أضرارها القاتلة، ففي خمسينيات القرن العشرين، وباستخدام الأقمار الصناعية، لاحظ الباحثون أن الشهب والنيازك تحترق عندما تدخل طبقات الغلاف الجوي، خاصة طبقة الميزوسفير .. هذه الظاهرة تؤكد أن الغلاف الجوي يعمل كدرع واقٍ يمنع الأجسام الفضائية من الوصول إلى سطح الأرض.

وأعلن العالِم الأمريكي جيمس فان آلن في عام 1958عن اكتشاف الأحزمة الإشعاعية حول الأرض والتي سُميت لاحقًا بـ" حزام فان آلن "هذه الأحزمة ناتجة عن المجال المغناطيسي الأرضي، وتقوم بصد الجسيمات المشحونة القادمة من الشمس، مما يوفّر للأرض حماية من الإشعاعات الشمسية والكونية القاتلة.

وأكدت أبحاث وكالة ناسا في السبعينيات أن الغلاف الجوي يعمل كنظام متكامل لتنظيم حرارة الأرض، فهو يمتص جزءًا من إشعاعات الشمس نهارًا، وفي الوقت نفسه يقلل من فقدان الحرارة ليلًا، مما يحافظ على توازن حراري يحمي سطح الأرض من التجمّد أو الاحتراق.

حركة الأرض والشمس: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (سورة الأنبياء، 33).

تشير هذه الآية إلى حركة الأجرام السماوية في مداراتها، وتؤكد الأبحاث الفلكية الحديثة والدراسات العلمية دقة وعمق الوصف القرآني لهذه الحركة، حيث تدور الكواكب حول محاورها وحول الشمس في مدارات ثابتة.

وهو ما أثبتته الدراسات الفلكية الحديثة بدقة مدهشة، فالأرض تدور حول محورها بسرعة تقارب 1670 كم/ساعة عند خط الاستواء، كما تدور حول الشمس بسرعة تقارب 107,000كم/ساعة في مدار بيضاوي، ومع التقدم العلمي في القرن العشرين، خصوصًا بين عامي 1950و1970، مكّنت التلسكوبات الراديوية العلماء من دراسة هذه الحركات بصورة أوضح.

ثم جاء إطلاق تلسكوب هابل الفضائي عام 1990 ليُزوّد البشرية بصور ومعلومات غير مسبوقة عن حركة النجوم والكواكب داخل مجرتنا وخارجها. وفي العقد الثاني من الألفية الجديدة، أطلق مرصد غايا الأوروبي (2013)مشروعًا طموحًا لقياس مواقع وسرعات أكثر من مليار نجم بدقة عالية، فكشف أن حركة الأجرام ليست مجرد دورانية بسيطة، بل هي مسارات لولبية ومعقدة داخل نسيج الزمكان الكوني.

وهكذا يبقى التعبير القرآني "كل في فلك يسبحون" جامعًا شاملًا، يختصر حقائق لم يتوصل إليها الإنسان إلا بأحدث وسائل الرصد بعد أربعة عشر قرنًا من نزول القرآن.

خلق الإنسان وتطور الجنين: سورة المؤمنون، الآيات 12–14: "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين".

تُعد الآيات من سورة المؤمنون (12–14) من أقدم النصوص التي تصف تطور الجنين البشري بمراحل متتابعة ومنظمة، على نحو يتوافق مع ما أثبته علم الأجنة الحديث بعد قرون من الملاحظة المجهرية والتشريح.

يبدأ النص بالإشارة إلى الأصل الطيني للإنسان" :من سلالة من طين"، وهو ما يتماشى مع التركيب الكيميائي لجسم الإنسان المكوّن من عناصر أرضية مثل الكربون والحديد والكالسيوم، ثم تأتي الإشارة إلى مرحلة النطفة، وهي أدق وصف للقطرة المنوية، تستقر في "قرار مكين"، أي الرحم، وهو ما يعبّر عن ثبات البيئة الرحمية واستقرارها الفيزيولوجي. تلي ذلك مرحلة العلقة، والتي تعني باللغة شيئًا معلقًا أو داميًا متخثرًا، وهي تتطابق مع

شكل الجنين الملتصق بجدار الرحم، وخصائصه في هذا الطور. أما المضغة، فهي تشبه قطعة من اللحم الممضوغ، وتشير إلى مرحلة تكوّن الكتل البدنية وتشكل الفلقات العضلية، ثم تأتي مرحلة تكوّن العظام، يتبعها كسو العظام باللحم، وهي إشارة دقيقة إلى التتابع الزمني الذي تم تأكيده بالمجهر الإلكتروني: فالتكثف الغضروفي ثم التحجّر (ossification)يسبق فعليًا تكوين الأنسجة العضلية حول العظام، بخلاف ما اعتقده كثير من العلماء في السابق الذين ظنوا أن اللحم يتكوَّن أولًا، فالعلم الحديث توصل بعد الأبحاث، أن العظام تتكوَّن أولًا في شكل غضروفي، ثم تُكسى بالعضلات.

وأخيرًا، تأتي العبارة" :ثم أنشأناه خلقًا آخر ."وقد فسرها بعض العلماء بأنها تشير إلى تطور الجهاز العصبي أو ظهور الحياة الواعية، أو بداية نفخ الروح، بحسب التفسيرات الإيمانية.

الدكتور كيث مور (Keith L. Moore) أحد أبرز علماء التشريح:

"الترتيب القرآني في مراحل تطور الجنين دقيق بشكل مذهل، ويوافق ما تم اكتشافه في علم الأجنة الحديث".

تمدد الكون: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: 47).
تشير هذه الآية المباركة إلى أن الكون ليس ثابتًا، بل في حالة توسع مستمر، وهو أمر لم يُكتشف إلا في القرن العشرين. كيف لرجل أمي في صحراء الجزيرة العربية أن يعلم شيئًا عن الكون يحتاج إلى تلسكوبات متطورة ومعرفة علمية متقدمة؟ قال الله تبارك وتعالى :﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: 53).

في عام 1929، اكتشف العالم إدوين هابل أن المجرات تبتعد عن بعضها البعض، مما دل على أن الكون يتمدد منذ نشأته، وهو ما أصبح أساسًا لنظرية الانفجار العظيم (Big Bang) ويؤكد العلماء اليوم أن الكون يمر بتوسع مستمر، حيث تبتعد المجرات بمعدلات متزايدة بفعل الطاقة المظلمة، ما يجعل الكون أكبر وأكثر اتساعًا مع مرور الزمن.

"ألم تر أن الله يزجي سحابًا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار" (سورة النور: 43).

تتجلّى في هذه الآية مراحل تكون الغيوم الماطرة، كما توصّلت إليها العلوم الحديثة في مجال الأرصاد الجوية.

في النصف الثاني من القرن العشرين، وبعد تطور تقنيات الرادار والأقمار الصناعية، تم التوصل إلى أن الغيوم الركامية (Cumulonimbus Clouds) تتكوّن عبر مراحل تبدأ بما يُعرف بـ"الإزجاء"، أي دفع الرياح للكتل الهوائية الرطبة. ثم يحدث "التأليف" بين كتل السحب الصغيرة بفعل التيارات الهوائية الصاعدة، فتندمج وتتراكم رأسياً لتتحول إلى غيوم ركامية ضخمة، وهي التي ترتبط غالبًا بالعواصف الرعدية والأمطار الغزيرة.

عندما تتطور هذه الغيوم، تصل التيارات الصاعدة داخلها إلى مستويات عالية في الغلاف الجوي، حيث تكون درجات الحرارة منخفضة للغاية، مما يؤدي إلى تكوّن بلورات ثلجية وكرات من البَرَد .هذه الكتل الجليدية تتصادم وتندمج مرارًا داخل السحابة قبل أن تهطل إلى الأرض. وقد لاحظ العلماء أن هذه الغيوم يمكن أن تصل إلى ارتفاعات شاهقة تصل إلى 15كم أو أكثر، مما يخلق مظهرًا شبيهًا بـ"الجبال" من الأعلى، وهو ما تعبر عنه الآية بقوله:
"وينزل من السماء من جبال فيها من برد."

ففي بداية القرن العشرين، بدأ العلماء يفهمون كيفية نشوء الغيوم من بخار الماء الذي تحمله الرياح (تزجي السحاب)، ثم لاحظوا من خلال الصور الجوية عملية التلاحم بين السحب الصغيرة لتكوين كتلة واحدة ضخمة، وهو ما يُعرف بـ"الاندماج السحابي .(Cloud Merging) "أما "السحاب الركامي "
(Cumulonimbus)، فهو النوع الذي يتكون نتيجة صعود الهواء الرطب الساخن لأعلى، ليبرد ويتكثف على شكل سحب عمودية ضخمة، وهو ما عبّر عنه القرآن بـ"ركامًا."

وقد أثبتت أبحاث الأقمار الصناعية والرادارات أن المطر (الودق) يخرج بالفعل من داخل هذه السحب الركامية، وهو ما نراه في مناطق العواصف الرعدية.

أما "سنا برقه "فهو تعبير بالغ الدقة عن الوميض الشديد للصواعق الناتجة عن تراكم الشحنات الكهربائية داخل السحب الركامية. وقد أكدت الأبحاث أن تفريغ الشحنات يمكن أن ينتج وميضًا يعادل آلاف الأضعاف من ضوء الشمس اللحظي، مما "يكاد يخطف الأبصار"، تمامًا كما وصفت الآية. أما قوله "سنا برقه يذهب بالأبصار " فهو وصف دقيق للظاهرة المعروفة باسم "الوميض البرقي الكثيف "المصاحب للسحب الركامية، والذي يكون شديد الإضاءة حتى أنه يمكن أن يُسبب العمى المؤقت للمراقبين، وهو ما أثبته علم الأعصاب البصري أيضًا في دراسات على الطيارين والمراقبين الجويين.

تُعد هذه الآية من أبلغ الشواهد على الدقة التصويرية والعلمية في وصف الظواهر الجوية، قبل أن تُكتشف تفاصيلها بقرون طويلة، وتُوثّق في دراسات المراصد الحديثة مثل NASAو NOAAومرصد ECMWFالأوروبي.

الجبال كأوتاد: "والجبال أوتادًا" (سورة النبأ، 7).

الآية تشير إلى أن الجبال تعمل كأوتاد للأرض، أي تثبت القشرة الأرضية وتقلّل من اهتزازها، وهو ما أكدت عليه الدراسات الحديثة في علم الجيولوجيا والصفائح التكتونية .فالجبال ليست مجرد تضاريس شاهقة، بل لها دور في تثبيت القشرة الأرضية وتقليل الزلازل إلى حدّ ما، كما تعمل الجبال على توزيع ضغط الأرض بشكل متوازن، وهو ما يعكس الدقة العلمية في وصف القرآن منذ أكثر من 1400 سنة.

الحديد المنزل :﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحديد، الآية 25).

في منتصف القرن العشرين، ومع تطور علم الفلك والفيزياء النووية، بدأ العلماء يفهمون بشكل أفضل أصل العناصر الكيميائية في الكون.

فحين بدأت الفيزياء الفلكية تكشف أسرار تكوّن العناصر. ففي عام 1957، نشر فريد هويل ووليليام فاولر، بالاشتراك مع جيوفري ومارغريت بوربريدج، ورقة بحثية تاريخية بعنوان Synthesis of the Elements in Stars(تكوين العناصر داخل النجوم)، والتي أثبتت أن العناصر الثقيلة كالحديد تتشكل فقط في باطن النجوم العملاقة خلال المراحل الأخيرة من حياتها، ولا يمكن أن تتكوّن داخل نجم صغير كالشمس. وفي السبعينيات، أكّد علماء الفلك أن الحديد لا يُخلق إلا بضغط هائل يوجد في النجوم العملاقة التي تنفجر في نهاية عمرها في ظاهرة تُعرف بـ"السوبرنوفا". أما في العقود الأخيرة، فقد أثبتت أبحاث من وكالة ناسا ووكالة الفضاء الأوروبية (ESA) أن الحديد يُقذف إلى الفضاء نتيجة هذه الانفجارات، ويتجمع لاحقًا لتشكيل الكواكب، بما فيها الأرض. كما أظهرت تحاليل نيازك الحديد الساقطة على الأرض تطابقًا مع النماذج النظرية لتكوّن الحديد في المستعرات العظمى، وهي نتائج نشرتها مجلات علمية مرموقة مثل Natureو Science وAstrophysical Journal، و القرآن ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، قد سبق الاكتشاف العلمي بقرون طويلة.

أهمية الماء: "وجعلنا من الماء كل شيء حي" (سورة الأنبياء، 30).

يُبرز القرآن أهمية الماء في استمرار الحياة. وتؤكد الدراسات العلمية أن جميع الكائنات الحية تعتمد على الماء للبقاء

تشير هذه الآية إلى الأساس الحيوي للماء في كل أشكال الحياة، وهو ما أكدت عليه العلوم الحديثة في علم الأحياء والبيئة. فالماء ليس مجرد عنصر من عناصر الطبيعة، بل هو أساس الخلق ونشوء الحياة، فجميع الخلايا الحية تعتمد على الماء في عملياتها الحيوية، مثل النقل الخلوي، التمثيل الغذائي، وحفظ درجة الحرارة.

الحياة على الأرض، بدءًا من البكتيريا والنباتات وصولًا إلى الإنسان والكائنات البحرية، لا يمكن أن تستمر بدون الماء، والدراسات الجيولوجية وعلم الأحياء الجزيئي تؤكد أن أول أشكال الحياة على الأرض نشأت في المحيطات القديمة، أي أن الماء كان الوسيلة الأساسية لبدء دورة الحياة.

هذا كان عرض جزء يسير جداً فقط، من الاعجاز العلمي للقرآن، الذي تتجلّى فيه حقائق الكون والحياة والمادة بطريقة لم يكن لأحد أن يعرفها في زمن نزول الكتاب، ولم تعلم الا في عصرنا هذا بعد تطور وتقدم العلم.

"كيف لكتاب أُنزل في القرن السابع أن يحتوي على معرفة لم تُكتشف إلا بعد قرون بفضل تقدم العلم، وأن يصف علومًا بدقة لم يكن للبشر أن يدركوها آنذاك؟ قال الله تبارك وتعالى في سورة العلق: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾".

المعجزة التشريعية:

تتميز قوانين القرآن بالعدل والشمول والرحمة، وتعكس الحكمة الإلهية في تشريع ما يناسب البشر، فيقدم القرآن قوانين تشمل مختلف جوانب الحياة، من إدارة الدول والحكومات إلى قوانين الحرب والسلم، والعلاقات الاجتماعية، والاقتصاد، والعدالة الجنائية، والزواج والطلاق، وقد ظل هذا النظام الشامل ثابتًا دون تغيير لأكثر من 1400 سنة. وكانت بعض هذه القوانين سابقة لعصرها في العدل والرحمة، مثل المساواة في الحقوق والواجبات بين الجنسين، والعناية بالفقراء والمحتاجين. ويتصف هذا النظام بالعدل والمرونة، مما يجعله مناسبًا لكل زمان ومكان، ويحقق مصالح الفرد والمجتمع على حد سواء.

الوعود القرآنية حقائق تاريخية:

يحتوي القرآن على العديد من الوعود الإلهية التي تحققت عبر التاريخ، مما يثبت أنه ليس مجرد كتاب يقدم وعودًا غامضة أو مستقبلية، بل سجل للحقائق التاريخية الموثقة. وتُعد كل واحدة من هذه الوعود دليلاً على صدق الرسالة الإسلامية واستمرارها عبر الزمن. وتعكس هذه الوعود التخطيط الإلهي، وتؤكد وعد الله بإقامة العدل ونصرة أتباع الإسلام. ومن الأمثلة على ذلك:

انتصار الروم بعد الهزيمة: سورة الروم، الآيات 2–4:
الآية :﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

جاء النص القرآني ليخبر بأن الروم سينتصرون بعد هزيمتهم أمام الفرس، فالعرب كانوا يعتقدون استحالة انتصار الروم مرة أخرى، ووعد الله تحقق بعد حوالي سبع سنوات فالنصر بيد الله وحده، والآية نزلت لتحث المؤمنين على الصبر والثقة بوعد الله.أيضاً تذكر الآية أن المعركة حدثت في "أدنى الأرض" وغُلبت فيها الروم، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن هذه المنطقة هي أخفض بقعة على سطح الأرض، حيث يبلغ عمقها نحو 431 مترًا تحت مستوى سطح البحر، فهذه المنطقة هي الأخفض على سطح اليابسة، وتتطابق مع وصفها في القرآن الكريم بأنها "أدنى الأرض" حيث وقعت المعركة بين الروم والفرس.

فتح مكة: سورة الفتح، الآية 27: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾

تعكس هذه الآية الإعجاز في التنبؤ بالنتائج التاريخية بدقة متناهية، فقد تنبأت بفتح مكة وسلامة المسلمين عند دخولهم إليها، وهو ما تحقق بالفعل في السنة الثامنة للهجرة.

فتشير الدراسات التاريخية إلى أن مكة في ذلك الوقت كانت محصنة بحصون وجيوش متقدمة، وفتحها سلمًا كان حدثًا بالغ الصعوبة على المستوى العسكري والسياسي، إلا أن الله أتم وعده بدقة، فدخل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مع عشرة آلاف من أصحابه، وحققوا النصر ودخلوا المسجد الحرام بسلام وأمان، كما وعدهم الله، هذه الحادثة تبرز الدقة في تحقيق الوعد الإلهي والتصديق بالرؤيا قبل وقوع الحدث.

هزيمة قريش في بدر: سورة القمر، الآية 45: "سيُهزم الجمع ويولون الدبر"

تنبأت هذه الآية، التي نزلت قبل غزوة بدر بهزيمة قريش في غزوة بدر قبل وقوع المعركة، وهو ما تحقق بالفعل في السنة الثانية للهجرة، و كانت قريش آنذاك تتفوق عسكريًا وعدديًا على المسلمين، حيث جمعوا قوة كبيرة للاقتصاص من النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، إلا أن الله أظهر النصر للمسلمين رغم ضعف العدة والخبرة، وهزم المسلمين قريش الجمع القوي، وولوا الأدبار وعندما حدثت غزوة بدر، كان عدد المسلمين 313 مقاتلاً، بينما بلغ عدد المشركين حوالي 1000 مقاتلاً ، هذا الفرق العددي الكبير يجعل النصر للمسلمين معجزة واضحة، خاصة أن غالبية المسلمين كانوا حديثي عهد بالقتال ولم يملكوا تجربة عسكرية كبيرة.

وعد الفتوحات: ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ سورة الفتح

الله وعد المؤمنين بغنائم كثيرة سيحصلون عليها في الفتوحات الإسلامية المستقبلية، وقد تعجل لهم غنيمة خيبر مع كف أيدي الأعداء عنهم، لتكون علامة للمؤمنين على صدق وعد الله وثباتهم على الطريق المستقيم و تحقق هذا الوعد بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، حين انتشر الإسلام في الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا، ثم توسع لاحقًا في أنحاء العالم.

وعد الغلبة والتفوق للإسلام: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ الآية رقم 28 من سورة الفتح:

يؤكد هذا الوعد الإلهي أن الإسلام هو الدين الحق الكامل، المتفوق على جميع الأديان، وتُظهر تعاليمه حلولًا شاملة للمشاكل الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة، فالإسلام هو الوحي النقي من الله تبارك وتعالى، وتتجلى أفضليته في تشريعاته التي تلبي احتياجات البشرية على مر العصور، وتضمن العدالة الاجتماعية والاقتصادية، وقد ضمن الله أن يسود الإسلام بالحجج القوية والمنطق الواضح ، ويظل الإسلام برسالته التي جاء بها النبي خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، متفوقًا في معاييره الأخلاقية والتشريعية، وسائدًا بالإيمان والعقل على سائر الأديان.

الاعجاز الاخباري عن تاريخ الأمم السابقة

سفينة نوح عليه السلام: القرآن والتوراة والاكتشافات الحديثة

يخبرنا القرآن الكريم عن الطوفان العظيم وسفينة نوح عليه السلام، ويحدد بدقة موقع رسوها بعد انتهاء الطوفان، قال تعالى:

﴿فَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلظَّالِمِينَ﴾ (هود: 44). أما التوراة فتذكر أن السفينة استقرت على جبل أراراط، كما جاء في سفر التكوين: وَاسْتَقَرَّتِ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ عَلى جَبَلِ أَرَارَاتَ "سفر التكوين 8:4

تشير الدراسات الجيولوجية الحديثة إلى أن جبل أرارات هو جبل بركاني تعرض لعدة ثورات بركانية على مر القرون، مع وجود نشاطات جيولوجية مستمرة مثل الصهارة والحمم القديمة، مما يجعل من الصعب تكوّن سطح ثابت وراسخ يمكن أن ترسو عليه سفينة كبيرة ، فالرواية التوراتية التي تحدد رسو سفينة نوح عليه السلام على أرارات تواجه صعوبة منطقية وجيولوجية، فقد أكدت الدراسات وجميع العينات أنه لا توجد أية آثار لسفينة نوح على أرارات،

من جهة أخرى، أظهرت الدراسات التاريخية والأثرية، التي شملت المسوحات الميدانية والتحليل بالكربون المشع، أن سفينة نوح عليه السلام استقرت على جبل الجودي الواقع في شمال العراق كما سبق وأخبر الله في القرآن، وقد تابعت البعثات العلمية هذا الموقع في أعوام 1953، 1959، 1980، 1987، 1994، وحتى اليوم، حيث تم العثور على بقايا خشبية وطبقات رسوبية كثيفة من المياه العذبة يُرجح أنها من الطوفان، وارتفاعها أكثر من عشرة أقدام، وعمرها بين 7,000 و3,000 سنة قبل الميلاد.

وقد أكد الدكتور رالف سولسكي (Ralph S. Solecki) من معهد سمسثو نيان بالولايات المتحدة صحة هذه النتائج، كما أعلن مارتين روي في جريدة الأوبزرفر عام 1994 أن العمر المطلق للأجزاء الخشبية من السفينة يتوافق مع هذه الفترة الزمنية.

فالقرآن الكريم قد حدد بدقة موقع رسو سفينة نوح عليه السلام قبل 1400 سنة، بينما ذكر سفر التكوين جبلًا بركانيًا لم يكن يمكن أن ترسو عليه سفينة.

إرم ذات العماد (قوم عاد)

"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6)إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ (7)ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ (8)" سورة الفجر

في عام 1978–1974م، تم اكتشاف آلاف الألواح الصلصالية في موقع تل مرديخ قرب مدينة إبلا شمال سوريا، على يد البعثة الأثرية الإيطالية برئاسة العالِم باولو ماتييه .(Paolo Matthiae) وتعود هذه الألواح إلى منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد (حوالي 2500–2250 ق.م). كانت مكتوبة باللغة المسمّاة بـ الإبلائية (Eblaite)، وهي لهجة قريبة من الأكادية.

المثير للدهشة أن بعض هذه الألواح، وهي سجلات تجارية ودبلوماسية، وردت فيها أسماء مدن ومناطق معروفة في النصوص الدينية القديمة. ففي العام 1979م نشر الباحثان حاييم بيرمانت (Chaim Bermant) ومايكل ويتزمان (Michael) كتابهما :(إبلا: فتح في مجال علم الآثار القديمة)، وأشارا إلى أن من بين الأسماء التي وردت في الألواح:

- **عاد(Ād)**
- **إرم(Iram)**

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِ الْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩ ابراهيم﴾ ... وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢ الحج﴾
فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣ فصلت﴾

عام 2008أعلنت اليونسكو أن مدائن صالح موقع تراث عالمي، وذكرت أن المكان يربط بين حضارات شمال الجزيرة (ثمود، لحيان، أنباط). ويقع موقع مدائن صالح (الحِجر شمال غرب المملكة العربية السعودية) يحتوي على آثار ونقوش عظيمة، منها مقابر منحوتة في الصخور تعود إلى حضارة الأنباط، لكنها قائمة على أطلال أقدم تعود إلى قوم ثمود.

المصادر اليونانية والرومانية :أول من ذكر قوم ثمود هم الكُتّاب الإغريق والرومان، مثل بليني الأكبر **Pliny the Elder**) (في كتابه التاريخ الطبيعي (القرن الأول الميلادي) ، حيث أشار إلى شعب باسم **Thamudeni** يعيشون في شمال الجزيرة العربية.

النقوش السبئية والنبطية :ورد ذكر اسم ثمود في بعض النقوش العربية الجنوبية (السبئية) وكذلك النبطية.

النقوش الآشورية :وُجد في سجلات الملك الآشوري سرجون الثاني (القرن الثامن قبل الميلاد) أنه هزم أقوامًا من بينهم شعب يُدعى "ثمود."

النقوش العربية الشمالية (اللحيانية والصفوية): بعض النقوش في شمال الجزيرة (المدائن، العلا، الحجر) تضمنت إشارات إلى "ثمود."

من أبرز وجوه الإعجاز الإخباري في القرآن الكريم أنه تفرّد بذكر أنبياء وأقوام لم يعرفها اليهود ولا النصارى في كتبهم المقدسة، بل ولم يكن يعرفها حتى العرب أنفسهم، مثل النبي هود عليه السلام وقومه عاد، والنبي صالح عليه السلام وقومه ثمود، هؤلاء الأقوام عاشوا في الجزيرة العربية وتركوا آثارًا ما زالت شاهدة حتى اليوم، مثل مدائن صالح التي نقشت في الصخور بدقة هندسية مدهشة، فالقرآن هو المرجع الوحيد الأصدق في تاريخ الإنسانية والأمم البائدة، إذ يقول تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49].

هل ذكر محمد ﷺ في التوراة والانجيل؟

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: 146]

يقول الله لموسى في سفر التثنية 18:18–19:

"أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك (مثل موسى)، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه"

النص يقول بوضوح إن الله سيقيم نبيًا جديدًا من "إخوتهم" وليس من بني إسرائيل أنفسهم، فالنص يشير إلى أبناء إسماعيل، الذين وصفهم الكتاب المقدس مرارًا بـ "إخوتكم" (تكوين 16:12، 25:18).

ثم يقول "مثلك" أي مثل موسى، لا من حيث المعجزات فقط، بل في كونه نبيًا وقائدًا ومشرّعًا وحاكمًا وسيدًا على أمةٍ كاملة بشريعة شاملة، وهذا لا ينطبق على عيسى ابن مريم عليه السلام، الذي صرّح بنفسه أنه لم يأتِ ليُبطل الناموس، بل ليكمّله (متى 5:17)، ولم يؤسس شريعة، ولم يحكم بين الناس، ولم يقُد أمة، ولم يحارب.

إن عبارة "أجعل كلامي في فمه "(تثنية 18:18) تعبّر بدقة عن مشهد الوحي كما وقع في الإسلام، حيث كان النبي محمد ﷺ يتلقى النص القرآني حرفيًا عن طريق جبريل عليه السلام، في كل مسألة وحادثة وسؤال نقل لفظي مباشر، يُتلى كما هو، دون زيادة أو تحوير. وقد كان هذا النص يُدوَّن فورًا، ويُراجع مع النبي ﷺ باستمرار، وهذا النمط من الوحي اللفظي لا يُعرف بهذا الشكل في تاريخ أنبياء بني إسرائيل، مما يُعزز أن النبوءة تشير إلى نمط وحي جديد وفريد، يتحقق حصريًا في شخص محمد ﷺ.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة97) :

"الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه"، وهنا يظهر التهديد الإلهي لمن يرفض هذا النبي القادم، مما يؤكد خطورة الرسالة القادمة وأن قبولها واجب، أي أن قبول الرسالة ليس مجرد خيار، بل هو أمر

مرتبط بموقف الإنسان من الله أولًا، ومن النبي ﷺ ثانيًا، وكأن الله يعلن بشكل واضح أن مصير الإنسان متعلق بموقفه من هذا النبي الأخير.

سورة الأعراف، الآيات 155–157:

"وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ(155)

وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ(156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُم فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُم عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُم إِصْرَهُم وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ(157) "

"إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ(20) "
(سورة ال عمران).

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(85) (ال عمران)

نبوءة سفر إشعياء 29:12

"ثم يُدفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة، ويقال له: اقرأ هذا من فضلك، فيقول: لا أعرف القراءة".

New King James Version: Isaiah 29:12
Then the book is delivered to one who is illiterate, saying, "Read this, please." And he says, "I am not literate."

Legacy Standard Bible: Isaiah 29:12

Then the book will be given to the one who does not know how to read a book, saying, "Please read this." And he will say, "I do not know how to read a book."

هذه الآية تمثل نبوءة أخرى تُكمل ما بدأ في سفر التثنية من نبوءات بخاتم المرسلين، ففي حين وعد الله بأنه "سيضع كلامه في فم نبي جديد، فيكلمهم بكل ما يوصيه به (تثنية 18:18)، نجد هنا مشهدًا واضحًا لنزول وحي مكتوب يُسلَّم إلى رجل أُمّي، يُطلب منه أن يقرأ، فيرد أنه لا يعرف الكتابة.

وهذا يطابق تمامًا ما ورد في أولى لحظات الوحي عند نبي الإسلام محمد ﷺ، في غار حراء، حيث جاءه جبريل وقال له "اقرأ"، فقال: "ما أنا بقارئ"، أي لا أعرف القراءة. وقد ورد هذا الحدث في الحديث الصحيح المتواتر في الصحيحين مسلم والبخاري.

أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: (ما أنا بقارىء). قال:

"فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم}".

ولا يُعرف في تاريخ النبوة أي شخصية نبوية أُرسل إليها كتاب وهي أمّية بهذا المشهد الفريد إلا محمد ﷺ، فنبوءة التثنية 18 :نبي جديد، من غير بني إسرائيل (من الإخوة)، مثل موسى، يتلقى وحيًا لفظيًا مباشرًا يُوضع في فمه ويكلمهم بكل ما يوصيه الله به.

ونبوءة إشعياء 29 :الوحي يُسلَّم فيه الكتاب لشخص لا يعرف القراءة، ويُطلب منه أن يقرأ.

وهذا ما حدث بالضبط:

نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، من أبناء إسماعيل وليس من بني إسرائيل، يتلقى وحيًا مكتوبًا، يبدأ بالأمر "اقرأ".

(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ (2) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (3) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (4) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (5)) سورة العلق.

سفر التثنية 33:2

سفر التثنية 33:2 نبوءة المسيرة الثلاثية لأنبياء الوحي

النص :(**Deuteronomy 33:2 – NKJV**)

"The LORD came from Sinai, And dawned on them from Seir; He shone forth from Mount Paran, And He came with ten thousands of saints; From His right hand Came a fiery law for them."

الترجمة:

"فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وجاء مع عشرة آلاف قديس، ومن يمينه خرجت نار شريعة لهم".

الآية تصف ثلاث مراحل متتالية من مسيرة الوحي الإلهي للبشرية:

"جاء الرب من سيناء"

إشارة إلى موسى عليه السلام، الذي تلقى الوحي على جبل سيناء، وبدأت شريعة التوراة هناك، وهو أول من جاءهم بـ"نار الشريعة."

"وأشرق لهم من سعير"

"سعير" منطقة في أدوم جنوب فلسطين، ويقترن اسمها تقليديًا بسيدنا عيسى عليه السلام، الذي عاش هناك ونشر نور الإنجيل لبني إسرائيل. "أشرق" هنا تدل على نور روحي لكنه لم يكن "نار شريعة"، أي لم يأتِ بشريعة جديدة ناسخة.

"وتلألأ من جبل فاران"

بحسب سفر التكوين(21:21) ، سكن إسماعيل في برية فاران، وهي مكة المكرمة بلا خلاف تاريخي، والتلألؤ تعبير عن الوحي الأعظم، حيث نزل القرآن على محمد ﷺ في غار حراء، من قلب جبل فاران، وهو نور سماوي ظاهر، شديد القوة.

الدليل العددي: "وجاء مع عشرة آلاف قديس"

الكلمة العبرية الأصلية هي רִבָּבָה – "رِبَبَاه "وتعني حرفيًا "عشرة آلاف ."وقد تُرجمت في النسخ الإنجليزية بدقة إلى:

"Ten thousands of saints"

وهو تطابق مذهل مع ما حدث في فتح مكة، حيث روى ابن عباس رضي الله عنهما:

"خرج رسول الله ﷺ إلى مكة في عشرة آلاف من الصحابة".
(رواه البيهقي في "الدلائل" وابن كثير في "البداية والنهاية و الواقدي في "المغازي, وابن هشام في "السيرة النبوية", الطبري في "تاريخه)

أي أن الآية تتنبأ بدقة: بموقع الوحي: فاران = مكة، وبهوية الرسول: من نسل إسماعيل، وبعدد أتباعه عند النصر: عشرة آلاف من الصحابة

"ومن يمينه خرجت نار شريعة لهم"

هي إشارة إلى القرآن الكريم، الذي نزل كـ"نار" هادية، تحرق الباطل، وتفصل بين الحق والباطل، وتأتي بشريعة ناسخة شاملة، كما لم تفعل الإنجيل ولا التوراة من بعد موسى.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ، مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: 2–4]

سفر إشعياء 13:21–17

"وحي من جهة بلاد العرب،في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين، هاتوا ماءً لملاقاة العطشان، يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب..."

بلاد العرب : نبوءة صريحة في الكتاب المقدس تذكر العرب بالاسم.

أرض تيماء : منطقة شمال المدينة المنورة، تابعة لها جغرافيًا، وكانت موطنًا لليهود والعرب.

النص يصف زمنًا يأتي فيه هاربون (المهاجرون) من أمام الحرب والسيوف، ويستقبلهم أهل المنطقة بالماء والخبز (الأنصار).

هذا يُطابق تمامًا الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة، حين استقبل الأنصار النبي ﷺ وأصحابه بالمؤاخاة والمأوى.

ففي النص العبري، الفعل "وافوا الهارب بخبزه" له دلالة التحالف والإيواء، وهي إشارة رمزية للأنصار.

سفر حبقوق 3:3–4

"الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه."

تيمان هي منطقة تقع جنوب أدوم، قرب المدينة المنورة، أي أن المشهد يبدأ من المدينة المنورة، ثم يذكر فاران = مكة.

فالوحي بدأ من جبل النور في مكة (فاران) ثم انتقل وأُكمل في المدينة (تيمان)، حيث تأسست الدولة، ونزل التشريع المدني، وقاتل المسلمون دفاعًا عن الدين.

نبوءة النبي محمد ﷺ في نشيد الأنشاد (الإصحاح 5) (Song of Songs)

الإصحاح 5 من نشيد الأنشاد يُعد من أقدس المقاطع في الأدب العبري بحسب رأي الحاخامات، فقد ورد في التلمود " العالم كله لا يساوي يوماً كتب فيه نشيد الأنشاد" حيث ان النشيد يمثل وصفاً رمزياً لحبيب محبوب وبحسب التفسير اليهودي الحبيب هو المسيح المنتظر أو العلاقة الروحية الصوفية مع الله ، وفي التفسير المسيحي يفسرونه أباء الكنيسة بأنه عيسى ابن مريم والمؤمنون،حيث البنية الأدبية لنشيد الأنشاد (قصيدة حب عميقة، فيها انتظار، شوق، وظهور المنتظر) لكننا نجد اسم الرسول محمد حرفياً في النشيد وبعض أوصافه فيه:

بالنظر إلى النص العبري الأصلي، نجد الكلمة المفتاحية" :מַחֲמַדִּים(Mahamaddim) "، وهي صيغة جمع تعظيم لكلمة "מַחֲמַד(Mahamad) "، التي تتطابق لفظيًا واشتقاقيًا مع اسم النبي محمد ﷺ.فوفق قواعد اللغة العبرية، تُستخدم لاحقة الجمع "im–" للتعظيم، أي أن الاسم الجذري فيها هو: "محمد – מַחֲמַד"، مع إضافة لاحقة الجمع العبري ."im–" ففي العبرية التوراتية، غالبًا ما يُستخدم الجمع للتفخيم والتعظيم كما في:

Elohim : الله (وليس آلهة)، Adonim : السيد

فالقراءة "מַחֲמַדִּים" على أنها "محمد المعظم "أو "محمد الكريم "بصيغة تفخيمية، ولكنهم قاموا بترجمة اسم "محمد" من النص الأصلي بالعبرية الى النسخ الانجليزية ب"altogether lovely "

שיר השירים 5:16

חִכּוֹ מַמְתַקִּים וְכֻלּוֹ מַחֲמַדִּים זֶה דוֹדִי וְזֶה רֵעִי בְּנוֹת יְרוּשָׁלִָם:

الترجمة الحرفية الدقيقة:

فمه (كلامه) حلاوة (وصف الوحي الإلهي)، وكله "מַחֲמַדִּים ."(اسم محمد يعني المحمود والمحبوب أي كله صفات حميدة ومحبوبة) هذا حبيبي، وهذا خليلي يا بنات أورشليم.

الترجمة الصحية للإنجليزية كالتالي:

His mouth is sweetness itself; he is altogether "Mahmadim". This is my beloved, and this is my friend, O daughters of Jerusalem.

والنشيد يذكر بعض صفاته أيضاً:

النص العبري –نشيد الأنشاد 10:5–16

.10דּוֹדִי צַח וְאָדוֹם דָּגוּל מֵרְבָבָה:

.11רֹאשׁוֹ כֶּתֶם פָּז קְוֻצּוֹתָיו תַּלְתַּלִּים שְׁחֹרוֹת כָּעוֹרֵב:

.12עֵינָיו כְּיוֹנִים עַל־אֲפִיקֵי־מָיִם רֹחֲצוֹת בֶּחָלָב יֹשְׁבוֹת עַל־מִלֵּאת:

.13לְחָיָיו כַּעֲרוּגַת הַבֹּשֶׂם מִגְדְּלוֹת מֶרְקָחִים שִׂפְתוֹתָיו שׁוֹשַׁנִּים נֹטְפוֹת מוֹר עֹבֵר:

.14יָדָיו גְּלִילֵי זָהָב מְמֻלָּאִים בַּתַּרְשִׁישׁ מֵעָיו עֶשֶׁת שֵׁן מְעֻלֶּפֶת סַפִּירִים:

.15שׁוֹקָיו עַמּוּדֵי שֵׁשׁ מְיֻסָּדִים עַל־אַדְנֵי־פָז מַרְאֵהוּ כַּלְּבָנוֹן בָּחוּר כָּאֲרָזִים:

.16חִכּוֹ מַמְתַקִּים וְכֻלּוֹ מַחֲמַדִּים זֶה דוֹדִי וְזֶה רֵעִי בְּנוֹת יְרוּשָׁלָם:

الترجمة العربية للنص:

.10חֲבֵרִי צַח וְאָדוֹם, דָּגוּל מֵרְבָבָה

الترجمة:

"حبيبي أبيض وأحمر، بارزٌ بين ربوةٍ (عشرة آلاف)".

الشرح:

צַח וְאָדוֹם = أبيض مشرب بحمرة.

דָּגוּל = مميز، متقدم.

מֵרְבָבָה = من عشرة آلاف (ربوة) = 10,000).

الحديث النبوي:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

"كان رسول الله ﷺ أبيض مشربًا بحمرة".

(رواه الترمذي في الشمائل 7)

وفي حادثة فتح مكة، دخل ﷺ مكة ومعه عشرة آلاف من الصحابة وهو المقدَّم عليهم.

.11רֹאשׁוֹ כֶּתֶם פָּז, קְוֻצּוֹתָיו תַּלְתַּלִּים, שְׁחֹרוֹת כָּעוֹרֵב

الترجمة:

"رأسه كالذهب الإبريز، وشعره ملتفٌّ، أسود كالغُراب".

الحديث النبوي المطابق:

قال علي رضي الله عنه:

"كان رسول الله ﷺ شديد سواد الشعر، إذا وضع الطيب يرى كأن الطيب يخرج من جلده، شعره ليس بالجعد ولا بالسبط".

(رواه الترمذي في الشمائل)

وقال أنس بن مالك:

"كان شعر رسول الله ﷺ إلى نصف أذنه(".رواه البخاري)

12.עֵינָיו כְּיוֹנִים עַל אֲפִיקֵי מָיִם, רְחֲצוֹת בֶּחָלָב, יוֹשְׁבוֹת עַל מִלֵּאת

الترجمة:

"عيناه كحمام على جداول ماء، مغسولتان باللبن، جالستان في موضعهما".

الحديث النبوي المطابق:

قال علي رضي الله عنه:

"كان في عينيه دعج، أهدب الأشفار".

الدعج: شدة سواد العين، والأشفار: طول الرموش

(رواه الترمذي في الشمائل)

13.לְחָיו כְּעֲרוּגַת הַבֹּשֶׂם, מִגְדְּלוֹת מְרָקְחִים; שְׂפָתוֹ שׁוֹשַׁנִּים, נֹטְפוֹת מוֹר עוֹבֵר

الترجمة:

"خداه كحدائق الطيب، وشفته كزنابق تقطر مُرًّا سائلاً".

الحديث النبوي المطابق:

أحسن الناس ثغرًا، إذا ضحك كأنما يتلألأ نورًا"

رواه ابن سعد.

"كان حسن الشفتين، ضليع الفم"

رواه البيهقي في "دلائل النبوة."

"كان أحسنَ الناس وجهًا، وأحسنَهم خَلقًا... وكان أبيضَ مشربًا بحُمرة، واسعَ الفم، أهدبَ الأشفار، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سماه وعلاه البهاء".

رواه البخاري ومسلم في وصف النبي ﷺ من حديث البراء بن عازب

عن هند بن أبي هالة:

"سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان، كأن العرق في وجهه اللؤلؤ، ريحُه أطيب من ريح المسك".

رواه الترمذي في الشمائل

14. יָדָיו גְּלִילֵי זָהָב מְמֻלָּאִים בְּתַרְשִׁישׁ, מֵעָיו עֶשֶׁת שֵׁן מְעֻלָּפֶת סַפִּירִים

الترجمة:

"يداه حلقات من ذهب مرصّعة بالزبرجد، وبطنه عاج أبيض مغطّى بالياقوت الأزرق".

الحديث النبوي المطابق:

قال أنس:

"ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف رسول الله ﷺ".رواه البخاري ومسلم.

وفي حديث هند:

"بطنه وصدره سواء، أجرد (أي لا شعر على بطنه)، أبيض متماسك".الشمائل المحمدية.

وفي حديث البخاري: خصره صلى الله عليه وسلم كان له بياض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ربما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم: فيقول حدثنيه: أبيض الكشحين. الكشح: هو الخصر.

15. שׁוֹקָיו עַמּוּדֵי שֵׁשׁ מְיֻסָּדִים עַל אַדְנֵי פָז, מַרְאֵהוּ כַּלְּבָנוֹן בָּחוּר כָּאֲרָזִים

الترجمة:

"أرجله أعمدة قوية قائمة على قواعد من ذهب صافي، ومظهره كشباب لبنان، شامخ كالأرزّ، تمشي خطواته بسرعة وثبات".

وصفه في الأحاديث النبوية:

قال علي:

"إذا مشى كأنما ينحدر من صبب".

(أي يمشي بقوة وثبات وتناسق)

رواه الترمذي.

وقال البراء:

"ما رأيت أحدًا أحسن في مشيته من رسول الله ﷺ، كأن الأرض تطوى له".

.16חִכּוֹ מַמְתַקִּים, וְכֻלּוֹ מַחֲמַדִּים; זֶה דוֹדִי וְזֶה רֵעִי, בְּנוֹת יְרוּשָׁלָם

الترجمة:

"شفاهه حلاوة (كل ما ينطق به، كناية عن الوحي)، وكله محمّديم (صفات حميدة جميلة)، هذا حبيبي، وهذا خليلي يا نساء أورشليم".

الكلمة **מַחֲמַדִּים** (مَحَمَدِّيم) "-يم" صيغة تعظيم من "مَحَمَد" (المحمود، محبوب).

نبوءة "المعزي" في إنجيل يوحنا

كلمة "البارقليط" (**Paraclete**) أصلها يوناني: **παράκλητος – Paraklētos**، وقد تُرجمت في معظم نسخ الأناجيل إلى:

"المعزي"، أو "المساعد"، أو "المدافع"، أو "الشفيع"، أو "المؤيد" لكن الكلمة ظلت غامضة المعنى في السياق، خاصة حين نقرأ أقوال المسيح في إنجيل يوحنا، إذ يصرّح بوضوح أن "المعزي" لن يأتي إلا بعد رحيله هو، وانه سيأتي بعده، ويوضح بأنه لا يأتي ولن يأتي إلا إذا ذهب المسيح:

يوحنا **14:16**: "وسأطلب من الآب أن يعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد."

يوحنا **14:26**: "وأما المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكّركم بكل ما قلته لكم."

يوحنا **15:26**: "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله إليكم من الآب، روح الحق، فهو يشهد لي."

يوحنا **16:7**: "لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم."

يوحنا **16:13–14**: "ومتى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ... ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم."

هذه الصفات لا تنطبق على الروح القدس (جبريل عليه السلام) كما يزعم بعض المفسرين المسيحيين، بل تشير بوضوح إلى رسول بشري، للأسباب التالية:

المعزي يعلّمهم كل شيء ويُذكّرهم بأقوال المسيح (يوحنا 14:26).

يرشدهم إلى جميع الحق، ويُخبرهم بما هو آتٍ (يوحنا 16:13).

لا يتكلم من نفسه، بل بما يسمعه ينطق به (يوحنا 16:13)، وهذا يتطابق حرفيًا مع الوصف القرآني للوحي:"وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى" [النجم: 3–4]

المعزي ليست وصفًا عامًا للروح القدس ككيان سماوي، بل هي شخصية مميزة، ستأتي بعد المسيح لتكمل مهمته، أيضاً الروح القدس كان موجود مع يسوع منذ البداية: إنجيل لوقا 4:1 "وكان يسوع ممتلئًا من الروح القدس، فرجع من الأردن، وكان في البرية أربعين يومًا يُجَرَّب من إبليس" أي أن يسوع كان ممتلئًا بالروح القدس قبل بدء خدمته العلنية، أي أن الروح القدس رافقته وعملت فيه.

إنجيل يوحنا 1:32–34يوحنا المعمدان يشهد قائلاً: "ورأيت الروح نازلاً من السماء مثل حمامة، واقتام عليه، ولم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء قال لي: الذي سترى الروح نازلًا واقتام عليه هو الذي يعمد بالروح القدس".

إنجيل متى 3:16 "فلما اعتمد يسوع في الأردن، صعد فورًا من الماء، وإذا السماوات انفتحت له، ورأى روح الله نازلاً مثل حمامة واقتام عليه".

يوحنا 14:16 و16:7 :فالمسيح يوضح أن المعزي لن يأتي إلا بعد أن يذهب هو، أي بعد رحيله ورفع روحه، هذا يعني أن المعزي ليس روحًا عملت مع المسيح مسبقًا، بل شخصية لاحقة على خدمته الأرضية.

أيضاً كانوا بني إسرائيل ينتظرون نبياً، من هو "النبي" الذي كان بني إسرائيل ينتظرونه؟

وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟
فاعترف ولم ينكر، وأقرّ: إني لستُ أنا المسيح.
فسألوه: إذًا ماذا؟ أأنت إيليّا؟ فقال: لست أنا

فسألوه: أأنت النبي أنت؟ فأجاب: لا".

حيث كان بني إسرائيل بانتظار ثلاث شخصيات:

1. المسيح المنتظر (المسيّا)

2. إيليّا النبي (لأنه رُفع إلى السماء في العهد القديم)

3. "النبي" وهو ليس المسيح، ولا إيليّا، بل النبي الذي وُعد به في سفر التثنية 18:18:"أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك يا موسى، وأجعل كلامي في فمه"... كانوا ينتظرون النبي الأخير محمدًا ﷺ غير المسيح وإيليّا.

أيضاً يشير بعض الباحثين إلى أن الكلمة الأصلية قد تم تحريفها، وأنها لم تكن "بارقليط" (Parakletos) بل كانت "بيرقليطوس" أو "فارقليطوس" (Periklutos)، وهي تعني "الأحمد"، وهو ما يتطابق مع البشارة الواضحة في القرآن:

"وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم، مصدّقًا لما بين يديّ من التوراة، ومبشّرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد" [سورة الصف: 6]

إشعياء 42:1–4:

"هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرّت به نفسي. وضعت روحي عليه، فيُخرج الحقّ للأمم.لا يصيح ولا يرفع صوته، ولا يُسمع في الشارع صوته.قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ.يخرج الحقّ بالأمانة. لا يكلّ ولا ينكسر حتى يضع الحقّ في الأرض، وتنتظر الجزائر (الجزر) شريعته".

يتحدث عن "عبد" يرسله الله، ويدعوه بـ"المختار" ويقول وضعت روحي عليه"المقصود: وحي الله، و تأييده بالروح (جبريل).

"نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ "الشعراء: 193–194]

"فيُخرج الحق للأمم"

النبي محمد ﷺ هو الذي جاء بالوحي الإلهي إلى جميع الأمم وليس إلى بني إسرائيل فقط.

"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "الأنبياء: 107]
"قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا "الأعراف: 158

بينما عيسى عليه السلام قال":لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة "متى 15:24

"لا يصيح ولا يرفع صوته، ولا يُسمع في الشارع صوته"

قال الله تبارك وتعالى في سورة القلم :" نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ(1) مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ(2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ(3) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ(4)"

لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: "إن خياركم أحاسنكم أخلاقًا"
رواه البخاري ومسلم

وكان رسول الله ﷺ إذا سمع صياح الناس رفع يديه وقال: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون".

وكان ﷺ لا يَصخبُ في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح". رواه الترمذي

"قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ. بالحق يخرج الحق".

" أي أن هذا النبي لا يعاقب الضعفاء، بل يرحمهم ويصبر عليهم حتى تكتمل دعوتهم.

"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"
"لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم "سورة التوبة: 128

خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ قط، ولا قال لشيء صنعته: لِمَ صنعتَه؟ ولا لشيء تركتُه: لِمَ تركتَه؟ وكان من أحسن الناس خُلقًا. رواه البخاري ومسلم

"يُخرج الحق بالأمانة" أي أنه نزيه أمين، لا يُحرّف، ولا يُخفي، ولا يُساوم، بل يُبلّغ الحق كاملًا.

"ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين "الحاقة: 44–46

"لا يكلّ ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض"

تعبير عن قوة العزيمة والإصرار، وهو ما تحقّق فعليًا مع النبي محمد ﷺ الذي استمر في دعوته 23 عامًا، وتحمل أصناف الأذى حتى بلغ رسالة الإسلام، وأرسى دعائم الشريعة، وحقق وعد الله:

"هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله "التوبة: 33

"وتنتظر الجزائر (الجزر) شريعته"

أي أن شريعته ستنتشر في أماكن نائية وجزر بعيدة، كما حدث فعلًا بانتشار الإسلام من الجزيرة العربية إلى أندونيسيا، الملايو، أفريقيا، أوروبا وغيرها.

إشعياء 42:11 :

"لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِيُرَنِّمْ سُكَّانُ سَالِعَ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا".

"قيدار "هو ابن إسماعيل كما ورد في سفر التكوين 25:13 : "وهذه أسماء أبناء إسماعيل، حسب أسمائهم وأجيالهم: نبيوث أول من وُلِد من إسماعيل، ثم قيدار، وأدبائيل، ومبسام".

قيدار تحديدًا يُعرف بأنه الجد الذي نُسبت إليه قبائل شبه الجزيرة العربية التي جاء منها النبي محمد ﷺ،وهو رمز لقبائل العرب العدنانيين، وسكن نسله شمال الجزيرة العربية ومنها مكة وما حولها، ويشير النص إلى أن الحق سيصل إلى ديار قيدار، أي العرب، ثم يقول" :من رؤوس الجبال ليهتفوا"، وهو وصف دقيق للتكبير والأذان الذي يُرفع من فوق الجبال في الجزيرة العربية.

نص الآية (إشعياء 42:17):

"يَرْتَدُّونَ إِلَى الْوَرَاءِ. يَخْزَوْنَ خَجِلِينَ الْوَاثِقُونَ بِالْمَنْحُوتَاتِ، الْقَائِلُونَ لِلْمَسْبُوكَاتِ: أَنْتُنَّ آلِهَتُنَا".

يرتدّون إلى الوراء خزياً: أي يُهزمون ويتراجعون، الواثقون بالمنحوتات :"أي عُبّاد الأصنام والتماثيل،أنتنَّ آلهتنا :" أي الذين يقولون للأصنام إنها آلهة، هذه الآية تُنهي الوصف العظيم للعبد الذي يرسله الله (في الآيات السابقة) بأنه سيُخزي الوثنيين، ويحطّم عقيدتهم.

فقد هدم الرسول الأصنام في مكة بعد الفتح، وكان حول الكعبة 360 صنمًا، فجعل يطعنها بعصاه وهو يقول:

"دخل النبي ﷺ مكة، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها بيده الشريفة وبعصا في يده مردداً آيات التوحيد يقول: {جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا}" (صحيح البخاري: 2478).

(وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا) (الإسراء: 81) وفعليًّا، لم يترك صنمًا في الجزيرة إلا أُبيد، وانتقل العرب من عبادة التماثيل إلى التوحيد الخالص.

سفر التكوين 49:10 :"لا يزول صولجان (שֵׁבֶט) من يهوذا، ولا مشرّع من بين رجليه، حتى يأتي شيلوه، وله يكون خضوع الشعوب".

الصولجان يُقصد به رمز الحكم والسلطة، أي أن الحكم سيبقى في سبط يهوذا حتى مجيء "شيلوه." المفسرون اختلفوا فيها:

بعض الترجمات المسيحية تجعلها "الذي له الحكم "أو "صاحب السلطان." بينما رأى اليهود أنها تشير إلى المسيا المنتظر، مع أن نصوصهم أنفسها تشترط أن يكون المسيا من نسل يهوذا!

كانت مملكة يهوذا قائمة إلى عهد هيرودس الكبير، ثم خضعت لسيطرة الرومان، ودُمِّرت أورشليم والهيكل سنة 70م، وطُرد اليهود نهائيًا سنة 135م بعد ثورة باركوخبا، فلم يبق لهم ملك مستقل ولا صولجان، ويشير الواقع التاريخي إلى أن الوعد لم يتحقق في نسل يهوذا، بل تحقق في أمة أخرى اجتمعت لها الشعوب، فقد جاء "شيلوه" الموعود، الذي له خضوع الشعوب، وهو خاتم المرسلين محمد ﷺ من نسل إسماعيل، جاء ببركة عالمية اجتمعت عليها الشعوب العرب وغير العرب، كما وعده الرب نبيه إبراهيم عليه السلام في سفر التكوين 22:17 في قوله: "أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه."

إشعياء 49:6:

" قد جعلتك نوراً للأمم، لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض"

أخلاق وفضائل خاتم المرسلين محمد ﷺ

صدق الرسول:

كان لقبه بالصادق الأمين في مكة قبل النبوة

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾(سورة الحاقة، الآيات 44–47).

عندما سمع الإمبراطور الروماني هرقل بظهور نبي في جزيرة العرب، أرسل في طلب أحد زعماء مكة ليسأله عن هذا النبي الجديد. وكان ذلك الزعيم هو "أبو سفيان" الذي لم يكن قد آمن بعد وكان من المعادين للإسلام وفي في حرب متواصلة مع الرسول .. فوقف بين يدي هرقل، ودار بينهما هذا الحوار، نقلاً عن لسان أبو سفيان نفسه:

قال: ادنوه مني. قال: فأجلسني بين يديه، ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي، وقال: إن كذب فردوا عليه، قال أبو سفيان: فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردوا علي، ولكني كنت امرءا سيدا أتكرم وأستحى من الكذب، وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عني، ثم يتحدثونه عنى بمكة فلم أكذبه، فقال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم؟ فزهدت له شأنه، وصغرت له أمره، فوالله ما التفت إلى ذلك مني، وقال أخبرني عما أسألك من أمره.

فقلت: سلني عما بدا لك؟ قال: كيف نسبه فيكم؟ فقلت: محضا من أوسطنا نسبا.

قال: فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به؟ فقلت: لا.

قال: فأخبرني هل كان له ملك فأسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه؟ فقلت: لا.

قال: فأخبرني عن أتباعه من هم؟ فقلت: الأحداث، والضعفاء، والمساكين، فأما أشرافهم وذووا الأنساب منهم فلا.

قال: فأخبرني عمن صحبه؛ أيحبه ويكرمه، أم يقليه ويفارقه؟ قلت: ما صحبه رجل ففارقه.

قال: فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه؟ فقلت: سجال يدال علينا، وندال عليه.

قال: فأخبرنى هل يغدر، فلم أجد شيئا أغره به إلا هي؟ قلت: لا، ونحن منه فى مدة، ولا نأمن غدره فيها، فوالله ما التفت إليها مني.

قال: فأعاد على الحديث. قال: زعمت أنه من أمحضكم نسبا، وكذلك يأخذ الله النبى لا يأخذه إلا من أوسط قومه.وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به، فقلت لا، وسألتك هل كان له ملك فأسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه، فقلت لا، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء، وكذلك أتباع الأنبياء فى كل زمان.

وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويكرمه، أم يقليه ويفارقه، فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقه، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلبا فتخرج منه.

وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال، يدال عليكم وتدالون عليه، وكذلك يكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة.

وسألتك هل يغدر، فزعمت أنه لا يغدر، فلئن كنت صدقتنى ليغلبن على ما تحت قدمى هاتين، ولوددت أنى عنده فأغسل عن قدميه. ثم قال: الحق بشأنك.

قال عبدالله بن سلام وهو عالم يهودي من كبار أحبار اليهود في المدينة وقد أسلم مثلما أسلم كثيرون ، قال:

"فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب" (رواه الترمذي)

أبو جهل: من "أبو الحكم" إلى "أبو جهل"

في التاريخ الإسلامي، كان عمرو بن هشام يُلقب بـ"أبو الحكم" قبل بعثة النبي محمد ﷺ، حيث كان يُعتبر من حكماء قريش ومرجعية في خصوماتهم، لكن بعد أن ظهرت رسالة الإسلام، عارض الدعوة بشدة حتى لقّبه النبي ﷺ بـ"أبو جهل"، دلالة على جهله الروحي وتعصبه أمام تحدي دعوة الله، نبوءة سفر إشعياء 29:14 تتوافق مع هذا التحول، حيث يقول النص:

سفر إشعياء 29:14:"لذلك ها أنا أعود لأصنع عجبًا بهذا الشعب، عجبًا وعجيبًا، فتباد حكمة حكمائه، وتختفي فطنة فطنائه".

فالآية تصف زوال حكمة الحكماء وفطنة الفطناء أمام أمر الله العجيب. وقد تحقق هذا حين جاء الوحي على النبي الأمي ﷺ، بكتاب معجز تحدّى به الفصحاء والبلغاء فعجزوا عن الإتيان بسورة مثله،كما قال الله تبارك وتعالى في سورة يونس (الآية 38):

"أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين".

وظهر بذلك عجز المعادين للدعوة وعلى رأسهم "أبي الحكم" الذي صار "أبا جهل" في مواجهة الرسالة، ومع عجزه عن التحدي وعلمه بأن الدعوة من الله استمر أبو جهل بغباء بمعاداة الإسلام حيث تحولت حكمته الى جهالة، حرض القبائل كلها على عداء النبي ﷺ، وحاول منع انتشار الدعوة بعدة محاولات فاشلة، حتى وصل إلى درجة التخطيط لاغتيال الرسول ﷺ. كان في عناده وكفره وشراسة عدائه يشبه فرعون موسى، إذ كان يعذب المؤمنين من قبيلته ويصد الناس عن عبادة الله، لذا وصفه النبي ﷺ" :أبو جهل فرعون هذه الأمة".

ونجد اعتراف أبو جهل بصدق النبي ﷺ رغم عدائه

"قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34) "(سورة الأنعام).

حيث لم يكذب أبو جهل ولا المعادين للاسلام الرسول قط، بل كانوا يعاندون ويجحدون بنعمة الله، ويظهر ذلك في أقوال أبي جهل نفسه، كما روى المسور بن مخرمة خاله عن أبيه عمرو بن هشام:

"يا خالي، هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟"
فقال أبو جهل: "يابن أختي، والله لقد كان محمد فينا وهو شاب يدعى الأمين، فما جربنا عليه كذبا قط".
قال المسور: "فما لكم لا تتبعونه؟"
فقال أبو جهل: "يابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، أطعموا فأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركب كنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي، فمتى ندرك مثل هذه".

وفي حادثة أخرى قبل بدر، قال الأخنس بن شريق لأبي جهل: "يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس ها هنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا"!
فأجاب أبو جهل: "ويحك! والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش".

شهادة كفار قريش على صدق النبي ﷺ

ونجد كفار قريش يشهدون للنبي على صدقه ﷺ ،فعندما نزلت الآية:

"وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ" سورة الشعراء.

خرج رسول الله ﷺ وصعد الصفا وناشد أهل مكة، فقال لهم:

"يا أهل مكة!" واجتمعوا إليه، فسألهم:

"أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟"

فأجابوه: نعم "ما جربنا عليك كذبًا".

فقال لهم: "فإني نذير لكم بين يد عذاب شديد".

شهادة يهود المدينة :

كانت صفية رضي الله عنها من زعماء يهود المدينة، وقد وردت بها نبوءة في المزمور 45 بالكتاب المقدس:

"تقلّد سيفك على فخذك أيها الجبار" تشير الآية إلى النبي ﷺ الذي جاء بالسيف لنصرة الحق.

"بنات ملوك بين حظياتك، جعلت الملكة عن يمينك" – تتحدث هذه الآية عن صفية بنت حيي رضي الله عنها، فقد كانت من سيد بني النضير.

"اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك، وانسي شعبك وبيت أبيك" – يطلب المزمور من العروس أن تنسى بيت أبيها وشعبها، ويتعلق هذا بصفية لأنها تركت قومها اليهود. وقد قالت لرسول الله ﷺ، عندما رأى على وجهها أثر صفعة، فسألها عنها، فأجابت أنها رأت في الرؤيا أن القمر وقع في حجرها، وذكرت ذلك لزوجها، فلطم وجهها قائلاً: "إنك لتريدين أن تكوني زوجة لنبي العرب". وظل الأثر في وجهها إلى أن تزوّجها رسول الله ﷺ.

"فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له" – فسألها رسول الله ﷺ وقال لها: "اختاري؛ فإن اخترت الإسلام تزوجتك، وإن اخترت اليهودية أعتقتك فتلحقي بقومك". فقالت: "يا رسول الله، لقد

هويت الإسلام وصدّقت بك قبل أن تدعوني إلى رحلك، وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ. خيّرتني بين الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إليّ من العتق وأن أرجع إلى قومي."

"يكون لك بنون عوضًا عن آبائك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض، أذكر اسمك في كل دور فدور، من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد" – فقد أصبحت صفية رضي الله عنها أمًا للمؤمنين وأبدلها الله خيرًا من قومها. والذكر هنا إشارة لدوام ذكر النبي ﷺ وزوجاته وآل بيته أجمعين.

وقد كان والدها وقومها يكنون العداء للنبي ﷺ فقد روت صفية نفسها عن عداوة والدها بالذات لرسول الله ﷺ حيث قالت: كنت أحب ولد ابي اليه، والى عمي ابي ياسر لم القهما قط مع ولد لهما الا اخذاني دونه، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه ابي، حيي بن اخطب، وعمي ابو ياسر بن اخطب، مغلصين. فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. فاتا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوى. فهششت اليهما كما كنت اصنع، فوالله ما التفت الي واحد منهما، مع ما بهما من الغم. وسمعت عمي ابا ياسر، وهو يقول لابي، حيي بن اخطب: اه هو هو؟ قال: نعم والله: قال: اتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت".

"لقد عادوه لأنهم كانوا يترقبون خروج النبي الموعود من نسل بني إسرائيل، فلم يرضوا أن يكون من العرب من نسل بني إسماعيل".. ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 89]

عرض زعماء قريش ، الملك والمال والسلطة على الرسول :

وبعد أن بدأ النبي محمد ﷺ دعوته إلى التوحيد في مكة، واجه معارضة شديدة من قريش، خاصة من زعمائها الذين كانوا يخشون فقدان مكانتهم وتأثيرهم بسبب دعوته التي تدعو إلى ترك عبادة الأصنام وإلغاء التفرقة الطبقية القبلية.

لذلك، اجتمعت قريش وقررت محاولة إغراء النبي ﷺ بالمال والسلطة، وكانت الفكرة أن يدفعوا له أموالًا كثيرة، ويمنحوه مكانة ملكية على قبائلهم مقابل أن يتوقف عن دعوته ويكفّ عن نشر الإسلام.

ولكن النبي ﷺ رفض كل ذلك رفضًا قاطعًا، وأظهر تمسكه التام بأمر الله، فقال:
"لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه".
وأكد ذلك لهم وقال ﷺ:لو عرضوا عليّ الأرض كلها ذهبًا لما رضيت أن أُخالف أمر ربي".

زهده في الدنيا عليه الصلاة والسلام

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد الأمة وحاكمها، يتولى مسؤولية إدارة شؤون المسلمين وإدارة وتنظيم موارد الدولة المالية، ويجسّد في سيرته نموذجًا فريدًا للقيادة المسؤولة والزهد الأخلاقي في آن واحد، فقد كان يوزع العطاء بسخاء وعدل على الفقراء والمحتاجين من أموال الزكاة والغنائم، ورغم عظم هذه المسؤوليات وما يرافقها من قوة ونفوذ، اختار الزهد بإرادته الحرة، وابتعد عن كل ما يُشبه الترف أو التبذير، مؤكدًا أن الرفعة عند الله بالتقوى والتواضع والرحمة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾".

قال رسول الله ﷺ:

"الدنيا دار ممر لا دار مقر، فاعملوا لما بعدها".رواه النسائي

كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذ من الدنيا إلا ما يقيم أَوَدَهُ، لا يجاوز حدَّ الكفاف، وكان صلى الله عليه وسلم دائمًا ما يدعو ربه فيقول: ((اللهم اجعل رزقَ آل محمد قوتًا))، أي ما يسد الجوع أو الحاجة الأساسية للمعيشة فقط .

عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على النبي وهو في غرفة كأنها بيت حمام، وهو نائم على حصير (وكان الحصير يُنسَج من ورق النخيل، كانت أعواد الحصير وخيوطه مؤثرةً في جنبه صلى الله عليه وسلم) قد أثر بجنبه فبكيت، فقال: ما يبكيك يا عبد الله؟ قلت: يا رسول الله، كسرى وقيصر يطئون على الخز والديباج والحرير، وأنت نائم على هذا الحصير قد أثر بجنبك! قال: «فلا تبك يا عبد الله فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة وما أنا والدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كمثل راكب سار في يوم صائف أي: يوم حار فاستظل تحت شجرة ساعةً من نهار، ثم سار وتركها.

عن أنس رضي الله عنه قال:

كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا، وكان أكثر ما يملكه رداءً وبردة، وكان يصنع بيده، ويأكل مما يقع بين يديه.

رواه البخاري ومسلم

عن عَائِشَةَ رضي الله عَنْهَا قالت: (مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ) رواه البخاري ومسلم.

وقالت رضي الله عنها: (لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ) صحيح مسلم.

وقال عمرو بن الحارث رضي الله عنه : (مَا تَرَكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلاَّ سِلاَحَهُ وَبَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ، وَأَرْضًا تَرَكَهَا صَدَقَةً) رواه البخاري.

خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

أثنى الله سبحانه وتعالى عليه بما لم يثن على نبي من أنبيائه، فقال تعالى:
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، قالت:
(كان خلقه القرآن، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواهي، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها والبعد عن كل خلق ذمه القرآن) صحيح مسلم.

مغفرته وعفوه

حادثة الطائف

عندما اشتد أذى أهل مكة على النبي ﷺ، قرر أن يتوجه إلى الطائف يدعو أهلها إلى الإسلام، بدأ بدعوة سادات القوم الذين ينتهي إليهم الأمر، فكلمهم عن الإسلام ودعاهم إلى الله، فردوا عليه رداً قاسياً، وقالوا له: اخرج من بلادنا، ولم يكتفوا بهذا الأمر، بل أغروا به سفاءهم وعبيدهم فتبعوه يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة، فأصيب عليه الصلاة السلام في قدميه حتى سالت منها الدماء، فحشد أهل الطائف من شبابهم وطاردوه في أزقتها، يرموه بالحجارة حتى نزفت قدماه، رغم كل هذا الألم، ظل النبي ﷺ يدعو لهم بالهداية والرحمة، ولم يرد عليهم بسوء، وفي تلك اللحظة العصيبة، جاءه جبريل عليه السلام يعرض عليه أن يأمر بإطباق جبلين عظيمين على أهل الطائف عقابًا لهم على ظلمهم، لكن النبي ﷺ رفض قائلاً: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحده لا يشرك به شيئًا".

فتح مكة

على مدار سنوات طويلة، تعرض النبي محمد ﷺ في مكة إلى أشد أنواع الظلم والإيذاء من قومه، طُرد من دياره، وتآمر عليه أعداؤه من قريش وحاربوه بكل الوسائل لمنع دعوته، وبعد سنوات من الحرب وبعد أن نقضت قريش عهد الحُديبية وخالفت الاتفاقات، دخل الرسول مكة فاتحاً ومعه عشرة آلاف رجل صحابي لتحريرها من الظلم والفساد، دخلوا مكة بصمت وتنظيم، متجنبين القتال إلا لمن بادرهم حسب أوامر الرسول، واستجاب كثير من أهل مكة للدعوة، ففتح الله عليهم أبواب المدينة.ثم دخل النبي ﷺ الكعبة، وطهرها من الأصنام، وحررها لعبادة الله وحده، وأعلن النبي ﷺ العفو العام عن أهل مكة، وقال لهم: 'اذهبوا فأنتم الطلقاء' أي أطلق سراحكم من كل ما كان بيننا من عداء وأذى، فلا يُقصد الانتقام أو العقاب، كان هذا العفو يشمل جميع من أساء إليه أو قاتله سابقًا، فلم يأمر النبي ﷺ بالثأر لأصحابه أو لنفسه، بل غفر للجميع.وأمر أصحابه بأن يسيروا على نهجه، فلا يظلموا أحدًا، ولا يأخذوا حقًا بغير حق،هذه الواقعة تظهر أعظم صفات النبي ﷺ؛ الرحمة والصفح والسماحة، التي جعلته يعفو عن أعدائه السابقين ويفتح لهم باب الهداية وقال لهم: "مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ :قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"

تواضعه ﷺ:

سئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟
قالت: كان بشراً من البشر، يفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخيط ثوبه، ويخدم نفسه، ويخصف نعله، ويعمل ما تعمل الرجال في بيوتهم، ويكون في مهنة أهله، يعني خدمة أهله، فإذا سمع المؤذن خرج إلى الصلاة.

سئل أنس بن مالك عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:
كان يلبس الصوف، ويركب الحمار، ويجلس على الأرض، ويعتقل العنز، ويحلبها، ويأكل على الأرض، ويقول: إنما أنا عبد، أجلس كما يجلس العبد.

قال صلى الله عليه وسلم:
"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله".

كان صلى الله عليه وسلم يحذر من الكبر أيما تحذير فقال:
(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) رواه مسلم.

رحمته، صلى الله عليه وسلم

قال صلى الله عليه وسلم:

(هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم) رواه البخاري.

عن أنس رضي الله عنه قال:

"خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا" رواه الشيخان وأبو داود والترمذي.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تعرش فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فجعها هذه بولدها ردوا ولدها إليها.

وقال صلى الله عليه وسلم في أهل الجنة الذين أخبر عنهم بقوله:

(أهل الجنة ثلاثة وذكر منهم ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم) رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم في فضل الرحمة:

(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه الترمذي .

وكان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوتهم دعوة الحر والعبد والغني والفقير، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

كان النبي يقبل الحسن بن علي بن أبي طالب ابن بنته، فقال له الأقرع بن حابس:

عندي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً!

فقال النبي:

من لا يرحم لا يرحم، وفي لفظ: قال له الأقرع بن حابس:

إن لي عشرة ما قبلت أحداً!

قال: أأملك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟! فالمؤمن يرحم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَه مَه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(لا تزرموه، دعوه)، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له:

إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن، فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه.

تصرف الأعرابي كان صادماً، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بعنف، بل بالهدوء والتعليم والرحمة.

كرمه صلى الله عليه وسلم

أتاه صلى الله عليه وسلم رجل فسأله، فأعطاه غنماً سدت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه وقال:

أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة.

وحمل إليه صلى الله عليه وسلم تسعون ألف درهم، فوضعها على حصير، ثم قام فقسمها فما رد سائل حتى فرغ منها.

حياؤه صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال وفيه:

((وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء)) أخرجه البخاري

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال:

((كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها)) أخرجه البخاري

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان.

شجاعته صلى الله عليه وسلم

وعن علي رضي الله عنه قال:

"لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ (أي نحتمي) بالنبي عليه السلام وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً."

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهًا، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس.

ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس من قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، –وفي رواية–: وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس عري لأبي طلحة، في عنقه السيف، وهو يقول:

لن تُراعوا أي لا تخافوا.

نبوءات ومعجزات خاتم الرسل محمد ﷺ

القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة للنبي ﷺ؛ كلام الله الذي تنزّل بالحق، يُعتبر القرآن الكريم المعجزة الكبرى للنبي ﷺ، فهو كلام الله المنزل، معجزة بلاغية وتشريعية خالدة تصلح أحوال البشر إلى يوم القيامة، على عكس معجزات سائر الأنبياء الحسية اللحظية التي ظهرت في زمانهم فقط. تحدّى به الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا وسيعجزون. وعلى خلاف المعجزات الحسية التي تزول بانقضاء زمنها، يبقى القرآن شاهدًا على صدق الرسالة، يجد فيه كل جيل برهان إعجازه في بيانه، وتشريعه، وأخباره، وحقائقه التي تكتشف مع تقدم العلم.

شق القمر:

قال الله تعالى في القرآن :﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ سورة القمر، وقد ورد في السنة الكثير من الأحاديث الصحيحة منها

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ الْقمر شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن القمر انْشَقَّ عَلَى زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لقد شاهد الناس هذه المعجزة في أنحاء الجزيرة العربية، فإن أهل مكة لم يصدقوا وقالوا: سحرنا محمد ﷺ، ثم استدركوا قائلين: انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمد ﷺ لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم وفي اليوم التالي سألوا من وفد إليهم من خارج مكة فأخبروهم أنهم قد رأوه.

وقد شاهد الناس انشقاقه خارج الجزيرة العربية فمن الشواهد الخارجية غير الإسلامية:

المخطوطات الفارسية:أبرزها :مخطوطة "(**Falnameh**) " تحتوي على توثيق ورسم لرجل يشير إلى قمر منقسم في السماء. ويُوحي المشهد بتوثيق بصري لحدث تاريخي عظيم مرتبط بالقمر، وقد ذكر فيها أن محمد ﷺ شق القمر، وذلك ضمن الرسومات والتوثيق البصري للأحداث المتعلقة بالأنبياء في المخطوطة الفارسية.

مخطوطة مدريد **Codex Madrid**: محفوظة في المكتبة الوطنية الإسبانية في مدريد، وتحتوي هذه المخطوطة على تفاصيل حادثة انشقاق القمر، وتعد ايضاً من الشواهد التاريخية على معجزة انشقاق القمر الحسية.

شفائه المرضى

عن عبد الله بن عتيك رضي الله عنه حينما أرسله النبي – صلى الله عليه وسلم – لقتل أبي رافع اليهودي، فانكسرت ساقه أثناء تلك المهمة، فطلب منه النبي، صلى الله عليه وسلم أن يبسط قدمه، فمسح عليها، فجبر الكسر الذي أصابه واستطاع أن يمشي عليها من لحظته.

وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه أنه قاتل يوم أحد، فأصابه سهمٌ أخرج إحدى عينيه من مكانها، فسعى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحملها في يده، فأخذها صلى الله عليه وسلم وأعادها إلى موضعها ودعا له، فعادت إلى طبيعتها، وكانت أجمل عينيه وأقواهما إبصارًا.

عن السائب بن يزيد رضي الله عنه كان يشكو من وجع، فمسح النبي – صلى الله عليه وسلم – على رأسه ودعا له بالبركة، ثم توضَّأ فشرب السائب من وضوئه، فزال عنه الألم.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه مرض مرضًا شديدًا ألزَمه الفراش حتى لم يعد يميز من حوله، فزاره النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ودعا عليه الصلاة والسلام بماء فتوضأ منه ثم رشَّ عليه، فأفاق من مرضه.

الإسراء والمعراج : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ}

تأتي حادثة الإسراء والمعراج كإحدى أعظم معجزات النبي ﷺ بعد نزول القرآن الكريم، لأنها تتضمن تجاوزًا لقوانين الفيزياء والزمن إذ حمل من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به السماوات العُلا حتى بلغ سدرة المنتهى، في رحلة خرقت قوانين الزمان والمكان وتجاوزت حدود ما يتصوره العقل البشري، هناك، رأى النبي ﷺ من آيات ربه الكبرى، واطّلع على الغيب، وشاهد منازل أهل الجنة ومصائر أهل النار، وجمعه الله بالأنبياء جميعًا فصلّى بهم إمامًا، في مشهد يختزل وحدة رسالة السماء عبر العصور.

تكثير الطعام والشراب:

يوجد العديد من الأحاديث والروايات التاريخية الموثقة، وفي مرات كثيرة يصعب إحصاؤها، حيث بارك النبي ﷺ في الطعام أو الماء، فزاد بطريقة خارقة للعادة، حتى يكفي الجميع ويزيد. وقد وردت هذه الأحداث في مناسبات متعددة، مثل الغزوات والسفر الطويل، لتظهر رحمة النبي ﷺ بالمسلمين وحرصه على تلبية حاجاتهم، كما تعكس قدرة الله على البركة في القليل، وتحقيق الوفرة ببركة الدعاء والنبوّة.

سماعه لأهل القبور:

عن أنس بن مالك قال:" بينما الرسول محمد ﷺ وبلال يمشيان بالبقيع فقال الرسول محمد ﷺ :يا بلال تسمع ما أسمع؟ قال: لا والله ما أسمعه قال: ألا تسمع أهل القبور يعذبون" .

وعن أنس أن الرسول محمد ﷺ قال ليلة بدر: " هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً ووضع يده على الأرض، هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً ووضع يده على الأرض، فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود، جعلوا يُصرعون عليها، ثم أُلقوا في القليب وجاء الرسول محمد) ﷺ (فقال: يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعد الله حقاً؟ قالوا: يا رسول الله تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟! فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يردوا عليّ" .

نبع الماء من بين أصابعه:

روى الصحابة أن النبي ﷺ كان قادرًا بإذن الله أن ينبع الماء من بين أصابعه عند الحاجة، سواء لشربه هو وأصحابه أو للوضوء، ومنها:

عن أنس بن مالك أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس وضوءًا فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء في إناء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده، ثم أمر الناس يتوضئون منه، قال أنس: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم.

وعن عبد الله قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقل الماء فقال : "اطلبوا فضلة من ماء «فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال" :حيّ على الطهور المبارك، والبركة من الله «فلقد رأيت الماء ينبع بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

وفي حادثة الجفنة قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه:

"فأتينا العسكر، فقال رسول الله ﷺ: يا جابر، ناد بوضوء، فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ فقال: اذهب فأتني به، فأتيته به، فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويغمزه بيديه، ثم أعطانيه، فقال: يا جابر، ناد من كان

له حاجة بماء، فأتوا الناس فاستقوا حتى رووا، قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى"

فهذه الحوادث تُظهر قدرة الله سبحانه وتعالى على إمداد عباده بما يحتاجون، وتُعد من دلائل نبوة النبي ﷺ ومعجزاته.

معجزات النبي الحسية: حديث الحيوان والجماد:

هناك معجزات حسية وقعت للنبي ﷺ، من أبرزها ما حدث مع جذع النخلة الذي كان يستخدمه النبي ﷺ ليخطب منه لصلاة الجمعة. يُروى أن الجذع قد بكى وأظهر حزناً وحنيناً لفراق النبي ﷺ عندما انتقل إلى منبر جديد، حتى كادت النخلة تنشق. فعندئذ نزل النبي ﷺ وضمها إليه، فجعلت تصدر أنين الصبي حتى سكنت.والعلم والدراسات الحديثة تؤكد أن النباتات تمتلك وعيًا تفاعليًا، ولديها آليات استشعار وتفاعل مع البيئة المحيطة بها، فكيف إذا تعلق الأمر بنبي كريم مُرسل من الله، تكون النفوس والكيانات حوله مشمولة ببركته وتأثيره.

دخل النبي ﷺ يومًا حائطًا من حيطان الأنصار، فإذا بجمل قد أتى فجَرجر، وذرفت عيناه، قال بَهز وعفّان: فلمّا رأى النبي ﷺ حَنَّ وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سراته وذِفراه، فسكن، فقال" :من صاحب الجمل؟ " فجاء فتى من الأنصار، فقال" :هو لي يا رسول الله"، فقال النبي ﷺ" :أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله، إنه شكا إليّ أنك تجيعُه وتدئبُه." وكذلك شكوى ناقة أخرى من كثرة العمل وقلة العلف.

ومن معجزاته ﷺ أن شجرة في إحدى شعاب مكة تحركت نحوه حتى وقفت بين يديه ثم عادت إلى مكانها، وأن الحصى كان يسبح في كفه الشريف، وأنه كان يعرف حجراً في مكة يسلم عليه قبل البعثة، كما شهد الصحابة تسبيح الطعام وهو يُؤكل.

بل وشهدت السماوات والأرض له بالفضل، فقد ظللته الغمامة في سفره، ودنت منه الشجرة تطيعه، وبكت له الدواب والجمادات حباً وإجلالاً.

حماية الملائكة للنبي ﷺ

كما قال عزّ وجلّ" :والله يعصمك من الناس"، ومن حفظه لنبيه أن سخر له من الملائكة من تحميه وتحرسه من كل أذى .وقد ظهرت هذه الحماية في مواقف متعددة، حيث كانت الملائكة تحرس النبي ﷺ وتحميه من الأذى سواء في غزواته، أو أثناء سفره، أو حتى في حياته اليومية.

النبوءات العلمية، والتنبؤات المستقبلية للنبي ﷺ

إن في السنة النبوية الشريفة عددًا لا يُحصى من النبوءات العلمية والتنبؤات المستقبلية، التي نطق بها النبي ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا، تضمّنت أحاديثه الشريفة إشارات إلى حقائق علمية كبرى لم تُكتشف إلا مؤخرًا في مجالات الفلك، والطب، والأحياء، وعلم النفس، كما ضمت توجيهات علاجية ووقائية ثبتت صحتها بالدراسات الحديثة، من قواعد النظافة العامة إلى أساليب الوقاية من العدوى وعلاج بعض الأمراض.

ولم يقتصر الإعجاز على البعد العلمي فقط، بل شمل أيضًا نبوءات مستقبلية تتعلق بأحداث كبرى ستقع في آخر الزمان، بعضها تحقق فعليًا كما وصفه النبي ﷺ بدقة عجيبة، وبعضها لا يزال ينتظر تحققه في مشهد التاريخ القادم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"كلُّ ابنِ آدمَ يأكُلُه الترابُ إلا عَجْبَ الذَّنَبِ، منه خُلِق، وفيه يُرَكَّب".

هنالك جزءًا صغيرًا جدًا من الإنسان، يُسمّى عَجْب الذنب (وهو عظم في أسفل العمود الفقري)، لا يبلى ولا يتحلل حتى بعد الموت، ومنه يبدأ إعادة خلق الإنسان يوم القيامة.

تشير الدراسات الحديثة في علم الأجنة والتشريح إلى أن عجب الذنب يحتوي على خلايا جذعية بدائية جدًا تعرف بالخلايا الأولية المنظمة(**Primitive Streak**) ، والتي تُعد النواة الأساسية لتكوين الجنين في مراحله الأولى، في عام **1935**م، أجرى العالم الألماني هانس شبايمان (**Hans Spemann**) تجارب رائدة أظهرت أن منطقة عجب الذنب تضم العقدة البدائية (**Primitive Streak**) المسؤولة عن تنظيم نمو وتطور الجنين، لاحقًا، في عام **2004**م، أظهرت تجارب مخبرية في ألمانيا أن هذا الجزء يتميز بمقاومة عالية للتحلل، حتى في ظل الحرق أو التعفن الطويل، خصوصًا إذا كان محفوظًا داخل العظام الكثيفة.

كما أكد باحثون في علم الأحياء الجزيئية في عام **2008**م أن خلايا هذه المنطقة تحوي معلومات جينية وتنظيمية قادرة على إعادة إطلاق عملية تكوين الجسد.

قال رسول الله ﷺ:

"إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح"...

تشير الأبحاث الحديثة في علم الأجنة، ومنها **Langman's Medical Embryology** (**Sadler**, 2019)، و **Before We Are Born: Essentials of Embryology and Birth Defects** (**Moore**, **Persaud**, & **Torchia**, 2015)، إلى مراحل متتابعة ودقيقة لتكوين الجنين تبدأ من التخصيب مرورًا بتكوين الكيسة الأريمية (**Blastocyst**) ثم مراحل تطور العلقة والمضغة، وهي مصطلحات تعكس المراحل الأولى لنمو الجنين، وفقًا لهذه المصادر، تمتد مرحلة تكوين الأعضاء الأساسية (**Organogenesis**) من الأسبوع الثالث إلى الأسبوع الثامن، وتكتمل تقريبًا في اليوم الأربعين إلى الثاني والأربعين من الحمل. في هذه الفترة يبدأ تطور الجهاز العصبي المركزي ويكتسب الجنين شكله البشري الأولي، وهو ما يتوافق مع الحديث النبوي الشريف الذي ذكر أن الملك ينفخ الروح في الجنين بعد أربعين يومًا. يبرز هذا التطابق بين الوصف النبوي والنتائج العلمية الحديثة دقة النص النبوي في وصف مراحل تكوين الإنسان، رغم غياب وجود أدوات المعرفة في ذلك العصر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"ما من داء إلا وفي الحبة السوداء شفاء منه إلا السام."

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ:

"وما السام؟" فقال" :الموت."

أظهرت دراسات حديثة أن لحبة البركة مكونات فعالة مثل النيجيلون (**Thymoquinone**) الذي له تأثير مضاد للالتهابات، مضاد للأكسدة، ومضاد للبكتيريا والفيروسات وأبحاث علمية عديدة اكدت دورها في دعم الجهاز المناعي، وتقليل أعراض بعض الأمراض المزمنة.

أظهرت الأبحاث الحديثة أن الحبة السوداء تحتوي على مركب النيجيلون (**Thymoquinone**) الذي يمتلك تأثيرات قوية في دعم الجهاز المناعي ومكافحة الأمراض الكبرى وتقليل أعراض بعض الأمراض المزمنة.. فقد وجدت دراسات منشورة في مجلات علمية مرموقة مثل **Journal of Immunology Research** و **Cancer Letters**أن النيجيلون يعزز استجابة الخلايا المناعية ويثبط نمو الخلايا السرطانية ويحفز موتها المبرمج. كما أظهرت أبحاث أخرى في **International Journal of Preventive Medicine**و **Phytomedicine**أن الحبة السوداء تساهم في تقليل الالتهابات، وتحسين مقاومة الإنسولين، وخفض مستويات الجلوكوز في الدم، مما يفيد مرضى السكري ويقلل من مخاطر أمراض القلب،بالإضافة إلى ذلك، أثبتت دراسة في **Pulmonary Pharmacology &**

Therapeuticsقدرة الحبة السوداء على تخفيف أعراض الربو وتوسيع الشعب الهوائية، مما يحسن التنفس. كل هذه الأدلة العلمية تؤكد ما ورد في الحديث الشريف، وتبرز عمق الحكمة الطبية التي جاء بها النبي ﷺ والتي لم تُكتشف إلا بوسائل العلم الحديث.

قال رسول الله ﷺ:

"لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا"

هذا النص التحذيري جاء قبل أكثر من **1400** عام، ويشير إلى ارتباط ظهور الفواحش وانتشارها بشكل علني بظهور أمراض معدية جديدة لا تكون معروفة في الأجيال السابقة.

من الناحية العلمية، أثبت الطب الحديث أن بداية انتشار بعض الأمراض المنقولة جنسياً كـ الإيدز(**HIV**) ، والهربس البسيط، والأمراض البكتيرية المتطورة كالسيلان والزهري، حدثت مع تغيرات اجتماعية وثقافية سمحت بانتشار هذه الممارسات بشكل أوسع. كما سجلت الأبحاث في القرن العشرين والواحد والعشرين ظهور سلالات مقاومة للمضادات الحيوية لهذه الأمراض، مما يزيد من خطورتها وانتشارها.

تشير الدراسات الوبائية الطبية الحديثة إلى أن كثيرًا من هذه الأمراض بدأت بالانتشار عالميًا مع الانفتاح الجنسي العلني وغياب القيود الأخلاقية في المجتمعات، ونقص التوعية، والتشجيع على هذه الممارسات في المجتمع، يؤدي إلى تفشي الأمراض المنقولة جنسيًا وارتفاع معدلات الإصابة بها، مما يشكل تحديًا صحيًا كبيرًا للمجتمعات.

هذا التوافق بين الحديث النبوي والطب الحديث يعكس دقة النص النبوي وعمق رؤيته، ويوضح كيف أن القيم الأخلاقية ليست مجرد تعاليم اجتماعية، بل تحمل في طياتها حماية صحية ونفسية ووقائية للإنسانية.

قال الرسول ﷺ قال:

"من أخذ شبراً من الأرض ظلماً، طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين"

ظل معنى "سبع أراضين" غامضًا في التفاصيل العلمية حتى العصر الحديث، إذ كشفت الدراسات الجيولوجية في القرن العشرين، وتحديدًا منذ ستينيات القرن الماضي، أن الأرض تتكون من سبع طبقات رئيسية متميزة من حيث البنية والخواص الفيزيائية: القشرة(**Crust**) ، الغلاف الصخري(**Lithosphere**) ، الغلاف الموري (**Asthenosphere**)، الوشاح الأعلى(**Upper Mantle**) ، الوشاح الأسفل **Lower**) (**Mantle**، النواة الخارجية السائلة(**Outer Core**) ، والنواة الداخلية الصلبة .(**Inner Core**) وقد أثبتت بيانات الزلازل وقياسات الموجات السيزمية هذا التقسيم بدقة، مما يعد توافقًا مذهلًا بين الوصف النبوي القديم والاكتشافات العلمية الحديثة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا"

يشير هذا الحديث إلى تغير مناخي واسع النطاق في شبه الجزيرة العربية، بحيث تتحول أراضيها القاحلة إلى مروج خضراء وأنهار جارية، كما كانت في عصور جيولوجية ومناخية سابقة، وقد أثبتت الدراسات الجيولوجية وحفريات النباتات والحيوانات في الجزيرة العربية أن المنطقة كانت تتمتع بمناخ رطب في فترات متعاقبة من العصور الهولوسينية وما قبلها، حيث انتشرت الغابات والأنهار والبحيرات، ودعمت تنوعًا بيئيًا وحيويًا واسعًا.

الأبحاث الحديثة في مجال علم المناخ القديم(**Paleoclimatology**) ، خصوصًا باستخدام تقنيات تحليل الرواسب الرسوبية وحلقات نمو الأشجار والأنوية الجليدية، تدعم إمكانية تكرار هذه الدورة المناخية، حيث تشير النماذج المناخية العالمية إلى أن ظاهرة الاحترار العالمي يمكن أن تؤدي إلى تغيّر أنماط الأمطار الموسمية، وازدياد معدلات الهطول في بعض المناطق الصحراوية، بما فيها شبه الجزيرة العربية.

قال النبي ﷺ:

"لا تقوم الساعة حتى تتقيأ الأرض عُيُونَها، وتنضح الأرض برداءها، وتتقيأ الأرض كنوزها".

وقال ﷺ أيضًا:

"لا تقوم الساعة حتى ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان"

في هذين الحديثين نبأ مدهش من رسول الله ﷺ، تنبأ فيه بظهور حقائق عظيمة ستغير وجه الجزيرة العربية. الحديث الأول يصف كيف ستكشف الأرض عن كنوزها المدفونة، كنوزٌ مثل النفط والمعادن الثمينة التي بقيت مخفية لآلاف السنين، ولم يكن أحد يتوقع أن تحول الصحراء القاحلة إلى مركز اقتصادي عالمي.

وينبئنا رسول الله ﷺ كيف سيتحول سكان الجزيرة العربية الحفاةً العراةً رعاء الشاة (الفقراء المساكين)، كيف سيتحولون فجأة إلى بناة ناطحات سحاب وأبنية شاهقة، في مشهد لم يكن يمكن تصوره قبل بضعة عقود فقط .. فكيف أمكن هذا التطور العمراني الهائل في دول الخليج، دون أن تفيض الأرض بخيراتها؟

هذه النبوءة ليست خيالًا، بل تحققها لنا عيون العلم والاجتماع اليوم، دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماع الحضري في الجزيرة العربية توضح كيف أدى اكتشاف النفط إلى نهضة عمرانية وثروة هائلة، جعلت من دول الخليج الرياض ودبي وأبو ظبي والدوحة وغيرها مدنًا عملاقة، شاهقة إلى السماء، تسطر قصة تحول مذهل من فقر الصحراء إلى الثراء والنهضة والتطور العمراني.

قال رسول الله ﷺ: "إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع في أرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارًا منه"

أرشد الرسول ﷺ المسلمين إلى الوقاية من الأمراض المعدية بطريقة دقيقة، وقام بتوجيههم وتعليمهم إجراءات الحجر الصحي قبل 14 قرنًا، لمنع نقل العدوى للآخرين، فالعلم الحديث أثبت أن الأمراض المعدية مثل الطاعون، الكوليرا، الإنفلونزا، وفيروس كورونا (COVID-19) تنتشر سريعًا بين البشر عبر الهواء والمخالطة، ونرى منظمة الصحة العالمية بدأت مؤخراً تعتمد استراتيجيات العزل والحجر الصحي، مراقبة السفر، وإغلاق الأماكن العامة للحد من انتشار الأمراض، تمامًا كما أرشد النبي ﷺ:

"إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه" أي منع الدخول إلى مناطق تفشي المرض.

"إذا وقع في أرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارًا منه" أي الحجر في المناطق المصابة.

أخبر بمقتل عثمان رضي الله عنه الخليفة الثالث للمسلمين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "يا عثمان! إنه لعلَّ الله يُقمصُك قميصًا (كناية عن الخلافة)، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني"

أخبر النبي ﷺ عثمان أنه سيتولى الحكم، ثم يجتمع عليه المنافقون يريدون خلعه، وأوصاه ألا يخلع القميص أي يتنازل عن الحكم لهم، أي أن يثبت حتى آخر لحظة.

وتولى عثمان رضي الله عنه الخلافة سنة 24 هـ بعد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي أواخر عهده اجتمع عليه المنافقون وأهل الفتنة بزعامة عبد الله بن سبأ اليهودي، فحاصروا بيته وطالبوه بالتنازل عن الخلافة، فتذكر وصية النبي ﷺ وقال :"والله لا أنزع قميصًا قمّصنيه الله، وبقي ثابتًا حتى قُتل مظلومًا شهيدًا وهو يتلو كتاب الله في بيته سنة 35 هـ"..

عن النبي ﷺ أنه قال:

"تكون الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يكون ملك"

وقد تحققت هذه النبوءة بعد وفاة النبي ﷺ بخلافة الخلفاء الراشدين (أبوبكر وعثمان بن عفان، عمر، علي) التي امتدت تاريخياً نحو ثلاثين سنة، وبعدها بدأت فترة الحكم الملكي، فترة الملوك الأمويين، وهو ما يطابق ما أشار إليه النبي ﷺ بدقة في تسلسل الحكم بعده.

"كيف يمكن لإنسان أمي، لا يعرف القراءة ولا الكتابة، عاش قبل 1400 سنة في ظلمات الجهل وقسوة الصحراء، أن يسبق العلم الحديث ويُعلّم البشرية حقائق علمية وتنبؤات مستقبلية دقيقة، لم تُكتشف إلا بعد قرون طويلة؟ أليس هذا برهانًا جليًا على أنَّه وحي من الله، يحمل في طياته علماً وحكمة ورحمة، لم يكن ممكنًا اكتشافها آنذاك؟ ".

العبودية في الاسلام

لم تنشأ العبودية في الإسلام، بل وجدت محورية في البنى الاجتماعية والاقتصادية في العصر الجاهلي والعصور الأخرى، قبل البعثة النبوية كانت تجارة العبيد في الإمبراطوريات (روم، بيزنطة، فارس) جزءًا من اقتصاد الدولة، كان الرقّ يُنتج غالبًا عبر الأسر، بيع عبيد، أو استرقاق في بيوت الأغنياء وفي الديانات السماوية قبل الإسلام كانت النصوص التوراتية والإنجيلية تجيز وتشجع الرق وامتلاك العبيد إلى الأبد (لاويين 44:25–46).

فجاء الإسلام ووضع نظامًا تشريعيًا واجتماعيًا هدفه تقييد الظلم، وتشجيع العتق والإخاء، وإتاحة سُبُلٍ للارتقاء في المجتمع، ففي حين كانت أبواب الرق مفتوحة على مصراعيها في جميع الحضارات والأديان من خلال عدة أسباب متنوعة، منها: أسرى الحروب، الديون، الخطف، القرصنة البحرية التي استُعبِدت فيها الأمم، العبودية العقابية التي كانت تفرض على من يرتكب جرائم معينة كحكم مدى الحياة، العبودية بالوراثة حسب تشريعات الكتاب المقدس لليهود والمسيحيين التي تنص على أن أبناء العبيد يولدون عبيدًا تلقائيًا بغض النظر عن الظروف، الاسترقاق الضريبي حيث يُؤخذ أبناء الفلاحين بدلاً من الضرائب، العبودية الدينية بلا حق كما في الحروب الصليبية التي أنتجت عبيدًا مسلمين، عبودية الفقر التي كان من خلالها الفقراء يبيعون أنفسهم أو أبناءهم طوعًا لضمان الطعام والحماية، بالإضافة إلى التجارة عبر الأطلسي التي شهدت اختطاف ملايين الأفارقة ونقلهم قسرًا للعمل في مزارع الأمريكتين.

ولايرى الإسلام تفوق عرق على عرق أو لون بشرة على لون بشرة أخر، قال الله تبارك وتعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)"سورة الحجرات.

وقال رسول الله : "يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ على عربِيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوَى إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ"

ويقول الله تبارك وتعالى في سورة الروم ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾

فقام الإسلام بتقليص أسباب الرق، وذلك من خلال حصره في إطار ضيق لا ينشأ إلا من أسرى الحرب المشروعة بين المسلمين والكفار (غير المعاهدين)، وبعد انتهاء القتال الحاكم مخير حيث قال الله :

﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ محمد: 4[

أي بعد انتهاء القتال، الإمام مخيّر بين:

1. المنّ بلا مقابل (إطلاق الأسرى أحرارًا).
2. الفداء بمال أو تبادل أسرى.
3. الاسترقاق: وهو خيار احتياطيًا يُلجأ إليه في حالات خاصة يقدّرها الإمام، إذا لم تتحقق مصلحة راجحة في المنّ أو الفداء، أو تعذر الفداء (مثل رفض العدو تبادل الأسرى أو عجز الأسير أو قومه عن دفع الفدية).

فالإمام بعد الحرب مخيّر بين هذه الخيارات، ويختار ما فيه مصلحة للمسلمين، وأن الاسترقاق لا يكون إلا عند تعذر المنّ والفداء أو عدم تحقق المصلحة فيهما، وقد جسّد صلاح الدين الأيوبي هذه القيم عمليًا بعد استعادة القدس من الصليبيين، إذ وضع نظامًا للفدية يتيح للأسرى دفع مبلغ محدد لينالوا حريتهم، فتمكّن الأثرياء من الصليبيين من دفع الفدية بسهولة، بينما بقي الضعفاء والفقراء بلا مال ولا نصير، بل إن كثيرًا من أغنيائهم رفضوا دفع فدية إخوانهم، عندها رقّ قلب صلاح الدين لمشهد النساء والأطفال، فأمر بإطلاق سراح أعداد كبيرة منهم بلا مقابل، بل زوّد بعضهم بالمال والكسوة ليعودوا إلى أوطانهم بكرامة، هذا الموقف يستخدمه المؤرخون الغربيين كنموذج على أن العبودية في الفقه الإسلامي كانت مقيدة بالرحمة والكرامة الإنسانية، وأن المسلمين قد يتجاوزون حتى "حقهم الشرعي" في الرق من أجل الإنسانية.

أما في الحالات التي يُلجأ فيها إلى الاسترقاق، فكان ذلك غالبًا مع الأسرى من أقوام محاربين ذوي عداء شديد لا يُؤمَن جانبهم إن أُطلق سراحهم، مع الالتزام التام بالمعاملة الشرعية التي تحفظ كرامتهم وتفتح أمامهم أبواب العتق لاحقًا.

حقوق العبيد في الاسلام

قال النبي ﷺ:

"إخوانكم خَوَلكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلّفتموهم فأعينوهم"

المعاملة الإنسانية (كالأحرار تمامًا) اللباس والمأكل والمشرب مثل سيده، لا يُكلف فوق طاقته له الحق أن يشتكي، وإن قام السيد بمعاملة العبد بسوء فيجب عليه إعتاقه فوراً، حيث قال النبي ﷺ في الحديث المتعلق بكفّارة ضرب العبد:

"من لطم مملوكَه أو ضربَه فكفّارتُه أن يعتقه".

المكاتبة:

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾]النور: 33.[

هذه الآية الكريمة شرعت نظام المكاتبة، وهو عقد يتم بين السيد وعبده على أن يدفع العبد مبلغًا من المال، إما دفعة واحدة أو على أقساط، مقابل أن ينال حريته في حال أراد العبد أن يتحرر ويأمر الله تعالى السادة بقبول هذا الطلب إذا علموا في العبد "خيرًا" أي أمانة وقدرة على الكسب، حتى لا يتحول التحرير إلى عبء اقتصادي أو اجتماعي على المحرَّر نفسه، ولم يكتفِ الإسلام بإقرار المكاتبة، بل ألزم السادة بمساعدة العبيد على إتمامها، فقال :﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾، أي أعطوهم من مالكم أو من بيت المال العام للمسلمين ما يعينهم على دفع المكاتبة، مما يجعل التحرير في الإسلام عملية تعاونية تحظى بدعم المجتمع كله، فالشريعة جعلت تحرير العبيد هدفًا مرحليًا مستمرًا، وسخرت له وسائل عملية تضمن نجاحه واستقراره، لا مجرد إطلاق سراح بلا خطة أو دعم.

وفرض الله استعمال الزكاة والصدقات وبيوت المال وموارد الدولة في دعم العتق والاندماج:

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(60) سورة التوبة

في الرقاب :هم الأرقاء الذين يرغبون بشراء حريتهم مقابل مبلغ الفداء.

العتق كقربة وأفضل الأعمال وكفارة لكثير من الذنوب.:

حعل الله إعتاق الرقاب من أعظم القُربات إليه، و من أسباب العتق من النار، وهو قُربة عظيمة، وجعله الله كفَّارةً لجرائم كثيرةٍ: فجعله كفَّارة للقتل، وكفَّارة للظِّهار، وكفَّارةً للوطء في رمضان، وكفَّارة لليمين.

فعتق الرقاب له شأن عظيم، تُكفر به الخطايا، وتُحطُّ به السَّيئات، وتُعتق به الرِّقاب.

قال تعالى: {فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ}، والعقبة هي الطريق الصعب، وفك الرقبة هو عتق العبد، وهذا يدل على أن عتق الرقبة من الأعمال الصالحة التي تقرب العبد إلى الله وتجعل طريقه إلى الجنة ميسراً.

الترغيب فيه بالنصوص الكثيرة، مثل قوله ﷺ» :من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار) «البخاري 2517، مسلم 1509.(

سورة النساء، الآية 92:

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ}، جعل الله تعالى عتق الرقبة كفارة لقتل الخطأ، مما يدل على أهمية العتق وفضله

سورة المائدة، الآية 89:

{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}، وجعل عتق الرقبة كفارة لليمين، مما يدل على أهمية العتق في تكفير الذنوب

سورة المجادلة، الآية 3:

{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا}، وجعل عتق الرقبة كفارة للظهار

حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

(من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداؤه من النار)

قال رسول الله ﷺ: "مَن كانت له جاريةٌ فعلَّمها، فأحسن إليها، ثم أعتقها وتزوَّجها، كان له أجران".
يدعو الحديث الشريف إلى تعليم الجارية وتمكينها من العلوم والمعارف، ليصبح لها وعي بحقوقها وتتمكن من أداء واجباتها بثقة،و يحثّ الإسلام على حسن المعاملة والاحترام تجاه الجواري، ويذمُّ كل من يسيء إليهن، بالإضافة إلى ذلك، يشجع الحديث على طلب الزواج من الجارية التي تعلّمت وارتقت وأصبحت واعية بحقوقها في المجتمع، مما يعكس رؤية الإسلام الإنسانية والتكاملية في التعامل مع العبيد، وحرصه على كرامتهم ودمجهم في المجتمع بصورة عادلة وإنسانية.

حقوق تملّك وتجارة وميراث وتعلم ومناصب علمية وعسكرية:

فمن حق العبد أن يعمل في التجارة وغيرها وأن يتعلم وأن يتملك فعملياً كانوا العبيد مشاركين فاعلين في المجتمع علماء، قادة، أئمة، رواة حديث، قضاة، قادة عسكريين، فالشريعة الاسلامية فتحت الأبواب (عتق، مكاتبة، صدقات) والمجتمع الإسلامي المبكّر دمج العبيد حيث نجد نماذج تاريخية كعطاء بن أبي رباح: الذي كان عبدًا وأصبح مفتي مكة، فقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان يأتيه ويأخذ عنه العلم وهو جالس عند قدميه، ونافع مولى ابن عمر: كان عبدًا، وأصبح من كبار علماء المدينة، والعالم الامام البخاري: كان من أحفاد الموالي (والمولى غالبًا كان عبدًا أُعتق)، ومع ذلك صار إمام أهل الحديث الموقر ، الحسن البصري: وُلد لأبوين مملوكين، وصار من أئمة التفسير والزهد.

و للعبد الحق في التملك، بل كان بعضهم يملك ما لا يملكه سيّده مثل: "كثير من العبيد في الخلافة الأموية والخلافة العباسية كانوا من كبار التجار والمموّلين فقد كان العبيد مسؤولين عن الخزائن المالية أو التجارة أو البريد، ما سمح لهم بجمع ثروات كبيرة بحكم مناصبهم.ومنهم مولى (عبد) الحجاج بن يوسف كان كاتبًا بارعًا وعالمًا بالماليات، وأُعطي صلاحيات لإدارة موارد الدولة المالية، وكان يتحكم بأموال طائلة، حيث لا فرق بين عبد وحر في القرب من الله، قال الله: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ".

الهدف النهائي للتشريع الإلهي كان تصفية الرق تدريجيًا، ودمج أفراده في المجتمع كأعضاء أحرار متكافئين في الحقوق والواجبات، فبرز في شتى مجالات الحياة؛ علماء، قادة، تجار، ودعاة من العبيد

وضع الإسلام منهج تدرّجي متكامل لحفظ التوازن الاجتماعي والاقتصادي، بعكس ما حدث في أمريكا بعد الحرب الأهلية، عندما أُعلن تحرير العبيد في الولايات المتحدة بين عامي 1863 و1865، بدا المشهد وكأنه

انتصار مفترض للحرية وحقوق الملايين من العبيد أصحاب البشرة السمراء، لكنه في الحقيقة كان مسرحية سياسية بائسة تُخفي وراءها أحقادًا ومخططات شيطانية.

فلم يُتخذ قرار التحرير بدافع إنساني أو رحمة، بل كان قرارًا مدبرًا ومخادعًا من قبل نخبة الشمال الصناعي، الذين استغلوا القضية لإضعاف أعدائهم في الجنوب، وتحطيم اقتصادهم الزراعي الذي يعتمد على الرق.

كان الهدف الحقيقي ليس تحرير الإنسان ولا تحقيق العدالة، بل تدمير النسيج الاقتصادي والاجتماعي للجنوب، وإعادة تشكيل السلطة الاقتصادية والسياسية لصالح نخبة الشمال، لم يكن يهمهم مصير المحررين، الذين تُركوا يعانون الجوع، الفقر، والتمييز العنصري المنظم، بينما ظلوا مستعبدين بأشكال جديدة تحت مظلة القانون والاجتماع.

فبعد إعلان التحرير الذي أصدره أبراهام لنكولن عام **1863** ثم تأكد عام **1865** بانتهاء الحرب، كان هناك أكثر من**4** ملايين عبد فجأة أحرار، لكن:

لم يُمنحوا أراضي أو تعويضات تعينهم على بناء حياة جديدة، فنظام العبودية حرمهم من أي استقلال اقتصادي، لم يكن لهم تعليم، ولا خبرة فقد تعرضوا لعداء عنيف من البيض، وظهرت جماعات إرهابية مثل كو كلوكس كلان لمنعهم من تحسين أوضاعهم، وتم اصدار قوانين فصل عنصري رسمية فرضت التمييز في المدارس، المواصلات، أماكن العبادة، والعمل، وغيرها، مما أعاد تقريبًا إبقاء السود في وضع اقتصادي واجتماعي متدنٍّ. مثل تشريعات جيم كرو(**Jim Crow Laws**) و الحرمان من فرص العمل الحقيقية، والاحتكار الاقتصادي من قبل البيض، مما أجبر الكثيرين للعودة الى العبودية الطوعية" أو "الاستعباد العكسي(**Voluntary Re-enslavement**) "، حيث كان بعض المحررين يعاودون طلب العودة إلى أصحابهم السابقين قبول عقود عمل قسرية (كـ "الإيجار مقابل الحصاد"). (**Sharecropping**) " الذي كان في الحقيقة عبودية مقنّعة، مع استخدام الإكراه العاطفي والمادي في المجتمعات لمنع الاندماج، وفرض عزلة اجتماعية على السود.

هذه السياسات والعنف الممنهج أدت إلى حالة تراجع اجتماعي واقتصادي حاد عند المحررين، وجعلت الكثير منهم يرون في العودة إلى العبودية (حتى ولو بشروط أقل سوءًا) خيارًا مريرًا لكنه مأمون وذلك بسبب انتشار المجاعات و البطالة والجريمة ، والتي بسببها انهارت مجتمعات كاملة في الجنوب.

على النقيض من هذا المشهد المأساوي في الولايات المتحدة، اتبع الإسلام منهجًا تدريجيًا ومدروسًا في التعامل مع الرق والعبودية، يهدف إلى تحقيق التحرير الفعلي والاستدامة الاجتماعية والاقتصادية. فقد حصر الإسلام الرق في حالات الأسر المشروعة في الحروب، مغلقًا بذلك جميع أبواب الاسترقاق الأخرى التي كانت شائعة في الجاهلية والحضارات السابقة، مما قلل بشكل كبير من تدفق العبيد، وفرض الإسلام التعليم على الجميع، معتبرًا طلب العلم فريضة على كل مسلم سواء كان حرًا أو عبدًا، وهو ما مكّن العديد من العلماء اللذين كانوا عبيد من الارتقاء اجتماعيًا وفكريًا، كما وضع الإسلام أسبابًا شرعية متكاملة تستوجب العتق، مثل كفارات اليمين والقتل الخطأ والظهار، إلى جانب تشجيع العتق التطوعي، مما أوجد حركة مستمرة لتحرير العبيد، ولم يكتفِ بذلك، بل منح المحررين حقوقًا كاملة في الميراث والتملك والتجارة والمشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية، مما سهّل دمجهم واستقلالهم، ولم يكن التحرير في الإسلام قرارًا مفاجئًا، بل سياسة تدريجية تراعي التوازن بين الحريات الفردية والاستقرار الاجتماعي، فلا يُترك المحررون فجأة بلا دعم أو حماية، إذ يرتكز هذا النهج على حكمة إلهية ورؤية استراتيجية بعيدة المدى، تتضمن آليات متدرجة ومدروسة تهدف إلى دمج المحررين تدريجيًا وتحويلهم إلى عناصر فاعلة ومتكاملة في المجتمع، مما أدى إلى تحقيق تحرير مستدام ومنصف، في المقابل أدى التحرير المفاجئ لنظام الرق في الولايات المتحدة إلى ترك ملايين الأفراد في حالة من الفقر والتشرد والعنف، دون توفير الدعم الاقتصادي أو الاجتماعي اللازم، مما تسبب في نتائج كارثية استمرت لفترات طويلة وأثرت سلبًا على النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع، وما زالت آثاره واضحة حتى يومنا هذا.

وفيما يلي استعراض لآراء أشهر المؤرخين الغربيين الذين درسوا وبحثوا تاريخ العبودية في الإسلام، و على النتائج والحقائق التي توصّلوا إليها:

جورج سارتون:

"كان الرقيق في الإسلام يعاملون معاملة إنسانية، لم يحظَ بمثلها العبيد في أوروبا في القرون الوسطى."

ول ديورانت في موسوعته قصة الحضارة:

"لم يكن العبيد في الإسلام على ما كان عليه عبيد الغرب، لقد بلغ كثير منهم مراتب عالية في الدولة والعلم والدين.

غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب:

"كان من عادة المسلمين أن يعتقوا عبيدهم بعد زمن قصير، وكان العبيد في بلاد الإسلام يملكون من الحقوق ما لم يعرفه العبيد في أي أمة أخرى، وكثيرًا ما ارتقى العبيد إلى أعلى المراتب".

توماس آرنولد :

"كثير من المماليك والرقيق في التاريخ الإسلامي أصبحوا قادة عظامًا أو علماء بارزين، وهو أمر لم يكن له مثيل في أوروبا المعاصرة".

مونتغمري وات:

"لم يكن الرق في الإسلام نظامًا وحشيًا كالذي عرفته أوروبا وأمريكا، بل كان له إطار أخلاقي وتشريعي يحد من الظلم، ويشجع على العتق".

ألفونسو دي لامارتين :

"الإسلام عامل العبيد معاملة إنسانية، وفتح أمامهم أبواب الحرية والاندماج الاجتماعي، حتى بلغ بعضهم مراتب السلاطين".

مكانة المرأة في الإسلام

لا يوجد في نصوص الاسلام الثابتة في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة نص يحمل المرأة تبعة إخراج آدم من الجنة وشقاء ذريته من بعده كما جاء ذلك في (الكتاب المقدس) و حملوا المرأة أسطورة مسؤولية الخطيئة الأولى ، بل الإسلام برّأ المرأة من هذا الاتهامات، والقرآن يؤكد أن آدم هو المسؤول الأول وقد غفر الله له زلته (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) [طه: 115]، (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) [طه: 121–122

فالإسلام رفع مكانة المرأة في الأسرة والمجتمع، فجعلها شريكة للرجل في التكليف والمسؤولية، وأكّد على حقوقها وواجباتها بما يحقق التوازن والعدالة بين الجنسين، ولم يقتصر ذلك على مجرد مبادئ عامة، بل انعكس في التشريعات القرآنية والسنن النبوية التي صانت كرامتها، وضمنت لها حقها في التعليم والميراث والاختيار والزواج، فجعلت منها ركيزة أساسية في بناء الأسرة وعمادًا في نهضة المجتمع، مكانة المرأة وتكريمها في الخلق والمساواة:

قال تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" [الحجرات: 13]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنما النساء شقائق الرجال" تأكيداً على المكانة بين الرجل والمرأة، وأن كلاهما شريك ومكمل للآخر في الحياة، متساويان في الحقوق والواجبات.

الله تبارك وتعالى خلق الرجال والنساء من نفس واحدة، وهذا تعبير عن المساواة التامة في الخلق والكرامة الإنسانية، وهذه الوحدة في الأصل تؤسس للاحترام الكامل للمرأة والاعتراف بمكانتها المتساوية مع الرجل، حيث يقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ النساء: 1

حقوق المرأة المالية في الإسلام: نموذج متقدم عبر التاريخ:

أقرّ الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا للمرأة ذمة مالية مستقلة، فجعلها مساوية للرجل في الأهلية المدنية: فلها أن تملك، وتبيع، وتشتري، وتوصي، وتُبرم العقود، وتتصرف في مالها كيف تشاء دون وصاية من أب أو زوج أو غيره، هذا الحق كان واقعًا عمليًا منذ عصر النبوة، فالصحابيات كنّ يتاجرن، ويشترين، ويبعن، ويتصدقن من أموالهن دون إذن من أحد، بينما لم تنل المرأة في أوروبا حقوقها المالية إلا بعد قرون طويلة، ففي إنجلترا لم يُعترف للمرأة المتزوجة بحق التصرف في أموالها إلا بقانون "ملكية المرأة المتزوجة" سنة 1870، ثم تعديله عام 1882، حيث

كانت قبل ذلك أموالها تؤول تلقائيًا إلى زوجها، وفي فرنسا ظل "قانون نابليون" يقيد حرية الزوجة في إدارة أموالها حتى النصف الأول من القرن العشرين، ويظهر لنا جليًا سبق الإسلام العظيم، الذي أعطى المرأة حقوقها المالية الكاملة في وقت كانت البشرية كلها تقريبًا تحرمها منها.

قال تبارك وتعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) [النساء:32]، وجعل لها حق الميراث فقال تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) [النساء:37].

وفي أحكام الميراث، وفي حالات شرعية قد يمنح الرجل أحيانًا نصيب أكبر من نصيب المرأة، كما في حالة الابن مقابل الابنة، وقد يكون نصيب المرأة أكثر من الرجل في حالات أخرى، حسب عدد الورثة وأحكام النصوص الشريعة، هذا التفاوت ليس إهمالًا لحقوق المرأة ولاحقوق الرجل، بل هو جزء من توازن شرعي بين الواجبات والحقوق المالية داخل الأسرة، حيث يتحمل الرجل مسؤوليات مالية أوسع (ككفاية الأسرة ونفقة الزوجة والأبناء) إذ يُلزم الرجل بالإنفاق، بينما تحظى المرأة بحقوقها كاملة في الملكية وحرية التصرف في مالها بشكل مستقل، بما يضمن العدالة والإنصاف.

المساواة القانونية للمرأة:

وللنساء حقوقاً مساوية لما عليهن من واجبات بالحسنى، وهو تأكيد على مفهوم العدل في العلاقة بين الرجل والمرأة داخل الأسرة والمجتمع، هذا التوازن يعزز قيمة المرأة ويدعم حقوقها. يقول الله تعالى:﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾)البقرة: 228

والمرأة في تلك الحقوق شأنها أمام الشرع شأن الرجل تماما إذا أحسنت أو أساءت، قال جل وعلا (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) [المائدة: 38].

المعاملة الحسنة للمرأة:

يأمر الله تعالى الرجال بمعاشرة النساء بالحسنى، أي بمعاملتهن بلطف ورحمة، ويشجع القرآن على احترام المرأة والحفاظ على كرامتها داخل الأسرة وخارجها يقول الله تعالى:﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾النساء: 19(

ومن مظاهر هذا التكريم رفق الإسلام ورحمته بالنساء، فحرم قتل النساء في الحروب، وحظيت المرأة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجمل تكريم حينما جعل النبي صلى الله عليه وسلم خير المؤمنين الذي يعامل أهله بكل معروف وخير، حيث قال "خيركم خيركم لأهله (زوجته وأولاده)، وأنا خيركم لأهلي"

ولا ينبغي للزوج أن يُظهر النفور أو الاشمئزاز من زوجته، بل عليه أن ينظر إليها بعينين ثاقبتين، يوازن بين محاسنها وعيوبها، فلا يغفل عن أي منهما، فالزواج شراكة قائمة على المودة والرحمة، والنظر إلى محاسن الزوجة والاعتراف بها جزء من تحقيق هذا التوازن، قال تعالى : "فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" [النساء:19]، فما قد يراه عيبًا قد يكون فيه خير، وأن التعامل مع الزوجة بالعدل والاحترام يحقق سعادة الأسرة واستقرارها، ويعكس حكمة الإسلام في تنظيم العلاقات الزوجية. وقال صلى الله عليه وسلم "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر" .

وجوب رعاية المرأة وحمايتها:

الرجال مسؤولون عن حماية ورعاية النساء، ليس بالسيطرة أو الهيمنة، بل من خلال تحمل المسؤولية المالية والمعنوية، ورعايتها، ومعاملتها بالحسنى بما يحقق مصالحها ويضمن العدل بين الجنسين. يقول الله تعالى:

"الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ" [النساء: 34]

إمكانية مفارقة الزوج من قبل الزوجة:

على العكس من التشريع الرجعي في الكتاب المقدس في متى 19:9، حيث يُقيّد الطلاق ويُسمح به فقط لعلة الزنا، فقد منح الإسلام الحرية لكلا الزوجين في الطلاق، كما أعطى المرأة الحق في الخلع إذا رغبت في الانفصال، دون أن يتركها مضطرة للظلم أو البقاء في علاقة غير مرغوبة. قال الله تعالى:
﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 227]

وضع حد لتعدد الزوجات وحقوق وواجبات :

التعدد في الأديان السابقة كان واسع الانتشار، وبلا حد محدد، وبدون قيود على عدد الزوجات أو العدالة بينهن.ولم يكن يوجد أي حماية واضحة للزوجات أو حقوق محددة للأطفال الناتجين عن الزواج، فكان التعدد غالبًا يخضع للرغبة الشخصية للرجل وليس لمصلحة النساء أو الأسرة، فكان تعدد الزوجات متاحًا للرجل دون حد في الكتاب المقدس حتى وصل عدد زوجات أحدهم الى عدد مهول كما في سفر الملوك الأول 11:3 – "وكان له سبعمائة امرأة من نساء الأميرات وثلاثمائة جارية" وكان العدد مفتوح و التعدد متاحًا للرجل يعدد كما يشاء، سفر

صموئيل الثاني 13:5 – "وأخذ داود لنفسه نساء بعد أن استقر في أورشليم" فاتخاذ أكثر من زوجة كان شائع سفر التكوين 19:4 – "وكان للاقح ابن لامك امرأتان اسم إحداهما عادَة واسم الأخرى صَيلة" و العرب في جاهليتهم كانوا يتزوجون العدد الكبير من النساء،

فلما جاء الإسلام قنَّن التعدد ووضع حدًا أعلى للتعدد: 4 زوجات فقط، مع شرط العدل الكامل بينهم. فقد أعطى حقوقًا واضحة للزوجات: النفقة، المساواة في المعيشة، وشدد على أهمية العدل في المعاملة. ووضع شرطًا صارماً: من لا يستطيع العدل فلا يتعدى على زوجة واحدة. "فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً "سورة النساء:3

فالسماح بتعدد الزوجات كان حلاً إنسانيًا للمجتمعات، إذ تشير الإحصائيات إلى أن عدد النساء في المجتمع غالبًا أكبر من عدد الرجال، فإذا تزوج كل رجل امرأة واحدة فقط، فإن بعض النساء ستبقى بلا زوج. كما أن الحروب والأوبئة كانت تؤدي إلى وفاة عدد كبير من الرجال، مما يترك أعدادًا كبيرة من الأرامل والأيتام بلا معيل. ولحماية هؤلاء النساء والأطفال وتأمين حقوقهم، أباح الإسلام التعدد مع شرط العدل. كما قد تكون بعض الزوجات غير راغبات في الإنجاب، أو قد تكون عقيمات، ولايكون لديهم رغبة في الانفصال أو المفارقة. لذا، يكون التعداد رحمة، وليس مجرد تسلية للرجل، بل مشروط بالعدل الذي يشمل النفقة على الزوجة والمساواة في المعيشة و في الحقوق العاطفية والاجتماعية.

مكانة الأم في الاسلام:

يمنح الإسلام الأم مكانة عظيمة جداً، تفوق في مكانتها مكانة الأب، خلافًا للنصوص الموجودة في الكتاب المقدس التي تذكر أن الحمل والولادة هما عقاب أو لعنة على المرأة نتيجة لخطيئة آدم وحواء، على العكس من ذلك، يزيد الإسلام من مكانة الأم واحترامها، ويؤكد حقها على الأبناء في البر والاحترام والعرفان بالجميل، مع الإشارة إلى المشقة الجسدية والنفسية التي تتحملها الأم.
يقول الله تعالى:﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ سورة الأحقاف: 15(

قال رسول الله ﷺ:
"الجنة تحت أقدام الأمهات". تأكيداَ على فضل الأم وتبيان أهمية برها، حيث مكانتها مميزة جداً في الإسلام لدرجة أن الجنة توصف بأنها تحت أقدامها، أي أن بر الأم سبب لدخول الجنة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «أيهما أحق بحسن صحبتي؟» قال: «أمك» قال: «ثم من؟ قال: «أمك» قال: «ثم من؟» قال: «أمك» قال: «ثم من؟» قال: "أبوك"، ففضل الأم على الأب في حق البر بسبب الجهد والتعب الذي تبذله في الحمل والولادة والرضاعة.

روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رجلاً كان يطوف بالكعبة حاملاً أمه على ظهره، فقال له النبي ﷺ: «هل أديت حقها؟» فأجاب: «لا، ولا بزفرة واحدة»

الإسلام يشدد على عظمة حق الأم ومكانتها السامية، فهو يبيّن أن كل جهد يمكن أن يبذله الإنسان، مهما كان عظيمًا وشاقًا، لا يفي أبدًا حق والدته ويجعل برها واجب متواصل يتجاوز كل الأعمال الأخرى.

ما هو الجهاد في الإسلام؟

مصطلح "الجهاد" في اللغة العربية مشتق من الجذر "جَهَدَ" الذي يعني بذل الجهد أو تحمل المشقة لتحقيق هدف نبيل، ففي السياق الإسلامي، يشمل الجهاد نطاقًا أوسع من مجرد القتال، فهو يشمل كل جهد يبذله المسلم في سبيل الله، سواء كان روحانيًا أو جسديًا، من أجل نشر العدل والحق.

الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر

أشار خاتم المرسلين محمد ﷺ إلى نوعين من الجهاد:

الجهاد الأكبر: هو الصراع الداخلي الذي يعيشه المسلم في سعيه لمراقبة نفسه وتزكيتها، وكبح أهوائها، وحملها على الطاعة والاستقامة، في رحلة واعية نحو صفاء الروح وسمو الأخلاق، ليبلغ رضا الله ويحقق كمال الإنسان في ذاته، فهي مجاهدة شخصية دائمة لتحسين النفس وترسيخ النزاهة الأخلاقية.

الجهاد الأصغر: هو الدفاع المشروع عن النفس والمجتمع عند التعرض للعدوان والظلم، قد وضع القرآن له ضوابط صارمة تحفظ مقاصده النبيلة، فجعل غايته حماية المظلومين وردّ المعتدين، ليكون وسيلة لتحقيق العدل ونصرة الحق.

ومن الآيات التي توضح هذا السياق:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: 190)

دفاع مشروع ضد من بدأ العدوان على المسلمين، وتحذر الآية من أي شكل من أشكال التجاوز أو الظلم، وأن الجهاد يتم في سياق الدفاع عن النفس، إطار العدل وضوابط الرحمة

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 193)

القتال يجب أن يتوقف بمجرد أن يوقف المعتدون عدوانهم، تأكيداً على أهمية الضبط والاعتدال في الصراع.

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَن أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: 32)

الآية ترسخ مبدأ عظيمًا في الإسلام: قدسية النفس الإنسانية، فهي تجعل من قتل إنسان بريء جريمة كبرى تُساوي في فظاعتها قتل البشرية جمعاء، وتجعل من إنقاذ نفس واحدة عملاً جليلاً يرقى إلى إحياء الإنسانية بأسرها، فالإسلام دين حياة وعدل ورحمة، وأن حفظ الدماء مقدم على كل شيء.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: 33)

تكرر هذه الآية النهي عن القتل غير المشروع، وهو مبدأ أساسي في الإسلام يقوم على احترام الحياة وتجنب الظلم.

الدعوة إلى السلام والرحمة إذا رغب الأعداء في الصلح:

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: 61)

توجه هذه الآية الكريمة المسلمين إلى تبني السلام عند ميل الأعداء إليه، وتؤكد على أن الرحمة والتساهل في العلاقات واجب، مع التوكل على الله.

القتال من أجل المظلومين وإنهاء الظلم:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: 75)

تؤكد هذه الآية على وجوب الجهاد والدفاع عن المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال الذين يتعرضون للظلم، وتبرز أن نصرة المظلومين واجب شرعي وضرورة إنسانية، حيث يوجه الله المؤمنين للوقوف مع الحق ونصرة المظلومين، مع الثقة في العون الإلهي والنصرة من عنده.

العدل في المعاملة، حتى مع الأعداء:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: 135)

تشدد هذه الآية على ضرورة إقامة العدل في جميع الأحوال، حتى لو كان ذلك على النفس أو الأقرباء، أو بين الغني والفقير. وتوضح أن الالتزام بالقسط والعدالة فوق أي ميل نحو الهوى الشخصي، وأن الله مطلع على كل عمل، فالعدل قيمة مطلقة يجب على المؤمنين التحلي بها في حياتهم اليومية، وقد اختارت جامعة هارفارد هذه الآية لتزيّن بها جدار مكتبة كلية الحقوق، كرمز للقيم القانونية والأخلاقية العالمية.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَإِنْ صَبَرْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل: 126)

تؤكد الآية على مبدأ العدالة في العقوبة، فلا يزيد المسلم على ما عوقب به الآخر، وتشجع في الوقت نفسه على الصبر وضبط النفس، فالصبر وضبط النفس فضيلة من فضائل الاسلام.

إن ما قدمه الإسلام من تشريعات وقيم في العدل والمساواة وحقوق للإنسان والمجتمع، ومن توجيهات روحية وأخلاقية سامية تكشف عن عظمة هذا الدين وشموليته وتظهر حكمة الله ورحمته في تنظيم حياة الإنسان وبناء مجتمعات متوازنة، تحقق الخير والازدهار للإنسانية جمعاء.

من هم الشعب المختار الحقيقي عند الله بحسب نصوص الكتاب المقدس؟

على مرّ التاريخ، أثير جدل واسع حول هوية الشعب المختار: هل هم نسل إسحاق (بني إسرائيل) أم الورثة الروحيون لإبراهيم من نسل ابنه البكر إسماعيل (المسلمون)؟ حاول بعضهم تفسير النصوص وحصر واحتكار الوعود الإلهية التي قُطعت لإبراهيم ونسله، لصالح معتنقي الديانة اليهودية لتحقيق أغراض ومطامع سياسية، من خلال اعلان أنفسهم الورثة الشرعيون لهذه البركات والوعود، لمجرد الادعاء بأن البعض منهم من قد يرجع نسبه الى نسل ابن ابراهيم الثاني إسحاق بني إسرائيل، دون فهم واضح لطبيعة تلك الوعود الإلهية ودون تقديم أي أدلة منطقية وتفسير واضح، متجاهلين يذلك وضوح وطبيعة تلك النصوص ودلائلها وضاربين بها بعرض الحائط.

و عند التعمق في دراسة نصوص الكتاب المقدس، رغم ما أصابها من تحريف، يتضح أن نسل إسماعيل، أي عموم المسلمين عربًا وغير عرب، هم الورثة الروحيون الحقيقيون لإبراهيم ورسالة التوحيد، وقد تحققت فيهم البركات الإلهية، مؤكدة شمولية وعد الله وعدله في نصوصه.

وعد الله لإبراهيم أن يصبح نسله أمة عظيمة:

سفر التكوين 12:1–3

1. **وقال الرب لإبراهيم اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الارض التي اريك.**
2. **واجعل منك امة عظيمة وباركك واجعل اسمك عظيما وتكون بركة.**
3. **وابرك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الارض.**

هذه الآيات تمثل وعد الله لإبراهيم، حيث يُخرج من بيئته ليكون أمة عظيمة، وتكون البركة على ذريته، بحيث تنال جميع قبائل الأرض بركة من خلاله، وأن بركته ستكون شاملة وعالمية، تتعدى حدود عرق أو وطن معين.

دعاء إبراهيم الله لإسماعيل ليكون هو الأمة العظيمة:

سفر التكوين 17:18

قال إبراهيم:

"يا الله، ليت إسماعيل يعيش تحت رعايتك."

"May Ishmael live in your sight"

إبراهيم عليه السلام طلب من الله أن يكون إسماعيل تحت نظره ورعايته وبركته، وأن تكون ذريته أمة عظيمة مباركة.

وعد الله لإبراهيم، بأن سيكون إسماعيل ونسله هو الأمة العظيمة:

سفر التكوين 17:20

"أما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة عظيمة."

معنى اسم إسماعيل: "سمع الله"، أي سمع الله دعوة إبراهيم، وهذا الوعد يوضح أن إسماعيل ونسله سيكون أمة عظيمة.

وقد أوضح موسى لبني إسرائيل في التثنية 6:4–8 معنى "أمة عظيمة"، أنها أمة توحيدية تعبد الله وحده، وتتمتع بشريعة إلهية عادلة، ويكون ربها قريبًا منها يجيب دعاءها، تحقق بصورة واضحة في ذرية إسماعيل، حين صار العرب أمة موحِّدة بالله بعد بعثة النبي محمد ﷺ، ومعهم القرآن كشريعة كاملة.

(التثنية 6:4–8).4:"فاحفظوا واعملوا،لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب الذين يسمعون كل هذه الفرائض فيقولون: هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم وفطن، لأنه أي شعب عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا في كل ادعائنا إليه؟ وأي شعب عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التي أنا واضع أمامكم اليوم؟"

وهذا الشرط لم يتحقق في بني إسرائيل، إذ أنهم فشلوا في أول اختبار عملي بعد خروجهم من مصر، حين عبدوا العجل الذهبي في غياب موسى، كما يروي خروج 32":قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعًا عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلاً مسبوكًا وسجدوا له وذبحوا له، وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر" (خروج 7:32–8).

رعاية الله لإسماعيل وتأكيد الله لوعده لإسماعيل سيصبح امة عظيمة

سفر التكوين 17:21–21

"فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما لكِ يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو. قومي، احملي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر."

الختان كشرط للعهد وختان ابراهيم واسماعيل مع بعضهم قبل ولادة اسحاق تنفيذاً للعهد :

إسماعيل هو أول من اختتن مع إبراهيم، قبل ولادة إسحاق، كتنفيذ مباشر لعهد الله، والختان كان علامة ثابتة على هذا العهد الإلهي، قال الله لإبراهيم:

«وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يختن منكم كل ذكر. فتختتنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينك.» (تكوين 17:10–11)

بعد أن أكمل الله كلامه، نفذ إبراهيم العهد مباشرة مع ابنه اسماعيل:

«فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم. فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته والمبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم، وختن لحم غرلهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله.» (تكوين 17:22–23)

«في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه.» (تكوين 17:26)

ماذا يعني أن الله سيجعله "أمة عظيمة"؟

أوضح موسى لبني إسرائيل في التثنية 4:6–8 معنى "أمة عظيمة"، أنها أمة توحيدية تعبد الله وحده، وتتمتع بشريعة إلهية عادلة، وتكون الأمة قريبة من ربها ويكون ربها قريبًا منها يجيب دعاءها:

(التثنية 4:6–8).4:"فاحفظوا واعملوا،لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب الذين يسمعون كل هذه الفرائض فيقولون: هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم وفطن، لأنه أي شعب عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا في كل ادعائنا إليه؟ وأي شعب عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التي أنا واضع أمامكم اليوم؟"

كبار المفسرين اليهود:

تفسير راشي:

الأمة العظيمة أمة موحدة تعبد الله وحده، والأمم الأخرى عندما ترى شريعتها، يقولون: "حقًا هذه الأمة متميزة بحكمة عظيمة". لأنه أي أمة عظيمة لها آلهة قريبة منها مثل الرب إلهنا؟ الله قريب منهم ويستجيب لدعائهم. بينما باقي الأمم يعبدون آلهة بعيدة وصامتة، نجد الأمة العظيمة لهم إله حيّ حاضر. ويرى أن الشرائع والفرائض للأمة العظيمة ليست بشرية المنشأ، بل إلهية كاملة، وهذا ما يجعلها أسمى من أي نظام قانوني دنيوي.

لذلك، الأمم تشهد أن هذا الشعب "عظيم" لأنه يعيش وفق قوانين غير أرضية، فالأمة العظيمة" هي الأمة التي تتّصل بإلهها مباشرة وتظهر للعالم حكمة خاصة في التشريع وهذه العظمة روحية وتشريعية.

تفسير ابن عزرا (Ibn Ezra):

يرى أن معنى الأمة العظيمة مرتبط بكونهم شعب عنده شريعة إلهية كاملة تختلف عن شرائع البشر، ويوضح أن الأمم الأخرى عندما يرون دقة الشرائع الإلهية وعدالتها، سيقولون: هذه الأمة عظيمة لأنها تسير وفق قوانين مصدرها الله وليس مجرد قوانين بشرية قابلة للفساد.

تفسير الرامبان (Nachmanides)

الأمة العظيمة موحدة تعبد الله وحده، وتجمع بين العظمة والحكمة في التشريع، وفي قربها من الله وحضور الله الدائم معهم.

هل تحققت هذه الشروط في اليهودية؟

هذا الشروط لم تتحقق في اليهودية، لأن التوراة تؤكد بأنها قد حرفت، إرميا 8:8:

"كيفَ تقولونَ: نحنُ حُكماءُ وشريعةُ الرّبِّ معَنا؟ أما تَرَونَ أنَّ قلمَ الكتبةِ الكاذِبَ قد حَوَّلَها إلى الكَذِبِ. خَزِيَ الحُكَماءُ وخابوا"

وباالإضافة الى التحريف، الشريعة نفسها لم تكتمل وليست خاتمة، لأنهم ينتظرون نبي بعد موسى وأن الله وعدهم بأنه سيقيم :

"نبي مثل موسى" (تثنية 18:18)معه شريعة.

ولأن اليهودية ليست لجميع الأمم، فهي قومية عرقية (محصورة في بني إسرائيل) ليست لجميع الأمم والأعراق، و شريعتهم لم تنتشر عالميًا، على عكس الإسلام شريعته شاملة وخاتمة وعالمية.

فهذه الشروط تحققت بصورة واضحة في ذرية إبراهيم من اسماعيل، حين صار العرب أمة موحِّدة بالله بعد بعثة النبي محمد ﷺ، ومعهم القرآن كشريعة كاملة..فتاريخيًا، لا نجد أمة ذات كتاب وتشريع عالمي إلا أمة محمد ﷺ .العرب بني اسماعيل قبل الإسلام لم يكونوا "أمة عظيمة": كانوا قبائل متفرقة تعبد الأصنام لم يكن لهم حضارة جامعة، ولم يصبحوا أمة موحدة الا بعد ما ارسل الله خاتم المرسلين ﷺ فتحققت الشروط وخرج من نسل إسماعيل "أمة عظيمة" لم يعرف لها التاريخ مثيلًا.

سفر ملاخي (1:11) يعلن الله أن اسمه لن يُعبد فقط في إسرائيل، بل في كل مكان، عند الأمم الأخرى:

"لأَنَّهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَرَّبُ لِاسْمِي بَخُورٌ وَتَقْدِمَةٌ طَاهِرَةٌ، لأَنَّ اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ".

فالشعوب غير اليهودية ستتولى حمل التوحيد الصحيح وتقديم العبادة المقبولة. وقد تحقق هذا الوعد بالإسلام، الذي جاء بعبادة موحدة ومنتظمة تشمل جميع الأمم، متمثلة في الصلوات الخمس اليومية: الفجر، الظهر، العصر، المغرب، والعشاء، واتباع تعاليم الله في جميع جوانب الحياة. ومن خلال هذه الشعائر، وحد النبي محمد ﷺ أمم الأرض على عبادة إله واحد، محققًا الوعد الإلهي بأن اسم الرب سيُعظم بين الأمم وتنتشر العبادة الصحيحة على نطاق عالمي.

سفر هوشع (1:9) اليهود ليسوا أمة قريبة من الله:

"لأنكم لستم شعبي، وأنا لا أكون لكم."

إشعياء 65:15: "فتتركون اسمكم لعنة لمختاري، فيميتك السيد الرب، ويدعو عبيده اسماً آخر".

النبوءة بالغة الدقة، فهي تكشف أن الله سيمحو الشريعة البالية والهوية الدينية التي حملها بنو إسرائيل، ويجعلها لعنة ووصمة بدل أن تكون بركة، إشارة إلى زوال امتيازهم كأمة مختارة. "فيميتك السيد الرب" أي أن الرب سيُبطل قوميتهم كشعب مختار، ويجعلهم بلا شريعة حية تبقى غير مكتملة. ثم يعلن أن "المختار" سيأتي، وهو النبي الخاتم محمد ﷺ، الذي أقام شريعة الله "ويدعو عبيده اسماً آخر" إشارة إلى هوية الأمة الجديدة، حيث لم يعدوا يُعرفون باليهود أو بني إسرائيل، بل صاروا يُدعون "المسلمين" أي الخاضعين لإرادة الله ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الحج: 78].

هل تحققت الشروط في الإسلام ؟

قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[سورة التكوير: 27] أي ليس حصراً على العرب أو غيرهم.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سبأ: 28] للبشرية كافة.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186] قرب هذه " الأمة العظيمة" من الله وحضور الله الدائم معهم.

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة: 127–129].

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: 158]

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان: 1]

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[سورة النساء: 105] شريعة إلهية عادلة للبشر كافة. فهذه الأمة عظيمة تسير وفق قوانين مصدرها الله وليس مجرد قوانين بشرية قابلة للفساد.

العهد الجديد والأمة الجديدة: بزوغ الرسالة العالمية وتحقيق الوعد الإلهي:

بعد السبي البابلي، شرع بعض كتاب بني إسرائيل في تعديل النصوص التوراتية عبر إضافات متكررة لنصوص العهد الخاصة بإسماعيل ونسبها لإسحاق والوعود الخاصة بإبراهيم ونسبتها فقط لإسحاق واقصاء إسماعيل، وذلك من خلال تكرار سياق النصوص بشكل متعمد، واضافة اسم إسحاق على هذه النصوص اللاحقة، بمحاولة بائسة لتحويل العهد الى العرق اليهودي، أمثلة على ذلك:

الوعد لإبراهيم (سفر التكوين 12:1–3 و12:7)

1. " 12:1وقال الرب لإبراهيم: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك".

2. " 12:7وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض".

3. وعد الله بإعطاء الأرض، وجعل إبراهيم أمة عظيمة، وبركة، وجعل اسمه عظيماً.

4. " وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض".

الوعد لإسحاق (سفر التكوين 2:26–4)

1. "وظهر له الرب وقال: لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك".

2. "أكون معك وأباركك، ولنسلك أعطي هذه الأرض".

3. "وأعطي نسلك جميع هذه البلاد، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض".

نرى في النصوص التوراتية محاولة واضحة لتكرار سياق الوعود وإعادة نسبتها لإسحاق، لإعطاء مكانة سياسية ودينية لبني إسرائيل على حساب نسل إسماعيل.

ونجد إضافة بعد وعد إسماعيل: أَمَّا إِسْمَاعِيلُ، فَقَدِ اسْتَجَبْتُ لِطِلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقّاً، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِراً، وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَهُ جِدّاً فَيَكُونُ أَباً لاثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً، وَيُصْبِحُ أُمَّةً عظيمة21 .غَيْرَ أَنَّ عَهْدِي أُبْرِمُهُ مَعَ إِسْحاقَ الَّذِي تُنْجِبُهُ لَكَ سَارَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ

ولم يبرروا مؤلفي النص لما أقصوا إسماعيل من العهد فلم ينسب الى الطفل إسماعيل أي عمل مشين حتى يستحيل إقامة عهد معه!:

فإسماعيل لم يأتي نتيجة لعنة زنا المحارم كما أتى إسحاق،فبحسب سفر التكوين 12:20، إبراهيم تزوج أخته:

"وبالحقيقة أيضا هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي، فصارت لي زوجة".

وهذا يضع مولده في سياق علاقة محرمة بحسب الشريعة نفسها:

"ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه." (التثنية 22:27)

بل إسماعيل جاء من زواج شرعي وليس نتاج لعنة زنا المحارم كما اسحاق: "فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشَرِ سِنِينَ لإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَعْطَتْهَا لأَبْرَامَ رَجُلِهَا زَوْجَةً لَهُ. سفر التكوين 16: 3

فولدت هاجر لإبرام ابنا ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل. سفر التكوين 16: 15

واسماعيل لم ينصب ويكذب على أبيه ويسرق بركة أخيه كما فعل يعقوب في سفر التكوين 27: 19.

وإسماعيل ولا حتى نسله لم يخونوا العهد والوعد وتصرفوا بوحشية كما فعل بنو يعقوب مع بيت شكيم كما في (تكوين 25: 29–34)

وإسماعيل لم يرتكب زنا المحارم كما فعل يهوذا في سفر التكوين 38: 15–18، ومن نسل يهوذا جاء أنبياء كثيرون نتيجة زنا محارم مثل داوود وسليمان وعيسى.

وإسماعيل لم يزني كما زنى داوود كما نسب له في سفر صموئيل الثاني 11: 3–4.

واذا كان الادعاء أنه ابن جارية وهو ادعاء باطل، فبحسب النص التلمودي Genesis Rabbah 45:1)

أن هاجر كانت ابنة فرعون مصر، وفرعون، بعد أن رأى المعجزات، قال: "أفضل أن تكون ابنتي جارية في هذا البيت (بيت إبراهيم) على أن تكون سيدة في بيت آخر" ومنح جميع ممتلكاته، بما في ذلك هاجر، لإبراهيم.

وحتى لوكانت جارية بحسب الادعاء، فحسب الشريعة التوراتية يرث الولد من أبيه، فالله أورث جميع أبناء يعقوب ونسلهم بما فيهم أبناء الجاريتين ونسلهم بِلْهَةَ جَارِيَةِ ، وبنو الجارية زِلْفَةَ سفر التكوين 35: 25–26.

ولا بأس أن نفترض، لمجرد "المجاملة الأدبية"، أن الوعود أعطيت لإسحاق وحده، كما أحب مؤلفو النصوص أن يُوهمونا بإضافاتهم اللاحقة. فالغريب أنهم نسوا أهم شيء: أن العهد مشروط بالطاعة والالتزام بشريعة الله، وليس فقط بالوراثة البيولوجية. فكل محاولاتهم لتزيين النصوص وإظهار "أسبقيتهم" تتبدد أمام بساطة الشرط الإلهي:

نص تثنية 15:28:

«ولكن إذا لم تطيع الرب إلهك ولم تحافظ على جميع وصاياه وشرائعه التي أنا آمرك بها اليوم بحرص، فستحلّ عليك كل هذه اللعنات وتلحقك»

نص تثنية 15:28 يوضح أن العهد مع الله مشروط بطاعة أوامره واتباع فرائضه بدقة. فالعلاقة بين الله والشعب ليست انتماء دموي أو نسب، بل تقوم على الالتزام بالشريعة والطاعة، وأي تقصير يؤدي إلى تبعات وعقوبات محددة، وهذا يؤكد أن الوعد والبركة مشروطان بالامتثال.

إبلاغهم بقطع العهد: ارميا 31:31–32

"ها ايام تأتي... اقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا. ليس كالعهد الذي قطعته مع ابائهم... فنقضوا عهدي" فنقضوا عهدي". العهد القديم قد نقض، وسيستبدل بـ "عهد جديد"، فعهدهم بالأرض والشريعة انتهى.

"فانهم نجسوا عهدي" (حزقيال 16:59)

طرد نسل بني اسرائيل ارميا 12:7–15

"فاذهبوا الى موضعي الذي بشلوه... ورأوا ما صنعت به من اجل شر شعبي اسرائيل. والان... (اطردكم من امامي كما طردت كل اخوتكم، كل نسل افرايم)". هنا الله يقول بوضوح: كما طرد نسل افرايم (احدى اسباط اسرائيل)، سيطرد باقي الشعب ويستبدلهم.

المسيح يؤكد لهم أنه سيتم استبدالهم– متى 42:21–46

تُعد متى 42:21–46 آية محورية يتحدث فيها يسوع عن رفض القادة الدينيين اليهود ونقل ملكوت الله إلى أمة أخرى:

قال لهم يسوع: "ألم تقرأوا في الكتب: "الحجر الذي رفضه البناؤون صار رأس الزاوية؛ هذا من عند الرب، وهو عجيب في أعيننا"؟ لذلك أقول لكم إن ملكوت الله سيُؤخذ منكم ويُعطى لأمة تُنتج ثماره".

يبلغهم يسوع بنقل القيادة السلطة الروحية إلى جماعة أخرى من خارج بني اسرائيل أكثر وفاءً في أداء مهمة الله.

اشعياء 65:15 النص يوضح بان اسرائيل سيفقدون امتيازهم، ويصير اسمهم لعنة بين الشعوب: "تتركون اسمكم لعنة لمختاري، فيميتك السيد الرب، ويسمي عبيده اسما اخر". فالله منح الرسالة لشعب اخر يعرف باسم جديد غير اسرائيل. اما عن هوية الامة البديلة، فان الانبياء أنفسهم اوضحوا ان الشريعة والحق سيخرجان عبر نبي عالمي، ليس محصورا في بني اسرائيل.. ففي اشعياء 1:42–4 يبشر بعبد مختار يخرج الحق للامم كلها" هوذا عبدي الذي ادعوه المحبوب نفسي عليه ساتكل اليه روحي يخرج الحق للامم لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته"

الإبلاغ بالاستبدال بالعرب:

وتوضح لهم النصوص المقدسة لهم من أي أمة سيخرج العبد المختار للأمم ومع أي أمة سيقيم الله العهد الجديد. في تثنية 32:21 حيث يعلن الرب انه سيستبدل اسرائيل بأمة أخرى اعلان مجيء عهد جديد مع أمة أخرى:

"هم اغاروني بما ليس الها فانا اغيرهم بما ليس شعبا بأمة جاهلة اغيظهم"

أي قدوم امة جديدة تحل محل بني اسرائيل في حمل الرسالة. الله سيقيم امة جديدة توصف بانها "جاهلة" او "امية" من منظور بني اسرائيل، اي انها لم تتعلم على ايدي الأنبياء، لكنها ستنال الوحي مباشرة من عند الله. ويقام فيهم نبي، وتصبح أمتهم "امة عظيمة" توحيدية كما وعد الله اسماعيل الابن البكر لإبراهيم، اذ كان يقال عنهم "الاميين"

"هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم" [سورة الجمعة)

فرسالة الإسلام، التي تتجاوز حدود العرق والجنس، هي التجسيد الحقيقي لهذا الوعد، محققة البركة لجميع الأمم من خلال الإسلام.

الإسلام ليس رسالة محصورة في جنسية معينة، بل هو دعوة عالمية تهدف إلى توحيد البشرية على أساس العدل والإيمان. ومن خلال الإسلام، تحقق النبوءة الإلهية بأن يكون نسل إبراهيم سببًا لبركة البشرية. وفي الإسلام، لا تفوق لمجموعة على أخرى بسبب العرق أو النسب، فالميزان الوحيد هو التقوى، كما ورد في القرآن:

"إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات 49:13).

مفهوم «الشعب المختار» في الإسلام ليس تمييزًا عرقيًا، بل هو مسؤولية وواجب لنقل رسالة الله إلى جميع الناس. فالاختيار في الإسلام يعني الثقة بالحق وواجب نشره، دون احتكار أو تعالٍ.

"لا فضل لعربي على غيره أو لشخص على آخر إلا بالتقوى" كما قال النبي ﷺ.

العظمة الحقيقية تكمن في القدرة على حمل هذه الأمانة، والتمسك بتعاليم الله، ونشرها بإخلاص. هذه هي الرسالة التي تحملها الأمة الإسلامية كأحفاد إبراهيم، وهي المسؤولية التي يجب أن تظل حية في قلوب المسلمين كمهمة عالمية، وليست امتيازًا لمجموعة معينة على الآخرين.

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: 78]

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: 130]

وعد الله لإبراهيم من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ستكون لنسله الذي سيقيم العهد معهم:

"أقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك... وأعطي لك ولنسلك... كل أرض كنعان ملكاً أبدياً." سفر التكوين17 7–8

"في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا، قائلًا:

لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات." (تكوين 15:18)

ولم يسيطر بني إسرائيل على جميع الأراضي المذكورة بحسب التوراة، فلم يتحقق الوعد التاريخي لاحقًا الا على يد نسل إسماعيل متسقاً مع وعد الله ومع النبوءات، فأمة محمد ﷺ، قد ورثت الأرض بالتوحيد وطاعة الله واتباع تعاليمه، خلال الفتوحات الإسلامية بين 632–750م في عهد الخلافة الراشدة والأموية.

كما نبأ بذلك خاتم المرسلين محمد ﷺ حيث قال: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها."

وهذا ما نبأ عنه سفر دانيال (2:31–45)

في سفر دانيال (2:31–45)، يحكي النبي دانيال عن رؤية حلم الملك نبوخذ نصر:
رأى ملكًا ضخمًا على شكل تمثال مكون من عدة مواد مختلفة، وكل جزء يرمز إلى إمبراطورية عظيمة متعاقبة:

1. رأس من ذهب :يمثل مملكة بابل، عصر الملك نبوخذ نصر.
2. صدر وذراعان من فضة :تمثل الممالك التي تلت بابل، مثل فارس وميديا.
3. بطن وفخذان من نحاس :تشير إلى المملكة اليونانية.
4. ساقان من حديد :تمثل الإمبراطورية الرومانية، قوية وقاسية.
5. أقدام من حديد وخزف :تمثل آخر الممالك البشرية، ضعيفة ومقسمة، غير مترابطة.

ثم يظهر حجر يُقطع بلا يد، ويصدم التمثال في أقدامه، فيسحقه كله ويصبح ملكًا لا يد له، أبديًا ومقدسًا .هذا الحجر يرمز إلى سلطة الله المباشرة على الأرض، التي لا يقهرها أحد.

"فرأيت حجرًا قُطع بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما" (دانيال 2:34). هذا الحجر الذي دمر التمثال يرمز إلى ملكوت الله في الأرض الذي سيقوم بعد انهيار تلك القوى .

ونرى هذا الحجر تحقق عمليًا في بعثة النبي محمد ﷺ، حين كان المسلمون في أصعب لحظات معركة الخندق يحفرون الخندق بأمر النبي ﷺ، فأصاب المعول صخرة صلبة فاضطر النبي ﷺ لضربها ثلاث ضربات. وكل ضربة كانت نورًا ومعها بشارة:

"الله أكبر! أُعطيت مفاتيح الشام"...

"الله أكبر! أُعطيت مفاتيح فارس"...

"الله أكبر! أُعطيت مفاتيح اليمن"...

فقد تحققت النبوءة العملية لحجر دانيال، إذ أنه بعد انهيار القوى القديمة (الإمبراطوريات المتفرقة)، أصبح ملوك الأرض والسيادة بيد أمة محمد ﷺ، محققين وعد الله لأبراهيم ونسله من إسماعيل ﷺ. الفتوحات الإسلامية بين عام 632–750م أكملت هذا التنفيذ، منتقلة بالسيادة الروحية والسياسية إلى أمة الإسلام كما تنبأ. دانيال (7:27)

"ومُلكه وملكوته وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطى لشعب قديسي العلي. ملكوته ملكوت أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون". وهي نبوءة انتشار وعالمية الإسلام بعد فتح مكة وانتشاره في الأرض.

كيف حقق الإسلام البركة العالمية؟ وتتبارك فيك جميع أمم الأرض..

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾]الأعراف: 157[

وهي الرسالة التي حملها المسلمون في فتوحاتهم الأولى، والتي لخصها أحد رسلهم رِبْعِيَّ بن عامر في مجلس يزدجر ملك إيران عندما سأله: "ما جاء بكم؟ فقال: اللّه ابتعثنا لنخرج مَنْ شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللّه، ومِنْ ضيق الدنيا إلى سَعَتها، ومن جَور الأديان إلى عَدْل الإِسلام، فأرْسلنا بدينه إلى خلقه لندعوَهم إليه"

جاء الإسلام حدثًا فارقًا في التاريخ البشري، لم يكن مجرد دين جديد بين الأديان، بل مشروعًا إلهيًا لإعادة صياغة الحياة برمّتها. لقد جاء برسالة توحيد خالص لله، نزع بها من قلب الإنسان كل تبعية للكهنة والسدنة والوسطاء، وردَّه إلى أصله الحرّ الكريم: عبدٌ لله وحده، لا يخضع إلا لسلطانه. وبهذا أعاد الإسلام للإنسان كرامته، وجعل علاقته بربه مباشرة صافية، لا تحجبها سلطة دينية ولا قوة دنيوية.

ولم يتوقف أثر الإسلام عند البعد العقدي أو الروحي، بل انبثق عنه نظام شامل للحياة، جمع بين الإيمان والعمل، بين العقيدة والتشريع، بين العبادة والعدالة الاجتماعية. فجعل العبادة وسيلة لتزكية النفس وإصلاح المجتمع، وأقام منظومة أخلاقية ثابتة كالعدل والرحمة والإحسان، ونظّم العلاقات بين الناس على قاعدة المساواة والحقوق المتبادلة.

وكانت ثمار هذه الرسالة واضحة :مجتمع متماسك وواعٍ، تُصان فيه الحقوق، وتُحفظ فيه الكرامة، وتنتشر فيه الطمأنينة، وتزدهر فيه العلوم والفنون والمعارف. وبفضل الإسلام، أُسّست حضارة إنسانية فريدة، لم تقتصر بركتها على المسلمين وحدهم، بل امتدت إلى العالم كله، فأضاءت أوروبا المظلمة، وأنقذت البشرية من عصور طويلة من الجهل والاضطراب والفساد.

إن الإسلام لم يكن مجرد عقيدة فردية، بل مشروع نهضة كونية، أعاد التوازن الروحي والأخلاقي والاجتماعي إلى العالم، وفتح للبشرية أبواب التنمية والرفاهية، وأرسى دعائم العدل بين الناس كافة، لتتحقق فيه بشارة القرآن "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين."

شريعة شاملة للحياة

لم يكن الإسلام دينًا طقوسيًا يقتصر على الشعائر الفردية، بل جاء بمنظومة متكاملة تنظم حياة الإنسان في كل أبعادها. فالعبادات فيه لم تكن مجرد حركات أو أقوال، بل مدرسة للروح والجسد؛ الصلاة تغرس الانضباط والطهارة، والصوم يعلّم الصبر وضبط الشهوات، والزكاة تربط الفرد بمجتمعه عبر التكافل، والحج يجمع المسلمين من كل فج عميق في مؤتمر عالمي للوحدة والمساواة.

أما في الاقتصاد، فقد حرر الإسلام الناس من استغلال المرابين والتجار الجشعين بتحريم الربا والاحتكار، وأرسى مبدأ الشفافية في العقود والمعاملات. ومع فريضة الزكاة والصدقات الجارية، تكوّن نظام اقتصادي عادل يضمن دوران الثروة وعدم تراكمها في يد فئة قليلة.

وفي الأسرة والمجتمع، صاغ الإسلام ميثاقًا محكمًا يحفظ الكرامة الإنسانية: الزواج مودة ورحمة، الميراث عدل لا يعرف المحاباة، والمرأة كائن كامل الحقوق لا متاع تابعًا للرجل، والطفل له حق في التربية والتعليم والرعاية. حتى اليتيم والفقير كان لهما نصيب معلوم من العناية والرعاية، ما جعل المجتمع الإسلامي متماسكًا كالبنيان.

ولحماية هذا الكيان، جاء نظام العدالة في الإسلام جامعًا بين الصرامة والرحمة؛ فالعقوبات تردع المجرمين وتحمي المجتمع، لكن باب التوبة مفتوح دائمًا، ليبقى القانون وسيلة إصلاح قبل أن يكون أداة قمع. وفي الحكم والسياسة، لم يعرف المسلمون استبدادًا مطلقًا، فقد ابتكر الإسلام نظام الشورى والمساءلة، وجعل الحاكم خادمًا للأمة ومسؤولًا أمام الله والناس، لا طاغية متسلطًا كما كان في حضارات أخرى.

ولأن الجسد السليم أساس الروح السليمة، ربط الإسلام بين الدين والصحة: فرض الوضوء والاغتسال، ونشر ثقافة الحمامات العامة والنظافة الشخصية، واهتم بتنظيم المدن بالأسواق النظيفة والمجاري، فكان المسلمون رواد الصحة العامة في زمن كانت أوروبا تعاني فيه من الأوبئة والقذارة.

يصف المستشرق الإنجليزي جوزيف ماك في كتابه مدنية المسلمين في إسبانيا حال أوروبا آنذاك: "أمهات المدن الأوروبية لم توجد فيها قنوات لصرف المياه القذرة حتى بعد مضي ستمائة سنة من ذلك التاريخ، فكانت المياه المنتنة النجسة تجري في طول شوارع باريس ولندن غير المبلطة أو تتجمع لتكوّن حياضًا. ولم يكن فيها حمام واحد، وكان أشراف أوروبا، رؤساء الإقطاع، منهمكين في الرذائل، إلى حد يحجم الإنسان عن وصفه... وكان الناس والكلاب ينجسون المحلات إلى حد يعجز عنه الوصف".

ويشير الرحالة أحمد بن فضلان إلى أن الأوروبيين كانوا "أقذر خلق الله، حيث لم يكونوا يستنجون من البول أو الغائط"، مما أدى إلى انتشار الأمراض والأوبئة التي فتكّت بالملايين. وكان مسيحيو العصور الوسطى ينهون عن النظافة ويعتبرونها من أعمال الوثنيين، حتى أن راهبة دونت في مذكراتها أنها لم تمس الماء إلا أناملها طوال ستين عامًا، مستخدمة ماء الكنيسة فقط. وقد كانت الكنيسة تحرم الاستحمام إلا في المناسبات، فكان الأوروبيون يستحمون مرتين في السنة فقط، حتى أن الملوك لم يسلموا من هذه العادة القاسية، إذ كان خدمهم يشمئزون من رائحتهم، بحجة أن كثرة استعمال الماء قد تسبب هشاشة العظام، فمات الكثيرون بسبب الإهمال في النظافة الشخصية.

وتصف المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها شمس الإسلام تسطع على الغرب إضاءة شوارع مدن المسلمين بمصابيح الغاز بأنها كانت مصدر إلهام وغرابة للغربيين: ففي مدن المسلمين كقرطبة كانت الشوارع تزدان بثمانين ألف متجر، مضاءة ليلاً بمصابيح مثبتة على جدران المنازل، وتباشر أعمال النظافة فيها عربات القمامة التي تجرها الثيران، قبل أن تتخذ باريس قرطبة مثالًا لها في رصف الشوارع وتنظيفها بعقود من الزمن.

ويؤكد المؤرخ الفرنسي جيبلرت سينويه فضل المسلمين على أوروبا في هذا المجال قائلاً: "كان للمسلمين خلال فترة الدولة العثمانية فضل واسع جدًا في حث الناس والأوروبيين على النظافة الشخصية، فقد تعلموا منهم الاستحمام بشكل دائم، وأدخلوا لهم الصابون والمعطرات المستخلصة من الأعشاب، وفكرة تغيير الملابس وغسلها من حين لآخر فكانت أجساد لا تعرف النظافة، وعقولهم جاهلة مظلمة".

أما العلم، فقد اعتبره الإسلام فريضة على كل مسلم، فانبثقت المدارس والجامعات والمكتبات في المدن الإسلامية الكبرى، وانطلقت الحضارة العلمية في شتى المجالات، لتقدّم للبشرية ثروة معرفية هائلة أثّرت في أوروبا والعالم لاحقًا. في الطب والصيدلة، برز علماء كابن النفيس، الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل وليم هارفي بثلاثمائة عام، والرازي، الذي فرّق بين الجدري والحصبة واستخدم الكحول طبيًا، وأبو الريحان البيروني الذي وصف الأدوية الهندية بدقة، والحسن بن الهيثم الذي قدّم شرحًا تفصيليًا لتشريح العين ووضع أسس علم البصريات.

وفي الهندسة والميكانيكا، أبدع بنو موسى (القرن التاسع) بآلاف الاختراعات الميكانيكية في كتاب الحيل، بما في ذلك الصمامات والنوافير ذاتية الحركة، وابتكروا فكرة "الروبوتات" المبكرة، بينما أطلق الجزري لقب "أبو الهندسة الميكانيكية"، وابتكر الساعات المائية والآلية، ومضخة الماء ذات الأسطوانتين التي مهدت لاحقًا لمحركات الاحتراق الداخلي.

أما الكيمياء والصناعات، فقد قادها جابر بن حيان بتجارب حمضية رائدة تحضّر حمض الكبريتيك والنيتريك والماء الملكي القادر على إذابة الذهب، بينما أسهم الكندي في تطوير العطور والصابون وطرق التقطير. وكان المسلمون السبّاقين في صناعة الورق في بغداد، والصابون الصلب في قرطبة، والكحول الطبي للاستخدامات العلاجية.

وفي الفلك والملاحة، وضع الفرغاني (القرن التاسع) وكتابه الأسس التي استفاد منها كولومبوس، وحدّد البيروني نصف قطر الأرض بدقة مذهلة، واخترع الكاشي الكسور العشرية ومهد لعلم اللوغاريتمات. وابتكر المسلمون أدوات الملاحة مثل الإسطرلاب المطوّر والربع المجيب، وساهموا في رسم خرائط دقيقة ساعدت الأوروبيين في عصر الاكتشافات.

أما في الزراعة والعلوم الطبيعية، فكانوا روّادًا في أنظمة الري وبذر محاصيل جديدة وصلت أوروبا مثل السكر والقطن والأرز والحمضيات، وجمع ابن البيطار أكثر من 1400 نبات طبي في موسوعته الجامع لمفردات الأدوية.

أما علم الطيران، فقد بادر المسلمون إلى دراسة حركة الطيور والرياح لتصميم آلات طائرة بدائية، وقد تجلّى ذلك بوضوح في كتابات كتاب ابن سينا والجزري والبيروني الذين بحثوا في ديناميكيات الهواء، وقاموا بتجارب على الطائرات الورقية والمراوح والآليات الطائرة الصغيرة، لتحديد مبادئ التوازن والرفع والتحكم، وهي الأسس التي استفاد منها لاحقًا علماء أوروبا في بدايات الطيران الحديث. كما استلهم الباحثون الأوروبيون لاحقًا من كتابات المسلمين مبادئ التصميم الميكانيكي والديناميكي للطيران، لتتطور التجارب إلى الطائرات في القرون الوسطى المتأخرة وعصر النهضة.

وفي الفلسفة والعلوم الإنسانية، قدّم المسلمون إسهامات بالغة الأهمية في دراسة النفس البشرية والمجتمع والكون. أسس العلماء المسلمين علوم المنطق والفلسفة السياسية والاجتماعية، وكتبوا عن "المدينة الفاضلة" وكيفية تنظيم المجتمع لتحقيق السعادة الفردية والجماعية، وأسس ابن خلدون علم الاجتماع والتاريخ الاقتصادي، وفلسفة صعود وسقوط الدول التي أثرت لاحقاً على فكر فلاسفة أوروبا، وأرسى الفارابي أسس الموسيقى النظرية وآلاتها العلمية، كما وضع الموسيقي الأندلسي الشهير زرياب أسس علم "فن الذوق العام" ما يسمى اليوم بـ"الإتيكيت"، بالإضافة إلى إسهاماته في تطوير الموسيقى والآلات الموسيقية وفنون الموضة.

لقد أسهم هذا الإرث العلمي الضخم في نقل أوروبا من العصور المظلمة إلى عصر النهضة، فاعتمدت جامعاتها على كتب المسلمين في الطب والرياضيات، وقامت الثورة العلمية على تراث ابن الهيثم والخوارزمي والبتاني، ونهضت النهضة الطبية في إيطاليا وفرنسا على الزهراوي وابن سينا، وشرع عصر الاكتشافات الجغرافية بفضل خرائط الإدريسي وحسابات المسلمين الدقيقة في الفلك والملاحة.

لقد جسّد المسلمون معنى البركة الموعودة، فانتشرت علومهم وفنونهم إلى الغرب، وكانت أساس النهضة الأوروبية. فالإسلام ليس دينًا للمسلمين وحدهم، والبركة ليست حصراً عليهم، بل رحمة للعالمين، يشع نوره في كل مجال من مجالات الحياة.

وهكذا كان الإسلام نفحةً سماويةً أعادت للوجود توازنه، ومنحت الإنسان معنى جديدًا لذاته ودوره في هذا الكون. لم يأتِ ليكون طقسًا يُؤدَّى أو شعيرةً تُمارَس وحسب، بل جاء ليعيد صياغة الإنسان من الداخل: عقلًا حرًا، وروحًا طاهرة، وجسدًا نقيًا، وقلبًا مفعمًا بالعدل والرحمة. لقد صاغ توازنًا بديعًا بين مطالب الجسد واحتياجات الروح، فجعل حياة الإنسان موصولة برعاية إلهية وغاية سامية، وحوّل سعيه في الدنيا إلى زادٍ لرحلته

الأبدية، فوحّد حركة الإنسان في سعيه نحو الله مع جهده العملي في عمارة الأرض، ليغدو كل عملٍ عبادة، وكل عبادةٍ لبنةً في بناء حياة أرقى وأسمى.

وحين أشرقت أنوار هذه الرسالة، تبددت عتمة القرون، وتحول الشرق إلى منارة علمٍ وحكمة، تتفيأ ظلالها الإنسانية جمعاء. صارت بغداد وقرطبة ودمشق محاريب للعلم والمعرفة، يقصدها الطلاب من أقصى أوروبا طلبًا للنور. وفي كل ذلك كانت البركة تمتد: في فكرٍ يحرر، وفي عدلٍ يوازن، وفي رحمةٍ تشمل الخلق جميعًا.

إن الإسلام لم يكن يومًا حكرًا على أمة دون أخرى، بل كان هبةً كونيةً تتبارك بها الأرض كلها، ورحمةً شاملةً تعيد للإنسان إنسانيته، وتغرس في قلبه اليقين بأن الله أقرب إليه من حبل الوريد ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ سورة ق16 .. ومن هنا بقي صدى رسالته خالدًا، يذكّر البشرية في كل عصر أن النور الحق العالمي لا يُطفأ، وأن البركة العالمية التي وعد الله بها قد تحققت، وستظل تتدفق ما دامت السماوات والأرض.

هل ذكرت مكة في الكتاب المقدس؟

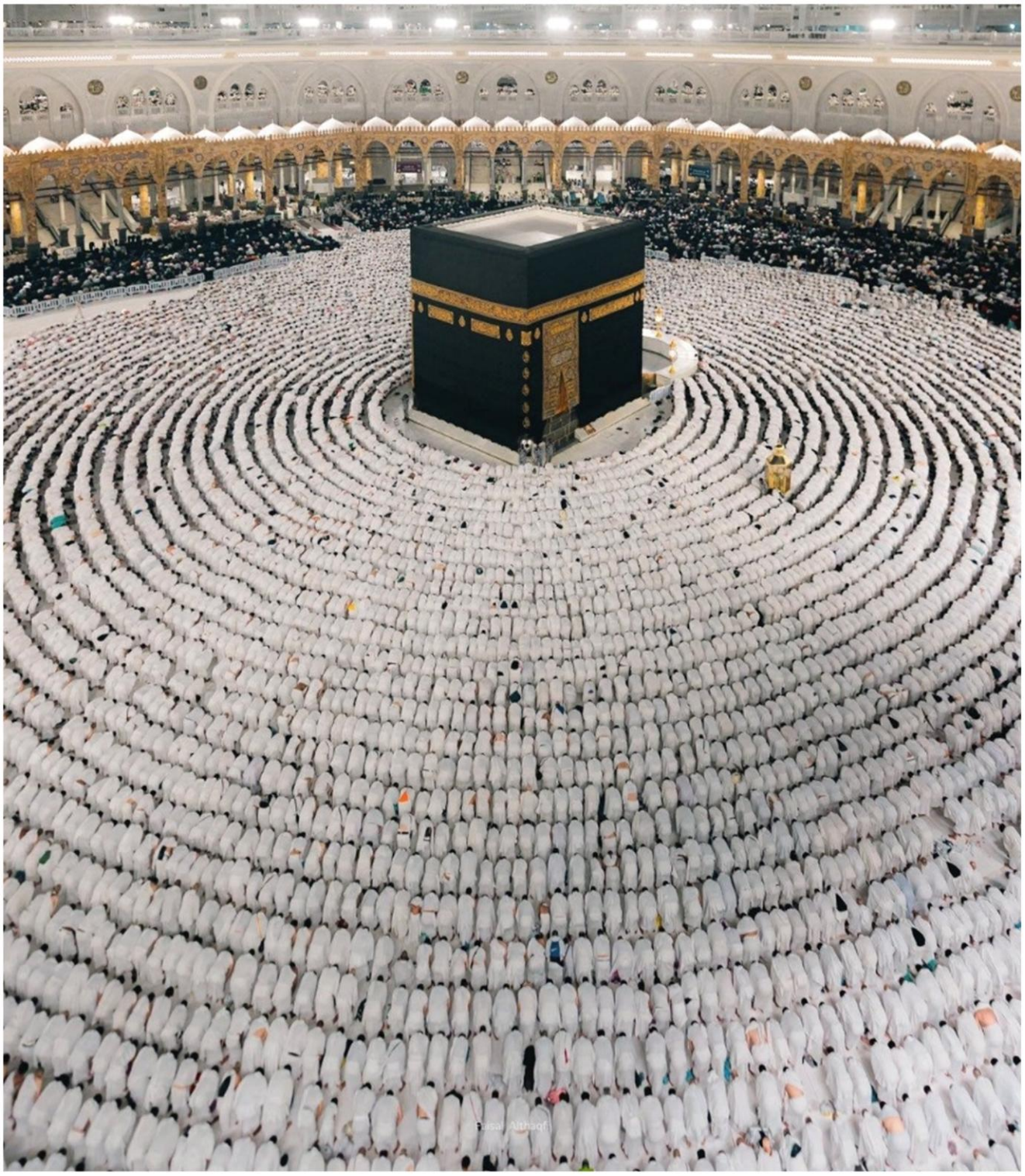

مكة أورشليم الجديدة:

في رؤيا يوحنا (21:9–11، 16–17، 24–27) يُصوَّر المشهد السماوي لمدينة مقدسة، ، "أورشليم الجديدة، نازلة من السماء من عند الله" "كانت لها مجد الله، وضاءت كما كان للحجر الكريم الياقوت، وكانت كالزجاجة المنقاة". هذا الوصف يعكس النقاء الكامل والقداسة المطلقة، الذي يجمع المؤمنين من كل الأمم.

رؤيا يوحنا 21:16:

"وكان طولها وعرضها وارتفاعها سويًا. فكان المدينة مكعبة، وكان طولها كعرضها".

وصف دقيق للكعبة المشرفة التي تمثل مركز العبادة والهداية للمسلمين.

رؤيا يوحنا 21:17:

"وأسقفها من ياقوت، والمدينة مصفاة".الأسقف والمدينة المصفاة رمز للنقاء الكامل والقداسة المطلقة .

رؤيا يوحنا 21:24–27:

"وتمشي الأمم في نورها، وملوك الأرض يجلبون مجدهم إليها. لن تُغلق أبوابها أبدًا، لأنه لن يكون هناك ليالٍ، وسيأتي إليها مجد وكرامة الأمم. لن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع القبيح إلا الذين كتبت أسماؤهم في سفر حياة الخروف".

الأمم تمشي في نور المدينة، أي يسلكون طريق الهداية والحق، والكعبة تستقبل ملايين المؤمنين من كل الأمم. الأبواب المفتوحة دائمًا ترمز إلى استمرارية الوصول للهداية والعبادة.الطهارة والقداسة محفوظة: لا يدخل المدينة إلا المؤمنون النقيون الذين كتبت أسماؤهم في سفر حياة الخروف: أي الذين اتصفوا بالنقاء الإيماني والتقوى الحقيقية..

لا يدخل أورشليم إلا المؤمنون: إشعياء 35، 8:

وتكون هناك سكة وطريق يقال لها "الطريق المقدسة". لا يعبر فيها نجس، بل هي لهم. من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل.

إشعياء 35، 8:

وتكون هناك سكة وطريق يقال لها "الطريق المقدسة". لا يعبر فيها نجس، بل هي لهم. من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل.

أي من يسلك الطريق لن يضل لأنه موضح على السكة الطريق، ومن يدخل المدينة يكون قد استعد روحانيًا.

إشعيا 52، 1:

استيقظي، استيقظي! البسي عزك يا صهيون، البسي ثياب جمالك يا اورشليم، المدينة المقدسة، لأنه لا يعود يدخل فيك فيما بعد أغلَف (غير مختون) ولا نجس (كافر).

أي أن المدينة المقدسة محمية من كل من لم يتم تطهيره وفق الشريعة أو من كل من يحمل نجاسة روحية أو جسدية. مقفلة على كل من لم يكن مستعدًا روحانيًا.

الحج الى مكة :

"طوبى للساكنين في بيتك، فهم يسبحونك إلى الأبد. طوبى للذين فيك قواهم، الذين عزموا على الحج. يمرون بوادي بكة، فيجعلونه ربيعًا، ويغمره ربيع الخريف ببركة" مزمور 84:4.

"إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ"الآية 96 من سورة آل عمران.

بداية الهجرة الى مكة: "فمضت وتاهت في برية بئر سبع" (تكوين 21:14)

ورد في سفر التكوين 21:14–21 أن ترك إبراهيم هاجر وإسماعيل في برية "بئر السبع"، والذي سمي بذلك بعدما ظهر ملاك الرب لها وبشّرها بأن ابنها إسماعيل سيكون "أمة عظيمة"، ثم "فتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء" فذهبت وملأت القرْبة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر.

في النص العبري، كلمة שֶׁבַע (شيفا) تعني حرفيًا الرقم سبعة .(7) فحسب قصة هاجر في مكة، فإن التعبير "بئر السبع" أو "بئر الأشواط السبعة" يُشير إلى عدد الأشواط التي قامت بها هاجر بين جبلي الصفا والمروة بحثًا عن الماء، أي سبع مرات ذهابًا وإيابًا (أو سبع "رحلات" كاملة).

الرواية الإسلامية:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: عن النبي ﷺ: جاء إبراهيم ﷺ بأم إسماعيل وبابنه إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يؤمئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هناك، ووضع عندهما جراب فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، قالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا، ثم رجعت. فانطلق إبراهيم ﷺ، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، رفع يديه فقال: ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادي غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون [إبراهيم:37]. وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال: يتلَبَّط فانطلقت كرها أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض إليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا. هبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، قامت عليه، فنظرت هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا، فعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: ذلك سعي الناس بينهما. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا،

فقالت: صه تريد نفسها ثم تسمعت، فسمعت أيضا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث فأغث. فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء، جعلت تحوضه وتقول بيده هكذا، وجعلت تغرف الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف وفي رواية: بقدر ما تغرف. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال: لو لم تغرف من الماء، لكانت زمزم عينا معينا. فشربت، وأرضعت ولدها. قال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هنا بيت لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيّع أهله، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالربية تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وعن شماله. فكان كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرا عائفا فقالوا: إن هذا الطائر يدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريا أو جريين، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا، وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذن لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فألفى ذلك أم إسماعيل، وهي تحب الأنس. فنزلوا، فأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، حتى إذا كانوا بها أهل أبيات، شب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك، زوجوه امرأة منهم.

وبعد واقعة الذبيح، عندما اختار الله إسماعيل كذبيح قبل ولادة إسحاق، حيث نرى في سفر التكوين (إصحاح 22) يزعم أن الله أمر إبراهيم بذبح إسحاق، ولكن:

فقال: «خذ ابنك الوحيد الذي تحبه، إسحاق، واذهب إلى أرض الموريا، وقدمّه هناك محرقة على أحد الجبال التي أريك" سفر التكوين 22:2

النص الحالي يظهر جملة مثل: "خذ ابنك وحيدك"، وهنا يبرز التناقض الصارخ :فالحديث عن "ابنك الوحيد" لا يتوافق مع الواقع، خاصة وأن إبراهيم كان لديه إسماعيل أيضًا. هذا التناقض ليس عفويًا أو نتيجة خطأ عابر، بل يبدو متعمدًا، كنوع من التلاعب بالنص لتسليط الضوء على إسحاق كحامل للعهد، ووضعه في موقع محوري.. والنص يقول خذ ابنك وقدمه للمحرقة! في مشهد طقس حرقي عبثي، فما هذه المحرقة؟ فيبدو أن مؤلفي النص احتاروا تمامًا: هل نجعل الحدث دراميًا بحرق الابن؟ أم نختصره بالذبح؟

وبالتالي، يضع المؤلفون أنفسهم في مأزق منطقي :من جهة، يرغبون في تحويل العهد من إسماعيل إلى إسحاق، ومن جهة أخرى، يقدّمون نصًا يتناقض مع الواقع التاريخي للحدث وشخصياته. هذا يجعل القارئ أمام نص متناقض في جوهره، ويُبرز كيف يمكن للتلاعب الروائي أو الديني أن يُحوّل حدثًا تاريخيًا مقدس إلى مشهد

مسرحي درامي عبثي، يخضع الواقعة لمزاج المؤلف لتحقيق غاية سياسية خبيثة، بدل أن يعكس الواقع كما حدث فعليًا.

فببساطة، النص الأصلي كان يشير إلى إسماعيل، لكن بعض المحررين حاولوا قلب الأحداث لتخدم روايتهم، فحوّلوا ذبيح إبراهيم من إسماعيل إلى إسحاق، في محاولة واضحة لتشويه التاريخ وتحريف الوقائع الجغرافية والديموغرافية. وهذا ما أكده النص القرآني في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾)الصافات: 102.

والآيات ذكرت بعد ذلك مباشرة البشارة بإسحاق :﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾)الصافات: 112.

ونرى بعد واقعة الذبح، وجود إبراهيم في بئر سبع، المعروف اليوم باسم زمزم في مكة، كما ورد في سفر التكوين 22:19 :

"ثم رجع إبراهيم إلى خادميه فقاموا وذهبوا معا إلى بئر سبع. وسكن إبراهيم في بئر سبع".

ولاحقًا، استمرت ذرية إبراهيم، بما في ذلك إسحاق ويعقوب وبني إسرائيل، في الارتحال إلى مكة لأداء شعائر الحج، مقدمين الذبائح وممارسة الطقوس في نفس الموقع. كما جاء في سفر التكوين 46:1:

"فارتحل اسرائيل بكل ما له، وعندما وصل إلى بئر سبع، قدم ذبائح لإله أبيه إسحاق".

ونجد أن النبي موسى وأمه كانوا يقومون بمراسم الحج والأعياد الدينية في الصحراء، كما ورد في سفر الخروج 5:1:

"ثم قال موسى وهارون لفرعون: هكذا قال الرب إله إسرائيل: أطلق شعبي ليعيدوا لي عيدًا في البرية".

في النص العبري، يُستخدم الفعل חָגַג(chagag) ، الذي يعني حرفيًا "أدى مناسك العيد" كممارسة دينية منظمة تتضمن الاحتفال والطقوس المرتبطة بالأعياد.. كما يوضح الباحث اليهودي Dennis Avi (Victor Mordecai Lipkin)في كتابه Return to Mecca: Let My People Go so That They May Circle Me in the Desert، فقد ارتبطت سنة تقديم الذبائح في العائلة الإبراهيمية بمكان محدد، هو بئر سبع (زمزم بمكة المكرمة)، الذي أصبح لاحقًا مركزًا

للعبادة وممارسة شعائر الحج. ويذهب الباحث أبعد من ذلك، مطالبًا بأن تقوم إسرائيل والقوى العظمى باحتلال مكة لتأدية شعائر الحج اليهودية في مكة.

بدأت سنة تقديم الذبائح في العائلة الإبراهيمية بمناسبة عيد الأضحى، حين أرسل الله ملاكه بكبش ليحل محل الابن المختار البكر، إسماعيل، الذي كان وحيد أبيه إبراهيم، وهي الواقعة التي شكّلت شعيرة أساسية من شعائر الإسلام، وقد ارتبطت هذه الشعيرة بمكان محدد، هو بئر سبع (زمزم بمكة المكرمة)، حيث قدم إبراهيم ابنه إسماعيل وفقًا للاختيار الإلهي، وهو المكان نفسه الذي ارتحل إليه لاحقًا مع هاجر.

وتابع أبناء إبراهيم وأحفاده من نسل إسماعيل وأحفاده ، ونسل إسحاق وأحفاده، السير على نهج هذه المناسك، متمثلين في تقديم الذبائح والطواف والحج إلى مكة، دون غيرها من مدن الأرض، محافظين على ارتباطهم بالمكان والعبادة والطاعة. وظل هذا التقليد مستمرًا حتى اليوم لدى ملايين المسلمين في مكة المكرمة أثناء مناسك الحج وعيد الأضحى.

وسعى بعض مؤلفي الكتاب المقدس بعد السبي البابلي إلى نقل مكان الشعيرة والبئر من مكة (بئر سبع/زمزم) إلى فلسطين، من خلال محاولة فاشلة لتحريف الروايات التوراتية الأصلية، محاولين نسب الذبائح ومناسك الحج إلى موقع آخر بدل موقعها التاريخي الحقيقي، وإعادة صياغة التاريخ وفق مصالحهم السياسية والدينية بعد السبي. فقد تم اختلاق "بئر سبع" أخرى في الروايات اللاحقة، بهدف تشتيت الأجيال وإبعادهم عن المكان الحقيقي للكعبة وموقع معجزة هاجر والذبيح إسماعيل.

"وفي ذلك اليوم أتى عبيد إسحاق وأخبروه عن البئر التي حفروا، وقالوا له: وجدنا ماء. فدعاه سبعة. لذلك سمي اسم المدينة بئر سبع إلى هذا اليوم" (سفر التكوين، 26: 32–33).

توضح الأوصاف الجغرافية لهذه البئر في الروايات اللاحقة عدم تطابقها مع النصوص الأصلية. فكما ورد في سفر التكوين (إصحاحات 16 و21 و22)، قصة هاجر وإسماعيل وعلاقتهما بالمورد المائي والبئر التي أسماها لاحقًا إسحاق تشير إلى بيئة صحراوية قاحلة، تختلف تمامًا عن جنوب فلسطين المأهول والمزود بالموارد الطبيعية. ظهور مورد الماء فجأة عند استقرار إسماعيل يتوافق مع معجزة بئر زمزم في مكة، وليس مع الخصوبة الطبيعية لجنوب فلسطين.

بئر السبع الفلسطينية المختلقة كانت مجرد بئر عادية، ولم يكن لها أي دور ديني عالمي قبل التوراة، ولم يُعرف عنها أنها صارت رمزًا للبركة أو الوحي. أما معنى كلمة "مدبار" (מדבר) في العبرية فيشير إلى برية قاحلة، جبلية،

رملية، غير مزروعة، موحشة، وهي صفات لا تنطبق على بئر سبع الفلسطينية، لكنها تتطابق تمامًا مع بيئة برية مكة وما حولها، حيث استقرت هاجر وإسماعيل قرب زمزم.. كما تم تأكيده من قبل كبار المفسّرين اليهود :

تفسير ابن عزرا (**Ibn Ezra**)على سفر التكوين **16:14**

"بئر لحاي (بئر الحياة) تعني بئر من سيظل حيًا في السنة القادمة. سُمِّيت بهذا الاسم لأن إسماعيليين كانوا يقيمون عند هذه البئر مناسك الحج. وهي لا تزال موجودة وتُعرف باسم بئر زمزم".

"Be'er Lachai means the well of him who will be alive next year. The well was so called because the Ishmaelites held the Hajj at this well. It is still in existence and is called the well of Zamzam."

تفسير ربّاني باخيا (**Rabbi Bachya ben Asher**) **asher**:

"بئر لحاي روي ... كان إسماعيليون يقيمون عند هذه البئر الاحتفالات السنوية، أي الحج. وهي لا تزال موجودة وتُعرف باسم بئر زمزم".

"Be'er Lahai Roi ... the Ishmaelites held annual festivities, the Hajj, at this well. It is still in existence and is called the well of Zamzam."

فمكة اليوم تجمع الأمة المؤمنة من شتى بقاع الأرض، ليعلنوا إخلاصهم لله كما فعل إبراهيم عليه السلام قبل آلاف السنين، وتجسيدًا حيًا لرؤيا **21:12** التي تقول: "المدينة ستمتلئ بأبناء الله المخلصين". الكعبة والبئر تمثلان مركز الهداية والطهارة وتجسيد العهد الإلهي، وكانت هذه الأماكن المقدسة مركزًا للعبادة والتواصل مع الله منذ زمن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وهاجر، لتستمر الأمة المؤمنة في رحلتها نحو الطاعة والخلاص.

في إشعياء (**60:1–7**) : **1** قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليك.
2لأنه ها هي الظلمة تغطي الارض والظلام الدامس الامم اما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى.
3فتسير الامم في نورك والملوك في ضياء اشراقك.
4ارفعي عينيك حواليك وانظري قد اجتمعوا كلهم جاءوا اليك يأتي بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الايدي.

5حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول اليك ثروة البحر ويأتي اليك غنى الأمم.
6تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب.
7كل غنم قيدار تجتمع اليك كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي وبيت جمالي أزينه.

"قُومي استنيري لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك".

إعلان عن بزوغ نور التوحيد في موضعٍ مقدّس يشعّ على العالم، ويغدو مقصدًا للأمم والشعوب كافة، ولم تُعرف مدينة اجتمع فيها الناس من كل أصقاع الأرض لعبادة الله سوى مكة في موسم الحج.

«فتنظرين وتستنيرين ويخفق قلبك ويتسع، لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم».

وهذه صورة دقيقة عن دور مكة التاريخي تجاري عالمي، حيث تصب إليها طرق البحر الأحمر والخليج، وتدفقت عليها قوافل اليمن والهند والشام، (راجع رحلة الشتاء والصيف.)

ويكمل النص: «بكثرة الجمال تغطيك، بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا».

الإشارات الجغرافية إلى قلب جزيرة العرب: حيث جمال الصحراء الممتدة والمراعي الشاسعة للابل ومديان تقع شمال الحجاز، وعيفة قبيلة عربية متفرعة منها، وسبأ في اليمن التي اشتهرت منذ القدم بالذهب واللبان.

«كلهم من شبا يأتون، يحملون ذهبًا ولبانًا ويبشرون بتسابيح الرب».

الذهب واللبان كانا من أشهر صادرات اليمن وعُمان، وكانت مكة مركزًا لتجارتها. و «تباشير الرب» فهي صورة شعائرية بديعة تنطبق على التلبية والتكبير في مناسك الحج، حين يرفع الحجاج أصواتهم بالتهليل والتوحيد.

ثم يختم النص: «كل غنم قيدار تجتمع إليك، كباش نبايوت تخدمك، تصعد مقبولة على مذبحي».

قيدار هو الابن الثاني لإسماعيل، ونبايوت هو بكره (تكوين 13:25). أي أن النص يربط بوضوح بين نسل إسماعيل، أي العرب وبين تقديم الذبائح المقبولة عند الله. وهذه صورة مطابقة لشعيرة الهدي والأضاحي التي يقدمها الحجاج في مكة. وما زالت حية منذ إبراهيم حتى اليوم.

وبيت جمالي أزينه: في كل سنة يتم تبديل وتزيين الكعبة بكسوة جديدة.

إشعياء 42:10

"غنوا للرب أغنية جديدة... تسبيحه من أقصى الأرض".

تصوّر هذه الآية شعيرة التلبية في الحج، حيث يرفع الحجاج أصواتهم بالتهليل والتكبير في طريقهم إلى مكة، معلنين توحيد الله عز وجل علنًا، متابعين نهج الأنبياء الذين بدأوا هذه الشعيرة منذ عهد إبراهيم وإسماعيل.

مزمور 84:1–7 يصف رحلة مسافرون يسعون للاقتراب من بيت الله:

"ما أطيب مساكِنك يا رب الجنود! تتوق نفسي حقًا إلى دواوين الرب، قلبي وجسدي يصرخان إلى الله الحي. حتى العصفور وجد بيتًا، والسنونو عشًّا لنفسه حيث تضع فراخه، عند مذابحك يا رب الجنود، ملكي وإلهي. طوبى للساكنين في بيتك، يسبحونك دومًا. طوبى للإنسان الذي قوته فيك، الذي في قلبه طرقهم. (العابرون في وادٍ بكة) يجعلونه ينبوعًا، والامطار تملأ البرك. يذهبون من قوة إلى قوة، كل واحد منهم يظهر أمام الله في صهيون".

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ سورة آل عمران، الآية 96.

المراجع والمصادر

النصوص المقدسة:

(الكتاب المقدس)العهد القديم والعهد الجديد

التلمود البابلي.

القرآن الكريم.

مصادر آباء الكنيسة والمجامع وعلماء وباحثين نصوص الكتاب المقدس:

موسوعة آباء ما قبل نيقية.(The Ante–Nicene Fathers, ANF)

موسوعة آباء نيقية وما بعدها.(Nicene and Post–Nicene Fathers, NPNF)

النسخة السينائيةCodex Sinaiticus) ، القرن الرابع الميلادي

النسخة الفاتيكانية.(Codex Vaticanus)

Patristic Bible Commentaries.

Bruce M. Metzger, A Textual Commentary on the Greek New Testament (Oxford University Press, 1994).

Bart D. Ehrman, Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why (HarperSanFrancisco, 2005).

Kurt Aland, The Text of the New Testament: An Introduction to the Critical Editions and to the Theory and Practice of Modern Textual Criticism.

Bart D. Ehrman, Who Wrote the New Testament?

Raymond E. Brown, The Birth of the Messiah.

J.K. Elliott, The Apocryphal New Testament.

John Dominic Crossan, **The Birth of Christianity**.

Bruce Metzger & Bart D. **Ehrman**, **The Text of the New Testament**.

Gregory J. **Riley**, **One Jesus**, **Many Christs**.

Julius Wellhausen, **Prolegomena to the History of Ancient Israel**.

John J. **Collins**, **The Dead Sea Scrolls**: **A Biography**.

Brent Nongbri, **God's Library**: **The Archaeology of the Earliest Christian Manuscripts**.

Richard Elliott Friedman, **Who Wrote the Bible?** (**1987**).

Israel Finkelstein & Neil Asher Silberman, **The Bible Unearthed**: **Archaeology's New Vision of Ancient Israel** (**2001**).

James Kugel, **How to Read the Bible**: **A Guide to Scripture**, **Then and Now** (**2007**).

Baruch A. **Levine**, **The JPS Torah Commentary**: **Leviticus** (**1989**).

John Van Seters, **The Pentateuch**: **A Social-Science Commentary** (**1999**).

المصادر والمراجع التفسيرية اليهودية:

Sefaria.org: مكتبة تجمع النصوص اليهودية (التوراة، التلمود، الزوهار، المدراشات، شروح الحاخامات).

Rashiרש"י: (تفسير الحاخام شلومو يتسحاقي (**1040–1105**م).

Ibn Ezraאבן עזרא: (تفسير الحاخام أبراهام بن مئير بن عزرا (**1089–1167**م).

Rambanנחמנידس: (**Nachmanides** – تفسير الحاخام موسى بن نحمان (**1194–1270**م).

Targum Onkelos: الترجوم الآرامي للتوراة.

Midrash Rabbah: مجموعة من المدراشيم (تفسير حاخامي للتوراة).

The Zohar: الكتاب المركزي للقبّالة اليهودية.

The Babylonian Talmud مع شروح المفسرين.(**Rashi**, **Tosafot**)

The Jerusalem Talmud.

المصادر والمراجع الإسلامية:

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي.

تفسير ابن كثير.

صحيح البخاري

صحيح مسلم

مسند الإمام أحمد.

موطأ الإمام مالك.

"المدونة الكبرى"، للإمام مالك.

"المغني"، لابن قدامة.

"الرسالة"، للإمام الشافعي.

الطبري، تاريخ الأمم والملوك.

ابن هشام، السيرة النبوية.

محمد بن إسحاق، السير والمغازي.

هل الكتاب المقدس كلام الله؟

ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد؟

عتاد الجهاد.

بسام جرار، المقتطف من الإعجاز العددي.

تطور الإنسان – علم الأجنة السريري. البروفيسور كيث مور

موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. الهيئة العالمية للإعجاز العلمي

د. زغلول النجار:

موسوعة تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم.

الإعجاز العلمي في السيرة النبوية.

أحمد بسام ساعي، المعجزة: إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن.

د. القس وليد أحمد فتحي، 130 من البشارات بخاتم الرسل وخاتم الرسالات من التوراة والإنجيل وكتب النبوات.

قيس الكلبي، حقيقة محمد في التوراة والإنجيل.

عبد الأحد داوود، محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى.

مصادر المنشورات البحثية والدراسات العلمية :

Nature – International weekly journal of science.

Science – Journal published by the American Association for the Advancement of Science (AAAS).

Scientific American – Popular science magazine (monthly).

New Scientist – Weekly science and technology magazine.

Proceedings of the National Academy of Sciences (PNAS) – Official journal of the U.S. National Academy of Sciences.

Cell – Leading journal in molecular biology and life sciences.

The Lancet – International weekly journal of medicine.

Journal of the American Medical Association (JAMA) – Peer-reviewed medical journal published by the American Medical Association.

المصادر والمراجع التاريخية والحضارية

ويل ديورانت، قصة الحضارة.

غوستاف لوبون، حضارة العرب.

زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب.

سليم الحسني، ألف اختراع واختراع.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ.

Steven Runciman, History of the Crusades تاريخ الحروب الصليبية

Karen Armstrong, The Gospel According to Women.

Eric Foner, The Fiery Trial: Abraham Lincoln and American Slavery (2010).

James M. McPherson, Battle Cry of Freedom: The Civil War Era (1988).

Leon F. Litwack, Been in the Storm So Long: The Aftermath of Slavery (1979).

Ira Berlin, Freedom's Soldiers: The Black Military Experience in the Civil War (1998).

C. Vann Woodward, The Strange Career of Jim Crow (1955).

Henry Louis Gates Jr. & Evelyn Brooks Higginbotham (eds.), African American Lives (2004).

Walter Johnson, Soul by Soul: Life Inside the Antebellum Slave Market

W. E. B. Du Bois, Black Reconstruction in America (1935).

Michelle Alexander, The New Jim Crow: Mass Incarceration in the Age of Colorblindness (2010).

Mike Davis, Late Victorian Holocausts.